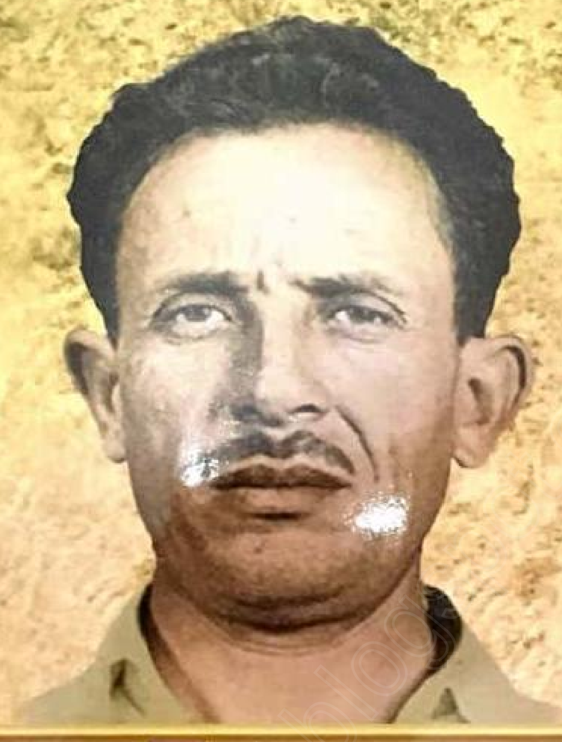
عثماني مسعود



من اغتال ابن بولعيد

مضاعفات وانعكاسات خطيرة أعقبت موته



من اغتال

ابن بولعيد

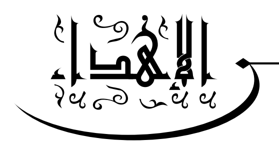
مضاعفات وانعكاسات أعقبت موته

عثماني مسعود

من اغتال

ابن بولعيد

مضاعفات وانعكاسات أعقبت موته



إلى كل كاتب أو باحث مهتم بالتاريخ الوطني، تجرّد من العاطفة والولاء، وراح يبحث عن حقيقة ما جرى في هذا الوطن من أحداث خلال الثورة التحريرية دون غلو أو تحريف أو تزييف

إلى روح الفقيد الشهيد الرمز: مصطفى بن بولعيد، القائد القدوة.

إلى روح الوالد الشهيد: الصالح عثماني الذي ظل يوصي والدتي بأن تحرص على تربية وتعليم أبنائها، ولو اضطرها ذلك بيع حليها

إلى روح الفقيد المجاهد، النقيب: محند أعراب بسعود الذي تنبأ بما ستسفر عنه الأحداث، فنشر كتابا خلال صائفة 1962، عنوانه: (سعداء، الشهداء الذين لم يروا شيئا)

إلى روح الفقيد المجاهد الرائد: العربي برجم (العربي ميلة) الذي رفض أن يتقاضى دينارا واحدا مقابل عمله، واعتبر ذلك طعنا في قدسية جهاده، فلما مات سنة 1982، رفض أبناؤه المتاجرة بشرف نضاله بدفنه في مربع الشهداء بالمقبرة العالية، فهرّبوه ليلا إلى قسنطينة، حيث سار في موكب جنازته نصف مليون مشيّع

إلى هؤلاء وأمثالهم من الشرفاء مع قلتهم

أهدي هذا الكتاب



مُقـَدّمَة

تُرى هل الكتابات التاريخية هي من الأمور السّهلة التي لا تكلّف الباحث أو المهتم كثيرا من الجهد والتّضحية لأنه يعتمد فقط على السّرد التّاريخي للأحداث وعلى الوصف وإعادة التمثيل بالاعتماد على الروايات المتواترة دون تمحيص وعلى السندات التاريخية دون تدقيق؟ إن هذا الاعتقاد أكيد مجانب لوجه الصواب.

لأن البحث التاريخي يستدعي من الكاتب التحري في الكتابات التاريخية، ما استطاع، واعتبار التاريخ شيء من الماضي يجب الإقرار به بما فيه من إيجابيات وسلبيات، بعيدا عن الغلوّ الفاحش الذي يطبع كثيرا من الكتابات، وعن التزييف المتعمد للوقائع والاعتقاد بأن ذلك عملا وطنيا تمليه الضرورة، إذ لا توجد أمة مثالية في هذا العالم، وحتى الأمة التي خاطبها القرآن الكريم: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[1] زالت عنها هذه الصفات بعد أن حادت عن حدود الله.

ولما كان طرفا النزاع في الثورة التحريرية لا يتوفران على نفس القدرات والإمكانات المسخّرة للمعركة ولا تخضع جيوشهما ومواردهما الحربية لنفس الإجراءات التنظيمية أو لإجراءات مشابهة، فإن الاختلالات تكاد تكون طبيعية،... فالحرب كانت تجري بين طرف يمتلك جميع أسباب التكنولوجيا ينتجها بوفرة ويستخدمها بمهارة، وطرف لا يمتلك من أسباب القوة إلا إرادة القتال والعزم والإصرار.

إن الفارق الذي يفصل بين القوتين لا ينحصر في الجانب المادّي – العسكري – وحده، لكنه يتخطّاه إلى الجانب الإعلامي والسيكولوجي واللوجيستيكي والاجتماعي... وإلى غيرها من متطلبات العمل العسكري أو الشبه عسكري. فعن طريق العمل البسيكولوجي مثلا، استطاع الاستعمار أن يُروّض آلافًا من بني جنسنا

1)- بعض آية من سورة آل عمران الآية: 110.

كالأنعام ليخوضوا ويلعبوا على مسرح الأحداث بل ويكونوا في بعض الملاحم أكثر شراسة من اللفيف الأجنبي...ويجب أن نعترف بهذه الحقائق حتى لا تتكرر «**فالمؤمن لا يلدغ من الجحر مرتين**» حديث.

فقد سمح الوضع المريح نسبيّا للفرق المتخصّصة ولجميع مكاتب المصالح الإدارية للسلطات الاستعمارية أن تمارس ضغوطاتها على الثورة بكل الوسائل، وأن تحقق نتائج حتى وإن لم ترق إلى مستوى طموحاتها، لكنها ظلت تشكل خطرا على الثورة في الداخل خاصة، وبما أن المواطن عندنا لم يكن محصنا بالقدر الكافي ضد الأساليب الدعائية التي كانت تنفثها كالسموم الفرق المتخصصة، ومكاتب الشؤون الأهلية بواسطة عناصر عميلة مسخّرة لخدمة المصالح الاستعمارية أو بواسطة المناشير أو عن طريق الإعلام المسموع، ولم تسلم من هذه الدّعاية حتى وحدات المجاهدين عن طريق عناصر اختراق محترفة، كما حصل مع جماعة: صالح ثابتي في محيط خنشلة الذي أقنعه العميل: ابن شنوف بمنع جنود جيش التحرير الوطني من عبور أراضي المنطقة لتفادي نِقمة الاستعمار الفرنسي، ولم تلبث هذه الجماعة أن استسلمت للقوات الفرنسية.

وقد اعتبر الاستعمار الدّعاية أهم سلاح يمكن استخدامه للتأثير على معنويات المقاتلين وعلى عناصر الإمداد والدّعم فاستخدمه بكثافة وعلى جميع المستويات. ولما لم يكن بإمكان القيادات المحلية أن تمتص جزءا من هذه الشائعات أو تكيّفها لصالح الثورة حتى لا تتسرب أثارها التدميرية إلى نفوس الجنود من ذوي التفكير المحدود، فإن نتائجها كانت شؤما على الثورة في كثير من المناطق.

ولعل أكثر هذه الدعايات إساءة للثورة، ما قيل عن هروب ابن بولعيد من سجن الكدية وعن ظروف استشهاده، والتشكيك في وطنيته، بالرغم من مؤشرات خطر انهيار الثورة في الأوراس التي راحت تلوح في الأفق، ولا أحد من القادة في المنطقة بعده استطاع أن يضمن الاستقرار في المنطقة واستمرارية الثورة فيها بنفس الحدّة التي كانت عليها. كانت البداية أحاديث خافتةتجري في مستويات معيّنة وعلى نطاق ضيق

بين المسؤولين لكنها لم تلبث أن انتقلت إلى مسؤولي الوحدات ثم إلى الجنود، ومن الطبيعي أن يحدث هذا تصدُّعا في أوساط المجاهدين بين من يعتقد بصحة الشائعة ويروّج لها، وهو قليلون، وبين من ينزّه ابن بولعيد من كل شائعة تسيء إلى سمعته وشرف جهاده. غير أن نوعا من اهتزاز الثقة لابد أن يظهر أثره.

انكفأ بعض المسؤولين ممن كانوا يسعون حثيثا للصعود إلى مركز القرار بعد عودته، وراح آخرون يتحدثون همسًا عن قصة هروبه المفتعل بهدف الترويج للشائعة، ولم يُبدِ ابن بولعيد أي ردّ فعل اتجاه هؤلاء القادة واحتفظ بالصمت، رغم شعوره بالألم، إذ كان همّه وحدة الصف واستمرارية الثورة، وظل الأمر كذلك إلى أن وقع ضحيّة مكيدة أخرى دبّرتها مصالح المخابرات الفرنسية، فأثيرت حول موته زوبعة أخرى اتُّهم فيها قادة محليون بأنهم كانوا وراء هذه المكيدة، فراحت عدة أطراف تتبادل التّهم حول من قتل ابن بولعيد، مع أن طريقة حَبْك المكيدة ليست في متناول هؤلاء القادة إن لم يكن المدبّر لها على علاقة مع طرف فاعل يمتلك وسائل تقنية متطورة...

وكان من نتائج هذه التهم أن تشنّجت العلاقات بين عدة أقطاب في السّلطة، ومن يُشايعهم من قادة الوحدات، فراحت الأمور تتطور بسرعة وسط مناخ يتجه إلى التأزّم، وقد أدّى في النهاية إلى ما يشبه الانهيار وسط هياكل نظامية تولّدت عنها هياكل أخرى فوضوية راحت تتكاثر بسرعة بشكل فوضوي، وترفض الانصياع للسلطة الشرعية بل وتسعى إلى إسقاطها بالقوة وبمبررات لا يستسيغها العقل.

ولما لم تكن السلطة الشرعية في موقف قوة يسمح لها بإخضاع هذه الوحدات للسلطة الأدبية التي تتمتع بها، ولم تكن هناك أطراف في منزلة مصطفى بن بولعيد تحظى بثقة الجميع لتقوم بدور الوساطة لرأب الصدع الذي حصل بين عدة أطراف نظاميّة أظهرت العصيان، راحت الأوضاع تتجه نحو التصعيد.

وهكذا أخذ نفوذ هذه السلطة التي استمدت شرعيتها عن طريق التكليف والتزكية يتقلص يومًا بعد يوم إلى أن سقطت أهم المناطق في الولاية في دوامة من العنف أساء إلى سمعة الثورة في أوراس الكرامة.

إن ما قيل عن هروب ابن بولعيد من سجن قسنطينة وعن ظروف استشهاده من قبل عناصر معروفة هوايتها المفضلة الطعن في المقدّسات الوطنية والنيل من كرامات الرجال ومآثرهم، كان أهمّ حافز لي للبحث عن مناقب هذا الزعيم والكشف عن مآثره. فأعددت كتابا في الموضوع، يحمل عنوان: مصطفى بن بولعيد – مواقف وأحداث – أعيد طبعه للمرة الرابعة... غير أنني لا أدّعي الإلمام بجميع مراحل حياته وبمساره النّضالي الحافل بالأحداث، فثمة محطات تاريخية هامة في حياة الرجل تحتاج إلى وقفة مطوّلة للنظر فيما حدث، وكيف حدث، ولماذا حدث، والاعتبار بما حدث، ومن خلالها يمكن أن نستشفّ الأسباب التي كانت تدفع بلفيف من البشر للطعن في شرف جهاد رجال، كانوا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

وهكذا أجد نفسي أخوض في الموضوع من جديد بالرغم مما يشتمل عليه الموضوع هذه المرة من ملابسات واختلاف في الروايات، وقد حاولت ما أمكن أن استقى المعلومات من مصادرها فإذا لم تتوفر لدي بحثت عن المراجع التي تحظى بثقة القراء... غير أن هذه المراجع نفسها تشتمل على كثير من التناقضات، تدفع بالكاتب أحيانا إلى إعمال عقله لترجيح رأي على آخر... فقصة هروب مصطفى بن بولعيد من سجن قسنطينة بالرغم مما قيل عنها، وحادثة موته الغامض وما كتب عنه، مازالتا تثيران كثيرا من التساؤلات لدى الشريحة المهتمة بالتاريخ الوطني خاصة، ولدى عموم المواطنين، وحول هاتين النقطتين المثيرتين للجدل بين الناس، نحاول معالجة الموضوع، بقدر من الموضوعية والحياد والتجرّد من العاطفة، وكلنا أمل في أن نستوفي الموضوع حقه.

وقد حاولت دعم ما توصلت إليه بالبحث والتنقيب بشهادات حية لرجال شهدوا بأنفسهم هذه الأحداث «وما شهدنا إلا بما علمنا» وشاركوا في صنعها.كما أشرت في الفصل الأخير من الكتاب إلى ارتدادات أعقبت استشهاد القائد ابن بولعيد، وإيفاد لجنة التنسيق والتنفيذ للرائد: عميروش إلى الأوراس لمحاولة تقريب وجهات النظر بين أطراف تتمسك بمقررات مؤتمر الصومام وأطراف أخرى تتنكّر لها، غير أن الصراع أخذ أبعادًا أخرى بسرعة فتحوّل الصراع من صراع مواقع إلى

صراع أفكار ومبادئ إلى أن سقطت الأوراس في بحر من المشاكل والخلافات أنهكت قواها، ولم تتمكن من استعادة وحدتها إلا في مطلع سنة 1960.

قد يلاحظ القارئ في ثنايا الكتاب تكرار بعض الأقوال كأسناد دعت إليها الضرورة لغرض الربط بين الفقرات أو إيضاح بعض المعاني أو تأكيد بعض المواقف التي تعرض إليها الكتاب لجأنا إليها لغرض التوضيح.

ونعتذر للقراء إذ لم نستوف الموضوع حقه

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

بوصالح – أوت – 2014

الفَصْلُ الأَوَّلُ

التركيبة الاجتماعية للمجتمع الأوراسي

للمجتمع الأوراسي نظام اجتماعي متميّز، فهو مهيكل على ضوء تقاليد ونُظم عرقية تقليديّة قديمة وقديمة جدّا، ظلّ محافظا عليه لأنه الإطار الذي يحمي كيانه ويصون وحدته.أساس هذا النظام هو القبيلة أو العشيرة أو الطائفة. وهذا النظام التقليدي في مظهره لا تختص به منطقة الأوراس وحدها، بل هي خاصيّة تميّز بعض المناطق في الوطن، سيما تلك التي تعاني من العزلة التي تحول دون حصول نوع من الاندماج مع مجتمعات أخرى، باستثناء المدن الكبرى التي اجتاحتها النظم الحضارية التي أعادت هيكلة المجتمع فيها على ضوء نصوص ونظم حضارية حديثة – بالرغم من أن معظم الأسر في المدن الكبرى تظل وفية لتقاليدها واعية بانتمائها العرقي – وقد ظل المجتمع الأوراسي متمسّكا بهذه التقاليد العريقة يجدّد نمط حياته ضمن إطارها منذ قرون بعيدة، ويعتز بذلك معتبرا أنها الواقية لأمنه وسلامته من خطر الذوبان والمحافظة على شخصيته وهويته المتميّزة بتقاليد معينة تمثل ملامح شخصيته، وقد كان الفرد يعتبر موطن القبيلة هو وطنه يدافع عنه ضدّ كل من يجتاحه لغرض الاستغلال.

ولموطن القبيلة حدود مقدّسة يعتبر المساس بها مساسًا بشرف القبيلة وحُرمة حدودها، وكثيرا ما كانت تنشب بين القبائل المتجاورة صراعات دامية بسبب اجتياح قطيع للحدود المتفق عليها، وقد يطول مدى الصراع ويؤدي إلى حرب معلنة تتبادل فيه القبائل المتحاربة والمتحالفة معها القتلى... ويظل أفراد كل قبيلة ينادون بالتأثر من القبيلة الأخرى، ولن تنطفئ هذه الأحقاد وتزول هذه الضغائن إلا بتدخل أشخاص من ذوي العقل الراجح أو الوازع الديني النيّر للوساطة في إنهاء الصراع. لذا يكون من الصعب تآلف هذه القبائل والتأليف بينها لتشكّل قوة ضاربة متراصة تتخلى عن الأحقاد الدّفينة لتواجه خطرًا مشتركًا – اسمه الاستعمار – وقد

كان منطق الحرب عند هذه القبائل يتلخّص دومًا في جملة بسيطة وواضحة، نصها «أنا أوخويا على ابن عمي وأنا وابن عمي على الأعداء» وذلك ما سوف تطبقه.

تفتقر هذه القبائل مجتمعة إلى التنظيم المحلّي المحكم إلا ما كان خاضعا للتقاليد والأعراف التي تعتبرها مقدسة، وكل فرد في مجتمع القبيلة مُلزم باحترامها والخضوع لها. ولا توجد أطراف أخرى خارجية أو محلية تعمل على ترقية المجتمع وتأهيله، عدا الزوايا الدينية، وهذه الزوايا لها وُجهات نظر في المسائل الدينية، وفي بعض المسائل الاجتماعية وتعتبر مرجعا لدى القبائل التي تُكِنّ لها الولاء. فكان شيوخ الزوايا يقومون بتسوية النزاعات التي تنشب بين القبائل بسبب المراعي أو باستغلال الأملاك المشاعة كالغابات.. وكان منطق أنا الأعلى يمثل القاسم المشترك بين جميع القبائل والتطاول سيّد كل موقف في جميع اللقاءات التي تجمع الأفراد من قبائل مختلفة في الأفراح أو في الأسواق أو في الأسفار المشتركة.

كان عدد الأفراد المتعلمين في معظم القبائل يُعدون على الأصابع، وأعني بالتعليم هنا التفقه في الدّين، واكتساب بعض المبادئ في اللّغة، أو في السيرة النبوية، أما غيرها من العلوم التي توصف بالدّنيوية فمحظور على المدارس وعلى الزوايا تلقينه للمتعلمين.

وكانت الكتاتيب أو مدارس تعليم القرآن منتشرة في المداشر وحتى في الأرياف، يتعلم الأطفال في هذه المدارس الكتابة والقراءة، ويحفظون سُورًا من القرآن الكريم وقد يحفظونه كله، غير أنهم كانوا لا يفقهون شيئا مما كانوا يسردونه.

يعتقدون عن قناعة تامّة بوجود أشباح وأرواح شريرة تتحرك في الطبيعة مثلهم ويحاولون الابتعاد عن أماكن تواجدها حسب اعتقادهم مثل: الأدغال، الأماكن المظلمة، المقابر، المستنقعات، المغارات والكهوف... ويتناقلون أخبارًا تتحدث عن تعرض شخص أو أشخاص لإذاية هذه الكائنات التي تظهر للإنسان في صور أو أشكال مختلفة.

يتمالك بعض الأفراد أنفسهم عندما ينتابهم الوهم باعتراض عفريت أو غول أو طامة... لطريقهم فيقرأون آيات أو سور من القرآن الكريم، فينصرف هذا الشبح – حسب زعمهم – وقد يصاب الشخص بالهلع والخوف الشديد فيغمى عليه أو يفر هاربا... فيتناقل الناس عن سذاجة هذه الأخبار ويروّجون لها، فتصبح تلك

الأماكن تمثل خطرًا مَزْعُوما على المارة، فلا يستطيع الشخص الواحد المرور عبرها إلا بوجود مرافق أو مرافقين ويتحاكون أساطير أمست الآن مضحكات مثل: وجود امرأة معلقة من أثدائها على القمر لأنها دنّست النعمة أو الرزق، كما يسمى أحيانا، وأن الأرض موضوعة فوق قرن ثور... وقد سألنا العديد من كبار السّن ممن عاشوا هذه المرحلة عن أسباب اختفاء هذه الأرواح والأشباح بعد الثورة بالرغم من كثرة الموتى في الأماكن الخالية، فلم نجد عندهم الإجابة.

فمن خلال هذه التّرهات والأوهام التي تملّكت المجتمع وسيطرت على عقول الأفراد نستطيع أن نقيس مستوى التفكير عند العامة ومقدار الحصافة وجودة الرأي التي سوف يتمتع بها في حالة تعرّضه لأزمات ونوبات تفقده توازنه مثل: الكوارث الطبيعية، أو الحروب وتأثره بالدعاية المضادة وإمكانية استغلالها لتحقيق أهدافه - الطبيعية القاسية والمناخ القار في الوسط والشمال والحار في الجنوب أثّرت بقوة في سلوكات الأفراد وأكسبتهم صفات بعضها محمودة وبعضها مذمومة، فمن الصفات المحمودة: الصبر، تحمل الأذى، عزّة النفس، المقاومة وشدة البأس. ومن الصفات المذمومة: العناد، الاعتداد بالرأي، التصلب في المواقف، انعدام الثقة بين الأفراد.

وهذه الصفات تَحُول دون وحدته وتماسكه إلا في إطار القبيلة أو وجود خطر مشترك يهدّد كيان هذه المجتمعات أو عُدوانٍ خارجي يسئ إلى القناعة المشتركة كالمعتقد الديني مثلا، ولا أقول الوطن، لأن مفهوم الوطن يختلف، وهو يشكل قناعة سياسية تشبعت بها ثُلة من الرّجال فيما بعد، وعملوا على نشرها بين المناضلين ثم عامة المواطنين، فتعلّق بها بعض الأشخاص باعتبارها تمثل عامل وحدة بين أطياف عديدة داخل حيّز جغرافيّ معيّن، إلى أن ترسخت أفكارها في عقول هؤلاء الأفراد وتكوّنت لديهم القناعة في الأخير بِوُجوب التعاون للدفاع ضد الخطر المشترك الذي يأتي مصدره في الغالب من الخارج...

ضحالة المعارف، وانعدام التكوين، وانغلاق المجتمع على نفسه داخل حيز جغرافي ضيق قلّل من فعالية نشاطاته ومن تأثره بالأحداث التي تجري من حوله، ومن بروز أعلام مشاهير من أوساط هذا المجتمع يكون لهم الدور الرّيادي في ترقية

وتأهيل المجتمع في مجال من المجالات الاجتماعية والسياسية، فظل المجتمع يعيش وفق ما تمليه عليه المعطيات المحلية خاضعا للعوامل البيئية بدون تجديد للحياة اليومية.

وكانت الأحداث من حوله تصله عن طريق التجار المتنقلين، وبعض الجنود المسرّحين بعد أداء الخدمة أو بعض المهاجرين وأحيانا من خلال اللقاءات في الأسواق التجارية. كما كان بعض الأفراد يتحدثون بألمٍ شديد عن التنكيل والتشريد الذي تعرض له السكان على إثر ثورة سي الصادق بن الحاج بتبرماسين – بجنوب الأوراس – وقد نفي سيدي الصادق بن الحاج إلى الجزائر، ونسجت حول نقله ونفيه وموته أساطير دخلت هي الأخرى في ثقافة المجتمع المحلي منها: أن الباخرة التي كان من المقرر أن ينتقل على متنها إلى المنفى عجزت عن الإقلاع فأعيد إلى السجن، وأنه كان يوضع في زنزانة مغلقة بإحكام، وعند الصباح يجدونه خارجها... وسبب شيوع هذه الانتفاضة مقارنة بغيرها من الانتفاضات الأخرى التي سبقتها أو أعقبتها أنها من فعل الزاوية الرحمانية بتبرماسين بالأوراس سنة 1859م التي ينتسب إليها كثير من المريدين في الأوراس. وقد أوردنا هذه الأخبار بإيجاز شديد لنشير إلى القابلية التي يتمتع بها المواطن في الأوراس – محل بحثنا – للتأثر بالدعاية والشائعات عموما وتقبّلها، والعمل على الترويج لها لضعف في التحليل والتعليل والقدرة على إدراك الأسباب والخلفيات السياسية للعمل الدعائي كسلاح في أثناء الحروب. إنّنا لا ننفي بالمقابل وجود عبقريات وسط هذا المجتمع تتوفر على كل الاستعدادات التي تسمح لها بأن تمارس العمل الدعائي حينما تَتَفَتّق أذهانها على أي عمل يُراد لها، لكنه الواقع.

وتشاء الأقدار أن تَتَطعّم هذه الاستعدادات عن غير قصد من طرف الاستعمار نفسه الذي ترسخت لديه تلك المقولة السخيفة التي قيلت عن الهنود الحمر من قبل أحد غلاة الاستعمار «بأن ليست هناك ضرورة لترقية أحوالهم الاجتماعية لأن انحطاطهم ليس بيئيا إنما هو وراثي أساسي لا يعالج»، فاعتقد أننا كذلك ولم يتفطن إلى القابليات التي يتوفر عليها الإنسان في الأوراس خاصة، حين قام بنفي عناصر وطنية إلى «آريس» بالذات، أذكر منهم المناضل: محي الدين بكوش من عنابة والمناضل: العربي رُوله من القل، وبعض التونسيّين،وذلك سنة 1940، فامتزج بسرعة الفكر الوطني المتوقّد لهؤلاء المناضلين المخلصين للقضية الوطنية بالاستعدادات الفطرية للسكان، فتجدّدت بسرعة النظرة للحياة السياسيّة، فكان ذلك أول الغيث، وأول مسمار دُقّ في تابوت الاحتلال، فأنشأ هذان العنصران الوطنيان أول خلية

سياسية في آريس كانت بمثابة شمعة راحت تنير بشعاعها الخافت درب النضال أمام الوطنيين من أبناء المنطقة، وكان من بين عناصر الخلية.

1) الحاج أزراري اسماعيلي   2) محمد الصالح مختاري

3) الأخضر بعزي   4) الأخضر قربازي

فبدأ الناس يتداولون أفكارا ومفاهيم جديدة لم تكن مُتداولة بين الناس من قبل. كمفهوم الاستعمار، الاحتلال، الاستيطان، الثورة، الاستقلال، الحرية، الوطن الجزائري ويتحدثون عن أحزاب سياسيّة معتمدة كانت تمارس نشاطها السيّاسي – لكن تحت المجهر – مثل: نجم شمال إفريقيا سنة 1926 الحزب الشّيُوعي سنة 1926 جمعية العلماء سنة 1931، حزب الشعب 1937... وعن المطالب الشرعية لهذه الأحزاب، وحتى عن التناقضات التي كانت تفرزها نشاطاتها النضالية، ومما زاد من توضيح هذه المفاهيم وتقريبها إلى أذهان السكان أحداث الحرب العالمية الثانية التي كانت تصل إلى المواطنين لتزيل عنهم بعض الغموض سواء كان ذلك عن طريق العائدين من جبهات القتال أو المسرّحين أو المعطوبين أو حتى عن طريق جهاز الراديو لدى بعض الأُسر في المدن التي تتوفر على هذه الأجهزة. فقد كانت إذاعة برلين تخصص حصصا خاصة للشعب العربي يُعدها المذيع يونس بحري بعنوان: هنا، صوت العرب من برلين، ويضيف: إذا زلزلت الأرض زلزالها، وأخرجت ألمانيا أثقالها، وقال الأنكليز مالها، يومئذ تحدث أخبارها، بأن «هتلر» أوحى لها[1].

شغلت أهوال الحرب العالمية الثانية السكان فراحوا يتابعون ضراوة المعارك بين الدول الكبرى من أجل السيطرة على النفوذ وامتلاك سلطة القرار، بينما بقيت الدول الصغرى والمستعمرات عمومًا تشكل الوقود الرخيص في هذه الحرب.

وقد شجعت الهزيمة الساحقة لفرنسا واحتلال أراضيها من قبل الألمان الجزائريين إلى التطلع للمستقبل بل والتفكير في تنظيم المقاومة باستغلال الظرف... وقد شعرت ألمانيا بذلك حتى وإن لم تكن على اتصال بالسّكان، فراحت تبعث برسائل إلى السكان

1)- عن مذكرات الشاذلي بن جديد، ص: 38

تحثهم فيها على المقاومة، بل وعملت على إلقاء مظليين جزائريين فوق مدينة تبسة سنة 1942 وعلى رأسهم: محمدي السعيد المعروف خلال الثورة بالعقيد: سي ناصر، لتنظيم المقاومة، فوشى السكان بهؤلاء الجنود وألقت السلطات الفرنسية عنهم القبض.

غيّرت أهوال الحرب العالمية حياة السكان فجأة، وظهرت بينهم عناصر وطنية لامعة راحت تزرع بذور الوطنية وتبعث الأمل في نفوس المواطنين، ولم يكن التنظيم سهلا وسط مجتمع ظل مُنطويًّا على نفسه قرُونا من الزمن، كما لم يكن كسر الحواجز التقليدية التي كانت تحول دون تلاحم القبائل وتمازجها أمرا عاديا.

غير أن هذه العصبية الممقوتة لن تحول دون ظهور رجال أوفياء للوطن يحلمون بالمستقبل ويتفانون في تحقيق السعادة لمجتمعاتهم، مهما تكن العراقيل التي تعترضهم، ونظرا للسريّة التامة التي ميّزت نشاط الحركة الوطنية في الأوراس، فقد نجا مناضلو ورواد الحركة فيها من الاعتقال، بعد انكشاف المنظمة السرية سنة 1950 وظلت منطقة ممتنعة مغلقة من الناحية الشكلية، وقد سمح لها هذا الوضع بإيواء عناصر قيادية رائدة في المنظمة الخاصة كانت مطاردة من قبل البوليس الفرنسي، شاء لها القدر أن تساهم في إيقاظ الحس الوطني لدى سكان المنطقة مثل: لخضر بن طوبال، زيروت يوسف، رابح بيطاط، عمار بن عودة، سليمان بركات، عبد الباقي بكوش... وستظل الأوراس مدينة بالشكر والعرفان لهؤلاء المناضلين الأوفياء، ممن عملوا على إحياء الأمل في نفوس السكان بإمكانية النصر على الاستعمار، فآووهم ونصروهم ووفروا لهم كل الحماية.

الدعاية أخطر سلاح في الحرب

الدعاية في الحرب سلاح فتاك، وتُعد أخطر وسيلة من وسائل الحرب النفسية، تشُن هجماتها على العقول فتُحدث فيها كثيرا من الاضطراب والفوضى واليأس، فتفقد الشخص أو المجتمع المستهدف الثقة في نفسه وفي وطنه وفي قيّمه وفي رجالاته وفي مستقبله، وتلك أسوأ هزيمة تصيب الفرد والمجتمع.

والحرب النفسية حرب معلنة، لكن بدون تبليغ لا تخضع لرقابة القانون ولا للتقاليد ولا للأعراف المتعارف عليها في الحروب، وتُعد أخطر من حرب المواجهة لأنها توجه تأثيرها إلى أعصاب الناس ووجدانهم وعواطفهم فَتُحدث فيها من الخراب ما يؤثر على معنوياتهم فيصابون بالعياء وبالإحباط واليأس، وتعدّ هذه مظهرا من مظاهر الهزيمة التي تعني الاستسلام للعدو، وعدم إبداء أي رغبة أو استعداد للمقاومة.

والحرب النفسية ليس لها مجال معين أو حيز جغرافي ثابت أو زمان محدّد، فهي حرب مفتوحة على الخصم بدون حدود وبدون هوادة وعلى كل المستويات.

فرنسا والحرب النفسية في الجزائر

مارس الاستعمار الفرنسي الحرب النفسيّة منذ غزوه للجزائر بأساليب متنوّعة من خلال الخطابات الرسمية وغير الرسمية للسّاسة الفرنسيين ولوسائل إعلامهم بتشكيك المجتمع الجزائري في هُويته، وفي انتمائه القومي، وفي تاريخه، وفي وطنه... وقد استطاع أن يحقق بعض أهدافه وأن يقنع في مرحلة ما عناصر مثقفة لامعة تمثل نخبة المجتمع الجزائري، فتصدر عنها أقوال تعبّر عن هذه القناعة.

فقد ورد عن السيد: فرحات عباس، قوله: «إنني قد سألت التاريخ، وسألت كذلك الأحياء والأموات وزرت المقابر، ولم أجد من بين هؤلاء، من تكلم إلي، لا نبني فوق الرياح، فلا أحد في الحقيقة يؤمن بوطنيتنا وقوميتنا وما نقوم بالدفاع عنه، ومطلبنا من وراء هذه الكلمة هو تحرّرنا الاقتصادي والسيّاسي، ومن دون تحرّر الأهالي لا وجود لجزائر فرنسية دائمة[1]». فهذه القناعة التي تعني الشعور بالفناء والذوبان وسط كيان غريب اغتصب الأرض عنوة هي أخطر ما توصلت إليه الحرب النفسية خلال الحقبة الاستعمارية، وقد صدر عن الشيخ: ابن باديس تصريح مشابه يكرّس الهزيمة ويعبّر عن الشعور بالدّونية، حين قال: «إن الشعب الجزائري شعب ضعيف ومتخلف، فهو في حاجة ماسّة إلى حماية أُمّة قويّة ومتحضّرة تمكّنه من السير قُدمًا في طريق الحضارة والتقدم[2]»، ولسنا ندري من هذه الأمة المتحضرة التي يعنيها ابن باديس، غير فرنسا.

---

1)- عن حرب الجزائر لـ/ باتريك إيفنيو – و – جان بلانشايس، الصفحتان: 47 – 48 وقد نشرت المقالة جريدة الدفاع بتاريخ 23 فيفري 1936.

2)- الثورة الجزائرية – سنوات المخاض لـ/ محمد حربي، الصفحة: 118 جريدة المنتقد 1925.

وهذا الكلام الصادر عن شخص فرحات خاصة يعكس قناعة شريحة من المثقفين بالفرنسية المعجبين بالحضارة الغربية، وهو نوع من الخبل يعتري الشخص فيصاب بانفصام الشخصية.

الأساليب الدعائية تختلف عن بعضها حسب المواقف، فقد تكون وسائل إغراء وقد تفيد التهديد والوعيد، وقد عبّر عن هذه الأخيرة وزير الدفاع الفرنسي «إدوار دالادي» سنة 1936 أمام الوفد المشكّل من عدة أحزاب راحت تعرض مطالب الأمة الجزائرية، حين قال: «إن فرنسا تملك المدافع والرشاشات وستحسن استعمالها إذا ما حدث في الجزائر أي اضطراب[1]»، وقد أعطى هذا التهديد مفعولا معاكسا إذا أيقظ المشاعر الوطنية في نفوس دعاة الحلول التوافقية ودعاة الإدماج والحلول السلمية الذين راحوا يفقدون الأمل في إمكانية الوصول إلى تسوية سلمية مع الاستعمار، وقد عبر عن هذا الشعور النائب: قدور بوساطور، حين صرح بعد مهزلة المجلس الجزائري «بأنه لم يبق مع الاستعمار إلا الهراوة[2]» وقد ظلت قناعة فرحات تراوح مكانها بين الاندماج أو وهم المجتمع المختلط، وبين التحرر، غير أنه أَقَرَّ في الأخير سنة 1953 «بأنه أمام الأخطار الراهنة لا يوجد أي حل خارج الرشاش[3]».

الحرب الدعائية لا تخضع للمعايير، وليست لها طريقة معينة، فهي تتماشى مع المستجدات ومع تطور الأحداث وتحاول التأثير عليها وتوجيهها الوجهة المرغوب فيها من قبل الجهة المستخدمة لها، وهي تستخدم من أجل تحقيق أغراضها مختلف الوسائل السمعية والبصرية، كالتصريحات الكاذبة، أو التعزيزية، الإشاعات، المنشورات، الملصقات، البيانات، بهدف إثارة النّعرات بين الأحزاب، بين الوحدات، بين القبائل، بين الشخصيات، وكل الوسائل في الحروب السّيكولوجية مُمْكنة، فقد تُوجّه للوحدات المقاتلة أو للشعوب الثائرة أنغام موسيقية هادئة تجعلها تميل إلى الرّاحة وتركن إلى الهدوء وتدعو إلى السلم، بعد أن كانت متحمسة للقتال متأهبة للمواجهة مستعدة للحرب.

---

1)- الثورة في عامها الأول للدكتور: العربي الزبيري، ص: 63.

2)- الثورة الجزائرية – سنوات المخاض – لـ/ محمد حربي – ص: 142.

3)- نصر بلا ثمن لـ/ محمد عباس، ص: 47.

استغلال المشاعر الدينية

فرنسا الاستعمارية تعرف أثر المشاعر الدينية في نفوس المسلمين وقوة تأثيرها على مشاعرهم، فجعلتها ضمن اهتماماتها منذ بداية الغزو للنيل من عزيمة الجزائريين ومن وطنيتهم، فكانوا يختارون ألفاظا وينتقون عبارات ذات دلالات دينية يُوَشّحون بها مراسلاتهم ومناشيرهم للتأثير على نفسيات القراء والمستمعين من المواطنين بسهولة، وكلما كانت الشائعة مطعمة بآيات من الذكر الحكيم أو بأحاديث نبوية أو مدعومة بأقوال وتصريحات صادرة عن مسؤولين كبار أو عن شخصيات مرموقة في الدّولة كلما كان لها وقع خاص في النفوس الضعيفة، وغير المحصنة بالوازع الدّيني وبالفكر القومي مما يجعلها تميل إلى تصديق الشائعة والخضوع لإدارة الجهة التي تتبنّاها، فمما جاء في خطاب رسمي للإمبراطور: نابليون الثالث في أثناء زيارة له إلى الجزائر خلال شهر ماي 1865، قوله: «إن الاحتلال الفرنسي للجزائر أمر مقدّر من الله ومن مشيئته الأزلية التي لا ينبغي أن تقاوم». هذا التصريح الصادر من أعلى مسؤول في الدولة الغازية التي استطاعت أن تخمد عدة ثورات وانتفاضات عبر التراب الوطني، وأن تُبيد قبائل كاملة عن طريق البطش والتنكيل يُعد أخطر على النفوس من حرب المواجهة وقد استغل ناشرو السلام في عهد «لاكوست» الوالي العام سنة(1956 – 1957) هذه المشاعر للتشهير بالثورة وبالمجاهدين، فقاموا بتوزيع مناشير تحمل ألفاظا وعبارات ذات مدلول ديني تهدف إلى النّيل من سمعة المجاهدين ومن المشاعر الدّينية للثورة، ومنها: «الفلاقة لا يحترمون القرآن والله لا يغفر لهم».

استغلال المشاعر القومية والتشكيك في الهوية الوطنية

فكل الأساليب مباحة عند غلاة الاستعمار، فالغاية عندهم تبرّر الوسيلة، فمما جاء في جريدة «لوموند» الفرنسية، بتاريخ 30 مارس 1956 على لسان الجنرال الاستعماري: «ويغان» قوله: «إن القرار الوحيد الصائب في نظري هو إثارة الحرب بكل الوسائل والاستمرار فيه حتى النهاية إلى أن يتم القضاء على خصم عنيد لا تستحق أعماله أي شعور بالرحمة[1]» وهو ما سيفعله مجرمو الحرب في الجزائر، وعلى

1)- الثورة الجزائرية للعميد: مصطفى طلاس، ص: 293.

كافة الأصعدة، بالتشكيك في الهوية الوطنية للشعب الجزائري، وفي التاريخ القومي للأمة والإدعاء بأن الشعب الجزائري ينحدر من بلاد الغال ومن أصول غالية، فمتى أحدث هذا الإدعاء بعض الصدى في قلوب الجزائريين سَهُل احتواؤهم، وحين يجد المستعمر عند الشعوب المغلوبة بعض التقبل يذهب إلى أبعد من ذلك، إذ يعمل حينها على تشكيك المجتمع في انتمائه القومي وفي وطنه وفي تاريخه وفي أمجاده، والاستعماريون يجيدون خلط السّم بالدسم لإثارة الفتنة بين الطوائف والتشكيك في الانتماء الحضاري للمجتمع، فقد صرح «دوغول» في خطاب له يوم 16 سبتمبر 1958 بأن «الجزائر في الواقع عنصر أما زيغي لا علاقة له بالعروبة وأنه نسيج مزركش من قبائل وشعوب ومداشر وعناصر متعدّدة، وليست هناك أمة وليس هناك شعب، وأنه لم يكن أمة[1]».

وهذا التشكيك في الهوية الوطنية للشعب الجزائري كان قد أشار إليه قبل الرئيس: دوغول رئيس الحزب الشيوعي الفرنسي: «موريس توريز» خلال خطاب ألقاه سنة 1939 لكن بصيغة أخرى، حين قال: «إن الجزائر أمة في طور التكوين سيكون شعبها خليطا طريفا من عناصر أوروبية وأخرى عربية وبربرية يتمخّض دمجها عن جنس جديد : الجنس الجزائري، لكن هذه الأمة لم ترتق بعد إلى النضج[2]» ويوجه «توريز» باسم الحزب الشيوعي نداءً إلى السكان قائلا: «على سكان الجزائر أن يتحدوا، ولا يجب بأي حال من الأحوال أن يُوجد تعارض بين مسلمي البلد والسكان الأوروبيين[3]»! ولا عجب أن تتحد الأهداف وتتناغم الأفكار عند الاستعماريين فالمِلة واحدة والغاية واحدة وهي الاستعباد والاستغلال... ومما يلاحظ عند الزعيمين أن الوصف عندهما مجمل وينطوي على بعض الحقائق، وضعت بمثابة طعم للإغراء غير أن هذا الطعم لا يخفي النوايا الخفية للاستعمار، وقد عبّر عنها توريز تعبيرا بليغا فصيحًا حين قال: على سكان الجزائر أن يتّحدوا... تعارض بين مسلمي البلد وسكانه الأوروبيين، وهذه الخطابات موجّهة عادة إلى

1)- أصالية أم انفصالية/ للأستاذ مولود قاسم، ص: 403.

2)- الثورة الجزائرية محمد حربي – سنوات المخاض، ص: 113.

3)- المرجع نفسه.

عموم المواطنين . غير أن هناك ما هو أخطر منها كالبرامج التعليمية الموجهة إلى الناشئة التي لا تتوفر على أية حصانة أو فكرة مُسبقة تسمح لها بتمحيص هذه الأفكار، فَتَشبّ على الانحراف والاعتقاد الزائف بهذه الضّلالات.

فقد كانت العصور التاريخية في البرنامج المدرسي خلال الاحتلال ترتّب كالتالي:

1) العصر الروماني. 2) الغزو العربي.

3) السيطرة التركية. 4) وصول الفرنسيين.

ويلاحظ أن التعابير المستخدمة هنا منتقاة بعناية، قصد إحداث نوع من الصدمة لدى القارئ توضح له طبيعة كل مرحلة أو عصر.

وقد ظل هذا الترتيب معمولا به إلى غاية الاستقلال (1962 – 1963) في التعليم الثانوي، ويلاحظ من خلاله الإهمال المتعمد للعمق التاريخي للأمة الجزائرية المتمثل في الهوية الأمازيغية، كما يلاحظ التلاعب بالألفاظ واستعمال كلمات في غير مواضعها للتأثير على المتعلم حيث وصفت فترة الاحتلال الروماني بالعصر الروماني، ووصف الفتح الإسلامي بالغزو العربي، والحكم التركي بالسيطرة التركية، أما الاحتلال الفرنسي فقد وصف بألطف العبارات وأجملها وهو الوصول.

فساد الاعتقاد بعدها لدى المحتلين بأنهم تملكوا أرضا وأذلوا أمة كانوا قد ارتبطوا معها بأكثر من 60 معاهدة واتفاقا خلال ثلاثة قرون من الزّمن كدولة ذات سيادة ثم تنكّروا فجأة لماضيها التاريخي... ومن المفارقات أن يعترف دوغول نفسه بهذا الكيان في مذكراته – الأمل – ليقول عن الجزائر: «فقد سبق أن غزوناها بعد أحداث طويلة قاتمة في عهد البرابرة، وبفضل جهد عسكري ضخم بذل فيه كلا الخصمين كثيرا من الشجاعة وتحمّل كثيرا من الخسائر، ثم تولينا بعد ذلك القضاء على عدة ثورات.

ولذلك فقد غمرنا الفرح لأننا أصبحنا سادة أرض كلّفتنا تضحيات كثيرة[1]».

هذا التناقض في أقوال الرئيس: دوغول يكشف لنا عن الصّراع الذي كان يتخبط فيه خلال فترة حكمه، فكان تارة يصاب بعمى الألوان فيتنكر للهوية الجزائرية تمامًا ويصف الجزائريين بالمسلمين للتّمييز بينهم وبين الأوروبيين ويخشى أن يصفهم

1)- مذكرات – الأمل – للجنرال: دوغول، ص: 49.

بالجزائريين لأن ذلك اعترافا صريحًا بوجود الهوية الجزائرية للسكان، وتارة يلمح بوجود وطنٍ قومي لهذا الشعب الذي «قد تم غزوه في عهد البرابرة» حسب قوله.

استغلال المشاعر الوطنية في أثناء الثورة التحريرية

تكثر الإشاعات في أثناء الحروب خاصة للتأثير على معنويات الخصم وإضعاف قدراته القتالية والأمل في النّصر، قصد التغلب عليه بأقل تكلفة ممكنة، فقد رُوي عن قائد ألماني أنه قال: «نستهلك الكثير من القنابل لِنُدَمِّر بها مدفعا واحدا في يد جندي، أليس الأرخص من ذلك أن نجد وسيلة أخرى تُسبب اضطراب الأصابع التي تضغط على زناد المدفع في يد الجندي[1]»... والوسيلة التي يعنيها هذا القائد الألماني واضحة وهي الدعاية أو الحرب النفسية التي تَحُط من عزيمة الخصم ومن معنوياته، فتشل حركته وتضعف قدرته، وهذه أخطر من الهزيمة العسكرية الساحقة التي يحتفظ فيها المقاتل بمعنويات عالية تدفعه إلى استئناف القتال مرة أخرى، وقد يكلّل بالنصر.

لاشك أن مكاتب الشؤون الأهلية تعرف عنا الكثير، فهم يعرفون مواطن ضعفنا ومصادر قوتنا ومستوى تفكيرنا ودرجة تقبّلنا للشائعات وترويجها والتأثر بها، فقد تغلغلت في أعماقنا عناصر أوروبية بصفة علماء وباحثين من ذوي الاختصاصات المختلفة، وقاموا بإنجاز دراسات وأبحاث حول التركيبة الاجتماعية للمجتمع الأوراسي أمثال: السيدة جيرمان تيون وجان سرفي وبالرغم من أن الدراسات التي قامت بها هذه الباحثة تغلب عليها الموضوعية، إلا أنها تظل قابلة للاستغلال لأغراض أخرى، ومنها الأغراض العسكرية، من أجل التأثير على نفسيّات السكان بملازمة الهدوء والابتعاد عن العنف... فعندما تم تعيين جاك سوستيل، كوال عام للجزائر في 25 جانفي 1955 استقدم السيدة: «تيون» ولم يكن ذلك من أجل إطلاعها عما يجري من أحداث عنف في الأوراس بالذات التي خبرت أهله، لكن من أجل تقديم دراسة موضوعية عميقة للأسباب التي حملت السكان على إعلان العصيان والتمرد على السلطة حتى يتمكن على ضوء هذه الدّراسة من الإجهاز على المتمردين، كما يصفهم.

---

1)- الحرب والرأي العام والدعاية لـ/ رشيد حمليل، ص: 203.

ولم تكن هذه الباحثة في الأثنولوجيا التي كانت تُسامر أمَّهاتنا وجدّاتنا فَيُروين لها قصص الغولة وبناتها مجرّد رُومية بلهاء تُحب البيض المسلوق وتعشق القصص الشعبية وحكايات العجائز... فقد كانت تسجل عنا ما نخفي وما نعلن حتى لم يعد يخفي عليها من أمرنا شيئا، فعادت بذلك كله لبلادها فرنسا كدراسة علمية بحتة لكنها قابلة للاستغلال في ميادين أخرى.

السيدة: «جيرمان تيون» لم تظهر عداءها للشعب الجزائري بالرغم من أنها عملت في ديوان سوستيل مكلفة بالشؤون الاجتماعية، وأنشأت مراكز اجتماعية تابعة إداريا لوزارة التربية، الغرض منها التخفيف من معاناة الفقراء ومواساة المعوزين بعد أن لاحظت هذه العالمة التي تغلغلت في أعماق المجتمع الأوراسي بأن هذه الشريحة الاجتماعية أكثر إقبالا على الثورة وأشد كراهية للاستعمار، فأرادت أن توفر لها بعض أسباب الاستقرار لتضمن ولاءها أو حيادها على الأقل.

بخلاف «جان سيرفي» الذي تزامن وجوده بالأوراس مع اندلاع الثورة، فكشف بمجرد حدوث الانفجار عن عدوانيته، فطوى صحف البحث العلمي، وسعى إلى تنظيم حركة مسلحة في وادي عبدي لمناوأة – التوابة – العرش الذي ينحدر منه ابن بولعيد الذي تزعَّم الأحداث، واتصل بالحاكم في آريس يطلب منه الدعم والمساعدة، وعندما لم يتمكن من التأثير عليه ولم يلق الاستجابة من قبل السكان مع مخططه، انتقل إلى جبال «زكار» وبالذات إلى عرش بني معاد، وهناك أفلح في تكوين تنظيم مسلح خطير تجاوز عدد أفراده – الألف – حركي، وظل يقاتل هناك من سنة 1955 إلى 1958، وعندما جاء «دوغول» إلى الحكم قرر إدماج الوحدات غير النظامية في القوات المسلحة، فأسند إلى «جان سرفي» مهمة في الولاية العامة للإشراف على إعداد إطارات ما بعد الحرب.

أشكال الدعاية في أثناء الثورة التحريرية

الدعاية خلال الثورة عموما لا تخضع للمنطق ولا للأخلاق، فهي تتّخذ أشكالا وتكتسي ألوانا تتناسب بالضرورة مع المعطيات الآنية، وتهدف عموما إلى:

- الطعن في قيادات الخصم.

❖ الطعن في كفاءة وأخلاقيات مقاتليه، حيث راح الإعلام الفرنسي يشير منذ اندلاع العمل المسلح إلى أن هذا التنظيم يضم بين عناصره أفرادا كانوا متابعين قضائيا بسبب جرائم اقترفوها، وذكر منهم الشهيد: «قرين بلقاسم».

❖ حتمية هزيمة الخصم، نظرا لضعف الإمكانات والوسائل التي يستخدمها والتي لا يمكن أن تحقق له الأهداف التي يسعى للوصول إليها وقد جاء في بعض المناشير «عما قريب سينزل السخط على رؤوس المتمردين، بعد ذلك سيحل السلم الفرنسي من جديد[1]».

❖ التقليل من شأن الخسائر التي يُلحقها – بالقوات العسكرية – «إن الثورة التي كانت تقتل قبل الآن (1958) قرابة 50 شخصا يوميا تقتل الآن وسطيا سبعة أشخاص أو ثمانية منهم 4 مسلمين[2]».

❖ تضخيم خسائر جيش التحرير الوطني خاصة والإعلان عن الإبادة الشاملة لوحداته.

❖ استغلال استسلام بعض العناصر المعروفة كقادة للثورة مثل: عاجل عجول 1956 وعلي حنبلي 21 مارس 1959 وعلي كربادو 20 ديسمبر 1955 بدعوتهم إلى إلقاء كلمات وسط الجمهور والطّعن في الثورة وفي أخلاقيات رجالها.

❖ تسجيل أشرطة لاستسلام قادة جيوش مثل: عجول، حنبلي، كربادو والقيام بعرض هذه الأشرطة في قاعات العرض أو في غيرها لإضعاف معنويات المواطنين.

❖ استعمال ألفاظ وعبارات ذات مدلول خاص مثل: الفلاقة – التي تعني باللهجة التونسية قطاع الطرق – لتشويه سمعة المجاهدين واتهامهم باللُصوصية، وعبارات أخرى تشعر الخصم بالهزيمة وتكرّس في نفسه اليأس مثل ما جاء على لسان «لاكوست» «الثورة تعيش الربع ساعة الأخير»، «استلام عجول أول الغيث».

❖ إلقاء منشورات بواسطة الطائرات فوق القرى ووسط الأدغال حيث يعتقد وجود مجاهدين أو مناصرين للثورة كما حدث عند اندلاع الثورة تدعو المجاهدين للعودة إلى ديارهم، وقد تُعرِّضُ بالمجاهدين أو تشنِّع بهم، وترتكب أفعالا دنيئة

---

1)- الثورة الجزائرية في عامها الأول، الدكتور: العربي الزبيري ص: 127.

2)- مذكرات – الأمل – للجنرال: دوغول، ص: 117.

وتنسبها إليهم وقد جاء في إحدى المنشورات «إن الفلاقة – المجاهدين – لا يحترمون القرآن والله لا يغفر لهم» وقد يأتي المثير حين تدعو الحاجة إلى ذلك في قالب استجداء وتعظيم في آن واحد، كما جاء في خطاب للرئيس «دوغول» في قوله: «ها أنذا دوغول أفتح باب التفاهم إنّني لم أشعر مرة من المرات، كما شعرت هذا المساء، كم هي عظيمة فرنسا! وكم هي عادلة! وكم هي رائعة! وكم هي سخية![1]» ويقول في موضع آخر «إن النضال لم ينته بعد وأنه مازال مستمرًّا ويجب البحث عن الخصم والتغلب عليه وإلحاق الهزيمة به[2]» فكل ثابت متغير في السياسة الاستعمارية.

❖ استغلال أحداث وظروف معينة كحادثة أسر ابن بولعيد والترويج لها بكل الوسائل قصد زعزعة الاستقرار بين العناصر المسؤولة، واهتزاز الثقة بين الجنود، فقد ألقت الطائرات بهذه المناسبة أطنانا من الأوراق فوق جبال الأرواس خاصة، تتضمن عبارات ساخرة، مثل: انتهت الثورة في الأوراس!... قائد الفلاقة يقع في الأسر! «يقولون إن فرنسا لم تأسر ابن بولعيد، ألا لعنة الله على الكاذبين، فهذه صورته، «الصورة: ابن بولعيد مكبل بين شرطيين فرنسيين».



صورة القائد: ابن بو لعيد بين شرطيين فرنسيين عندما ألقي عليه القبض في تونس

1)- ملحمة الجزائر – الجزء الثاني – المجاهد: عمار قليل ص: 140.

2)- مذكرات – الأمل – للجنرال: دوغول، ص: 98.

❖ وقد تأتي الدعاية في شكل تهديد ووعيد بهدف زرع الرّعب في قلوب السكان ودفعهم إلى الشعور بالإحباط واليأس من جدوى المقاومة، كما جاء في خطاب للجنرال: شاريير الذي قاد أعنف حملة لتطهير جيوب المقاومة في جبال الأوراس من المتمردين – حسب تعبيرهم – حيث جاء في خطابه: «إنما جئت هنا لأخيّر الشاوية على أي حطب يشوون[1]».

أو في شكل تأكيدات صادرة عن هيئات رسمية عُليا في السلطة مثلما جاء على لسان «ميتران»بصفته وزيرًا للدّاخلية يوم 5 نوفمبر 1954، عندما «أكّد بأن الجزائر هي فرنسا من فلاندر إلى الكونغو هناك قانون واحد ومجلس نيابي واحد، فهي أمة واحدة، هذا هو دستورنا، وتلك هي إرادتنا[2]».

السلطة الاستعمارية تظل يقظة على الدوام، تستغل كل المعطيات وكل المستجدات على السّاحة السّياسية أو الحربية لزرع البلبلة في صفوف المقاتلين – المجاهدين – فمما أورده الرائد: هلائلي في كتابه: شاهد على الثورة في الأوراس. «أن قائد الناحية الثانية في المنطقة الثانية بالأوراس، أصدر تعليمة يَحُث فيها جنوده على تكثيف العمليات القتالية ضد مراكز العدو... ويشاء القدر أن يسقط مسؤول قسمة كان يحمل في جيبه هذه التعليمة شهيدا، فيعثر جنود الاحتلال على هذه التعليمة في جيبه عند تفتيشه، فتقوم المصالح الإدارية المتخصّصة بتحويلها إلى سلاح لضرب الثورة من الداخل وزرع الشكوك بين المقاتلين من المجاهدين، حيث قام ضابط المخابرات بإرسال هذه التعليمة إلى مسؤول الولاية ليوهمه بأن له مُخبرين وسط جنوده – عناصر اختراق – وهذه الرسالة أكبر دليل[3]».

الأساليب الدعائية عند سلطات الاحتلال تتجدّد باستمرار، فهي لا تخضع للمنطق ولا للأخلاق... هدفها دومًا إلحاق الهزيمة بالخصم بأقلّ تكلفة ممكنة

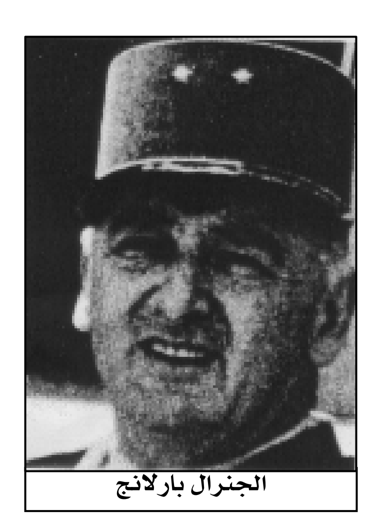
1)- حرب الجزائر ل/ هنري علاق الجزء الثالث، ص: 492.

2)- أوراس الكرامة للمؤلف، ص: 284.

3)- شاهد على الثورة في الأوراس، للرائد أهلائلي، ص: 376.

أبواق الدعاية ومصادرها في أثناء الثورة

مصادر الدعاية الأساسية خلال الثورة، هي المكاتب المتخصصة التي يديرها ضباط متخصّصون في هذا المجال. فقد أدركت السّلطات الاستعمارية منذ بداية الأحداث، بل منذ بداية الغزو ما لسلاح الدّعاية من أثر على النفوس، فاستغلت الدعاية وسيكولوجية الإشاعة لأحداث صدام بين المقاتلين وإيجاد نوع من التصدّع يحول دون تلاحم وحدات المقاتلين بالشعب الذي سوف يشكّل العمق الاستراتيجي للثورة. فأنشأت عدة مكاتب لهذا الغرض أخطرها، المكتب الثاني، بقيادة الجنرال: بارلانج غاستون المتخصص في الشؤون الأهلية، والذي اكتسب تجربة طويلة في المغرب الأقصى، فهو صاحب فكرة إنشاء المكاتب الأهلية (sas) التي لعبت أدوارًا خطيرة في الدّعاية والإعلام ضد الثورة. والمكتب الخامس، المتخصّص في الدّعاية والتضليل، فقد لعب هذان المكتبان – كمصالح – أدوارًا خطيرة خلال الثورة بتجنيدهما لعناصر عملية اِتّخذا منها أبواقا للدعاية والتضليل بإذاعة بيانات كاذبة وأخبار تسيء إلى سمعة المجاهدين وتُقلّل من فعالية القتال عندهم، وتمجّد فرنسا التي تملك الطائرات والرشاشات على حد تعبير «إدوار دالادي» وقد تولى تنشيط هذه العناصر الجنرال: «لاشورو» الذي أسندت إليه مهمّات العمل السيكولوجي لدى الوحدات الفرنسية التي أصيبت بالانهيار بعد الهزيمة العسكرية الماحقة التي لحقت بها في الفيتنام – ماي 1953 – فخشيت أن تتكرر هذه الهزيمة في الجزائر، فأنشأت مكاتب متخصّصة بمهام مزدوجة تعمل على رفع معنويات الجنود الفرنسيين المحبطة وتسعى في نفس الوقت إلى تثبيط همم وعزائم المجاهدين.



الجنرال بارلانج

وهناك أطراف أخرى غير نظامية راحت تذيع إشاعات كاذبة ضد الثورة ولصالح الاستعمار بدافع من الحقد على المجاهدين، نتيجة حساسيّات تكوّنت لديها بسبب نزاعات قديمة مع بعض المجاهدين أو المتعاطفين مع الثورة، أو بسبب إعدامات

ضد عناصر عميلة للاستعمار لها علاقة قرابة بهؤلاء الأشخاص، غير أن السلطات الاستعمارية التي كانت تتابع تطور الموقف بانتظام باتت متأكدة من أن التنظيم المسلّح اكتسب الصفة العسكرية، وأن آثار التلاحم بينه وبين الشعب أمست واضحة، وقد أكّد ذلك المارشال: جوان في رسالته إلى رئيس الحكومة الفرنسيّة «إدكارفور» جاء فيها «إن الوضع في الجزائر خطير جدا، والمعلومات الأخيرة التي وصلتنا تنبئ أننا نسير نحو انتفاضة معمّمة تحت لواء الجهاد، وذلك في سائر عمالة قسنطينة[1]» فأرادت فرنسا الاستعمارية بوسائل إعلامها الرسمية أن تحُدّ من هذا التطوّر المذهل للمدّ الثوري وأن تثير الشكوك في أوساط السكان بالتعرض إلى السوابق العدلية لبعض العناصر وسط المجاهدين والكشف عن ماضيهم الإجرامي – حسب زعمهما – ، فمما جاء في صحيفة: صدى الجزائر الصادرة بتاريخ 5 نوفمبر 1954 «إن جيش التحرير المزعوم – حسب الصحيفة – يضم بين قيادة أركانه شخصيات بارزة يمكن أن نذكر من جملتها الشهير «قرين بلقاسم» بن بشير الذي يبلغ من العمر سبعا وعشرين سنة ويجرّ وراءه سوابق عدلية لا تقوى الجبال على حملها لأجل ذلك، فإنه لا مجال للدهشة، عندما نعلم أنه فضل الالتحاق بأصدقائه المحكوم عليهم وترا أس عصابة من الإرهابيين بدلا من أن يستسلم للعدالة ويقضي في السجن سنوات الأشغال الشاقة التي حكم بها عليه سنة 1950[2]».

وعندما لم تجد السّلطات الاستعمارية الاستجابة المطلوبة من قبل السكان، راحت مصالحها السيكولوجية – النفسية تعمل على صرف أنظار السكان إلى وجود تهديد خارجي بنشر إعلانات كاذبة تتحدث عن التدخل الأجنبي وعن الإمدادات الخارجية التي تتدفق على المتمردين إذ بدونها لا يمكن لهؤلاء المتمردين أن يقفوا في وجه قوات الأمن الفرنسية، ويندرج هذا طبعا في مغالطة المستوطنين والشعب الفرنسي عامة، ومحاولة حجب الحقيقة عن الفرنسيين أنفسهم بأن ما يجري في الوطن الجزائري من أعمال عنف هي ثورة شعب سئم الذّل وملّ من العبودية فانتفض.

---

1)- الثورة في عامها الأول للدكتور: محمد العربي الزبيري، الصفحتان: 127 – 128 الرسالة تحمل تاريخ 18 ماي 1955.

2)- الثورة في عامها الأول للدكتور: محمد العربي الزبيري، ص: 98.

«فقد أشارت وسائل الإعلام الفرنسية أن 500 إرهابي تونسي التحقت بجبال الأوراس في الأيام الأولى من شهر نوفمبر وقيل أن مهمتهم تنحصر في تنظيم وحدات القتال وتدريب الأهالي على استعمال الأسلحة، وعلى خوض حرب العصابات، وأكّدوا بأن السلطات العسكرية قد لاحظت بأن بعض الطائرات تأتي ليلا بدون أضواء فَتُفرغ حمولتها في منطقة الأوراس.. وقد يكون منطلقها المملكة الليبية[1]».

راحت الصحافة الفرنسية تؤكد التصريحات القائلة بأن الثوار إنّما هم جماعات معزولة ومنبوذة من الجماهير التي لا ترغب سوى في أن تبقى فرنسيّة كاملة الحقوق والواجبات وعندما تبين لهذه السلطات بأن ما تدّعيه يرى فيه السكان مجرد أوهام ولن يؤثر على مسار الثورة ولن يحول دون وقوف الشعب إلى جانب من تصفهم بالمتمردين، كشفت عن حقيقتها، فوجهت إعلانا يتضمن تهديدا خطيرا للسكان.

---

1)- الثورة في عامها الأول للدكتور، المرجع السابق، ص: 99.

إعلان إلى السكان صادر عن المصلحة البسيكولوجية – النفسية

«لقد أصبحتم شركاء للثورة طوعا منكم أو على الرغم منكم، إنكم تحفرون الطّرق صغيرها وكبيرها وتفرّون عندما نقترب منكم، وتزودونا بالمعلومات الخاطئة – غير الصحيحة – ولطالما امتدت هذه الحالة، فإننا مُصمّمون على إعلامكم باننا نعتبر من لم يكن معنا فهو عدوّنا، وكل حفرة نجدها في الطريق سنعاقبكم عليها بتدمير القرى المسؤولة وكل خبر تقدّمونه لنا ويظهر عدم صحته، فإن العقاب عليه يكون التدمير أيضا، وزيادة على هذا فإننا نرمي بالرصاص كل فارّ عند قدومنا، وإننا علمناكم! وكثيرا ما رأيتم قواتنا، وسنستخدم كل هذه القوة من الآن فصاعدًا ضد أعدائنا[1]».

مدى تقبل المواطن للدعاية التي تبثها المكاتب الإدارية المتخصصة

ظهرت بعد اندلاع الثورة مباشرة ثلاث طبقات أو ثلاث فئات أو شرائح وسط المجتمع:

أ) فئة تساند الثورة عن قناعة تشكّلت لديها، لوجود عناصر تحظى بالتأييد وسط المجاهدين، نظرا لمكانتها الاجتماعية أو السياسة. فاختارت هذه الفئة الانتماء إلى الثورة وتعرضت لأبشع أنواع الاضطهاد، ومن الصعب النيل من قناعتها والتأثير عليها.

ب) فئة أظهرت عدم الاكتراث في البداية لعدم ثقتها في إمكانية نجاح الثورة في البداية وظلت تظهر الحياد وتترقب الإجهاز على الثورة وتبرّئ منها ذمتها ظاهريّا، قلبها مع الثورة، لكنها ظلت تتردّد في انتظار الحسم، غير أنها بعد أن لاحظت صمود المقاومة راحت تنصهر بالتدريج وسط الشريحة الأولى، ولم تلبث أن اندمجت معها.

جـ) فئة المهزومين نفسيّا ممن يرون استحالة تحقيق النصر ضد قوة تملك المدافع والطائرات والدّبابات ومَدَدًا لا ينضب، تؤازرهم فئة أخرى من موظفي الدولة ومن يسميهم «دوغول» بأخوّة السلاح، ويعني بهم أولئك الذين حملوا السلاح عن طواعية وعملوا كمجندين في صفوف القوات الفرنسية وخاضوا إلى جانبها حروبا مدمّرة. ومن ارتبطوا مع السلطات الاستعمارية بعلاقات نفعية أنستهم انتماءهم الحضاري، وهذه الفئة ظلت تمثل الأقلية.

---

1)- الثورة الجزائرية – العماد: مصطفى طلاس، ص: 273.

هذه الشرائح الثلاثة تختلف نظراتها اتجاه الأحداث التي تمرّ بها البلاد، تتعايش في حذر شديد وتتقاسم الأحزان لكن بمستويات مختلفة، وتتأثر بالأحداث لكن بدرجات غير متكافئة، ومن الطبيعي أن يكون تأثر هذه الفئات بالإشاعات التي تنفثها المصالح الإدارة مختلفًا كذلك، والعمل الدعائي يكون عادة أكثر انسجاما وتقبلا مع شخصية المتلقى ومزاجه وفكره، كلما كان موافقا لهواه، فالطّعم يكون مستساغا عندما تشتهيه النفس، والإشاعة تكون متقبّلة – ويكون لها وقع خاص في النفس – عندما تكون الجهة التي أطلقتها تتمتع بقدر من المصداقية وبثقة العيّنة محل التجربة أو الإشاعة، والعكس صحيح، ومنها نستخلص أن الشائعات التي كانت تصدر عن مكاتب الشؤون الأهلية وعن المصالح الإدارية المتخصصة كانت قليلة التّأثير عديمة الفاعلية في الشريحة التي ذابت كلية في الثورة، وصارت تَتَحّمل الأذى على الاستسلام على حد تعبير الجنرال: دوغول – الأمل: 58 – وهذه الشريحة أمست محصّنة تلقائيا نتيجة تشبّعها بقناعة ترفض المساس بها ولا يمكن أن تتراجع عنها، مهما تكن الشائعات سواء كانت في شكل مغريات مثل: مشروع قسنطينة الذي أطلقه الرئيس: دوغول، أو في شكل تهديدات كالتي أطلقها دوغول نفسه بالتلميح باستعمال السلاح الذري في خطابه شهر سبتمبر 1961 بعد تعثر المفاوضات بين الوفدين الجزائري والفرنسي، عندما قال: «ولكننا بحاجة إلى مشاركة تضمن مصالحنا، وإذا تعذر علينا تحقيقها، وتنفيذ هذا الضمان وجب علينا أن نجعل من أحجار الصحراء ومن رمالها شيئا خاصا[1]».

وهذا الشيء الخاص الذي يعنيه الرئيس: دوغول، هو الفناء وأداته هي السلاح النووي، ولم يكن هذا العمل الدّعائي الذي يكتسي طابع التهديد المباشر ليغيّر من مجرى الأحداث، فتجدّدت المفاوضات وتحرّرت الصحراء لكن بضمان المصالح الفرنسية.

وتعتبر الفئة الأخرى المُحْبَطة نفسيا والمهزومة تلقائيا هي الأكثر تقبّلا للشائعات بحكم استعداداتها النفسية وارتباطها بالجهة التي تطلق الشائعة، وتكون بذلك أكثر استعدادا للاستجابة، وهذه الفئة لا يقتصر دورها على التأثر بالشائعة فقط، لكنها تقوم بدور الناقل والمروّج لها... وهذه العناصر ما لبث أن انكشف دورها وصُنّفت في الأوساط الشعبية في

1)- مذكرات – الأمل – للجنرال: دوغول، ص: 138.

خانة العملاء، ولم يعد المواطن يتأثر بما تبثّه من أخبار عن الثورة كونها منحازة تلقائيا إلى جهة العدوّ وغير حيّادية، ومع مرور الزمن اكتسب المواطن قدرًا كبيرًا من المناعة، ولم يعد يتأثر كثيرًا بالأخبار التي يكون مصدرها عادة السلطات الفرنسية.

ومن جانب جبهة التحرير الوطني

أولت جبهة التحرير الوطني للعامل الدعائي في حربها ضد الاستعمار أهمية قصوى، لأنها تعرف جيّدًا مدى تأثر المواطن بالإشاعة، سيما في بداية الأحداث، ولما لم تكن الجبهة كنظام وكقيادة تملك من وسائل الدعاية ما يسمح لها بمواجهة وسائل إعلام الاستعمار المتطوّرة والمتنوّعة، لجأت في البداية إلى البلدان العربية المساندة للكفاح المسلح لمساعدتها في إيصال صوتها للرأي العام العربي والعالمي عن طريق البث الإذاعي وإرسال بعض البيانات إلى السّكان في الدّاخل، لتوعية الشعب في الداخل بأن ما يجري من أعمال عنف هي ثورة مسلحة ضد الهينة الاستعمارية وليست مجرد تمرّد كما تدّعي سلطة الاحتلال، فكان أول بيان صدر عن جبهة التحرير الوطني من إذاعة القاهرة – صوت العرب – أذاعه الرئيس الأسبق: أحمد بن بله، ويتعلق بالإعلان عن اندلاع الثورة يوم 1 نوفمبر 1954، وقد خصصت إذاعة القاهرة بعدها حصة إذاعية خاصة بالثورة الجزائرية، تحت عنوان: هنا القاهرة، حقائق، وهنا باريس: أكاذيب، وكان المجاهدون وعامة المواطنين يترقبون بلهفة وقت إذاعة هذا البرنامج ، وكانت الأخبار التي تبثّها هذه الإذاعة إعلامية دعائية لا تخلو من المبالغة أحيانا ولا تعكس الحقيقة الناصعة لما يجري من أحداث، لكنها كانت تنزل بردًا وسلاما على قلوب المواطنين، خاصة عندما تتحدث عن انتصارات جنود جيش التحرير الوطني على القوات الاستعمارية، وتصف همجية ووحشية الغزاة...

على الصعيد السياسي

استطاعت جبهة التحرير الوطني بعد اندلاع الثورة أن تقنع الرأي العام العربي بعدالة قضيتها وأن تُطور بسرعة مواقف هذه الدول من المؤيّدة إلى الداعمة والمموّنة للثورة، فبعد خمسة أشهر فقط من اندلاع الثورة تحتل القضية الجزائرية مركز الصّدارة في مؤتمر إقليمي هام انعقد في «باندونغ» بأندونيسيا بتاريخ 18 أفريل 1955،

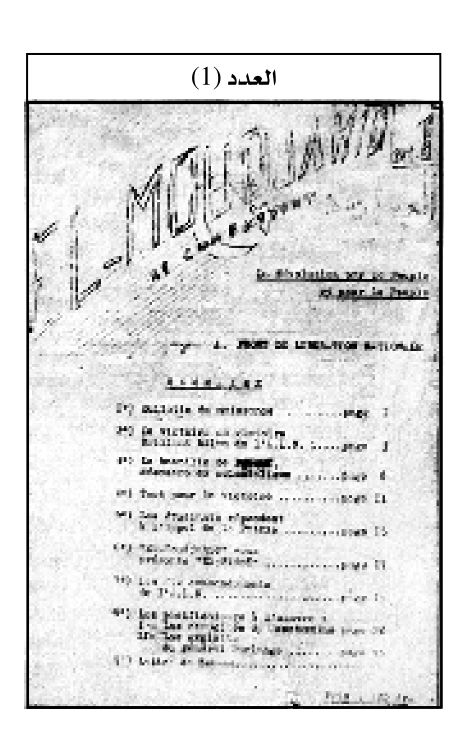
ضم 28 دولة، وقد مثل الجزائر في هذا المنتدى بصفة ملاحظ كل من 1) حسين آيت أحمد، 2) محمد يزيد، وفي 30 سبتمبر من نفس السنة تطرق القضية الجزائرية أروقة الأمم المتحدة، وتنال تزكية 28 صوتا ضد 27 صوتا، وامتناع 5 أعضاء عن التّصويت فيغضب هذا النجاح ممثل الدولة الاستعمارية فرنسا ووزير خارجيتها «آلان بيناي» فينسحب من الدورة، وقد عدّ «جاك سوستيل» الوالي العام في الجزائر آنذاك هذا الانسحاب دعاية هامة للقضية الجزائرية تفوق في قيمتها قافلة سلاح موجهة للجبهة، وقد خلّف هذا الانسحاب صدى عميقا وسط الوفود المشاركة، واعتبره «محمد خيضر» عضو الوفد الخارجي إشهارا كبيرا لجبهة التحرير الوطني.

وقد لعبت الدول العربية والإسلامية، بالإضافة إلى دول المعسكر الاشتراكي آنذاك – شرق أوروبا – أدوارا إيجابية لصالح القضية الجزائرية أسقطت الخُرافة القائلة بأن الجزائر عبارة عن ثلاث عمالات فرنسية، هي: قسنطينة، الجزائر، وهران على حدّ تعبير «فرانسوا مورياك». لا يمكن حصر نشاط الوفد الخارجي في هاتين القضيتين فقط، وإنما أوردناهما كمثال، لأهميتهما ولأسبقيتهما في النشاط الديبلوماسي.

وعندما استقرت لجنة التنسيق والتنفيذ بتونس بعد مغادرتها الجزائر – ربيع 1957 – فكّرت في دعم النشاط الإذاعي للثّورة بإصدار جريدة تكون الواجهة الإعلامية للأحداث على السّاحتين الداخلية والخارجية، وفي التاسع من شهر جوان 1957 صدر العدد الأول من صحيفة: المجاهد لسان حال جبهة التحرير الوطني باللغة الفرنسية...

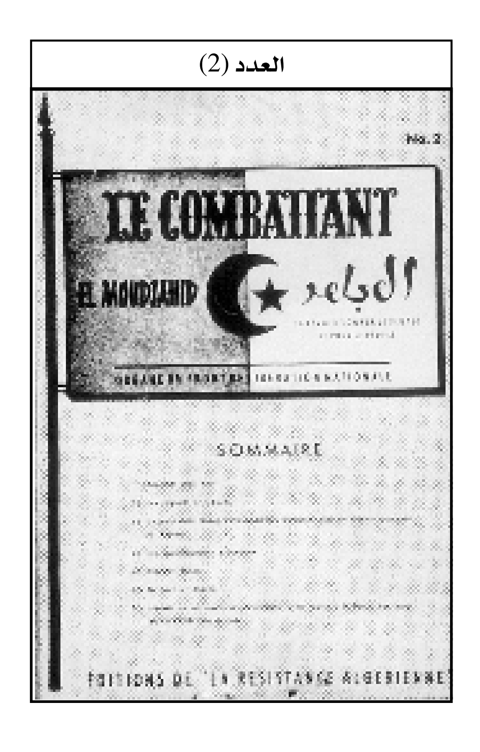
❖ لم يقتصر النشاط الإعلامي على الصّحف ذات انتشار محدود، وفي نطاق جغرافي ضيق... بل فكرت القيادة المنبثقة عن مؤتمر الصومام «لجنة التنسيق والتنفيذ» منذ انتقالها إلى القاهرة ومنها إلى تونس في إنشاء إذاعات مستقلة عن القنوات العربية التي كانت تَبثُّ عبر برامجها اليومية حصصًا قصيرة لتغطية أحداث الثورة المسلّحة في الجزائر، من القاهرة وتونس والمغرب. فبعد وصول لجنة التنسيق والتنفيذ إلى القاهرة، تم تكليف السيد: سعد دحلب عضو اللجنة بالبحث عن مكانٍ مناسب في شمال المغرب لتركيب جهاز إذاعي للدعاية ونشر الأخبار، وقد كانت البداية من الناحية الغربية للوطن، نظرا لبعدها عن القاهرة وعن تونس اللتان كانتا تبثان عبر قنواتهما أخبارا وحصصا إذاعية تخص الثورة الجزائرية.

العدد (1)



EL MOUDJAHID

العدد (2)



No. 2

LE COMBATTANT

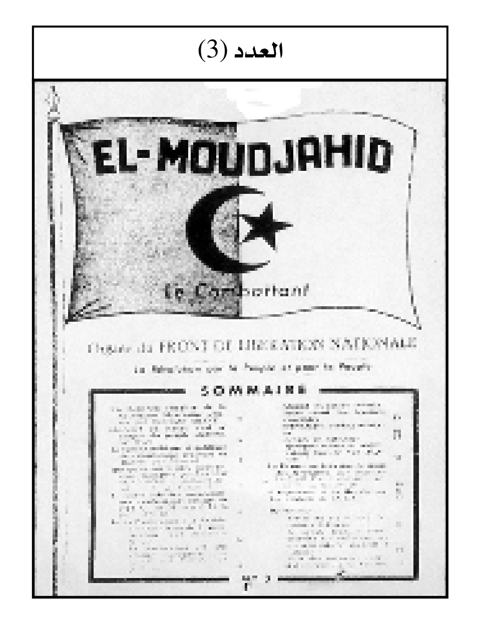
EL MOUDJAHID المجاهد

ORGANE DU FRONT DE LIBERATION NATIONALE

SOMMAIRE

EDITIONS DE "LA RESISTANCE ALGERIENNE"

العدد (3)



EL-MOUDJAHID

Le Combattant

Organe du FRONT DE LIBERATION NATIONALE

La Révolution par le Peuple et pour le Peuple

SOMMAIRE

العدد (4)



EL MOUDJAHID

NOTRE ARMEE ET SA STRATEGIE

الأعداد الأربعة الأولى لصحيفة المجاهد الصادرة في تونس

كيف بدأ البث الإذاعي

بدأ البث الإذاعي المباشر والمستقل عن القنوات العربية بعد الحصول على أجهزة الاتصال اللاسلكية، وكانت أهم صفقة، تلك التي اشتراها «إدريس الطيب» من القوات الأميريكية بالمغرب، وهي عبارة عن أجهزة بحرية تُستغل في البواخر المدنية وتسمى (ر – س – أ) وقد تم الحصول عليها بأمرٍ من العقيد: عبد الحفيظ بوالصوف وبعد إدخال بعض التعديلات على هذه الأجهزة أصبح بالإمكان استغلالها في البث الإذاعي. وقد بدأت التجربة في شهر ديسمبر 1956، وكان البث الإذاعي يُستهل بـ/ «هنا إذاعة الجزائر الحرّة المكافحة صوت جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني يخاطبكم من قلب الجزائر».

ولم تلبث أن لحقت بها إذاعة أخرى من تونس تبثّ برامجها بدورها عبر قناة خاصة مستهلة افتتاحيّاتها بـ/ «هنا إذاعة الجزائر الحرة المكافحة من قلب الأوراس...» وفي الفاتح من نوفمبر بمناسبة الذكرى الرابعة لاندلاع الثورة، بدأت إذاعة محلية أخرى – ثالثة – من عمق الولاية الثالثة، تبث برامجها بالعربية وبالقبائلية وبالفرنسية، لتوعية المواطنين بمخاطر المرحلة التي تمر بها الثورة، والتصدي للنشاطات الإعلامية والدعائية للاستعمار من خلال المشاريع الضخمة التي جاء بها «دوغول» لاحتواء الثورة تحت مظلة التنمية المحلية وتبنّيه لسياسة العصا والجزرة، فهو يطلق مشاريع ضخمة في إطار التنمية المحلية مثل مشروع: قسنطينة 5 جوان 1958 ومشروع سلم الشجعان 23 أكتوبر 1958، ومشاريع أخرى مغرية من حيث الظاهر ولكنها تنطوي على مخاطر تصيب الثورة في الصميم.

وبالموازاة مع هذين المخططين المغريين، فقد أصدر أوامر مُلحّة لجنوده في الميدان قائلا: «إن النضال لم ينته بعد، وإنه مازال مستمرًّا، ويجب البحث عن الخصم والتغلب عليه وإلحاق الهزيمة به[1]».لتجسيد مفهوم الجزرة والعصا.

---

1)- مذكرات – أمل – للجنرال: دوغول، ص: 98.

وقد لعب البث الإذاعي دورًا فعّالا في إيقاظ وشحذ الرّوح الوطنية في نفوس المجاهدين وعموم المواطنين، وإثارة الحمية الوطنية والاعتزاز بالانتماء القومي في قلوبهم، بالإضافة إلى إذاعة البيانات والبلاغات العسكرية ووصف المعارك والتّبشير بالنصر القريب، فكان الجندي والمواطن على السواء ينتظران ساعة البث الإذاعي بلهفة شديدة ويستمعون إلى الأخبار بإمعان كبير فيتجدّد نشاطهم بعد الفتور ويتناقلون أخبارا سارّة من شخص إلى شخص، وكانت كل الأخبار التي تبثّها إذاعة الجزائر الحرّة في ظن المواطن تعكس حقيقة الوضع السائد داخل الوطن وخارجه، ولم يكن الجندي أو الشعبي باصطلاح تلك الفترة يفهم أن إذاعة الجزائر الحرة نفسها تمارس الدّعاية وتتعمّد أحيانا مغالطته للرفع من معنوياته وتجديد الأمل لديه بقرب النصر، فيستمر في الكفاح بنفس جديد ومتجدّد، ويعتبر العامل الدّعائي مثيرا طبيعيا للحرب ومحفّزًا على القتال، كما يعتبر أيضا مُحبطا ومعيقا له ووسائله كثيرة ومتنوعة، وتختلف بحسب الظروف والمعطيات، وهي – الدعاية - لا تراعي بتاتا القيم الإنسانية والمثل العليا ولا تُعير قيمة للفضائل، لكنها تقوم على المبدأ الميكيافيلي «حيث الغاية تبرر الوسيلة»، وغايتها هنا هي هزيمة الخصم بأقل تكلفة ممكنة، غير أن البث الإذاعي خلال الثورة التحريرية حتى وإن تعددت قنواته وتنوّعت أساليب الخطاب لديه يظل دوره محدودا جدًّا لأن معظم المواطنين لا يمتلكون أجهزة التّرانزيستور (المذياع) والعناصر التي تملك هذه الأجهزة يصنفون غالبا ضمن أعوان الإدارة وبعض المسرّحين من الجيش الاستعماري ممن لهم في الغالب مُيولات أخرى، ويظل المواطن في الرّيف مهد الثورة وحاضنها بمعزل عن الإعلام الذي يصدر عن قيادة الثورة، فكان مضطرا لأن يبتدع لنفسه وسائل إعلامية دعائية محلية بإمكانات متواضعة لكنها جدّ مؤثرة.

الوسائل الدعائية المحلية

أهمّ هذه الوسائل هي الفن... والفنُّ يقتصر على الغناء وحده تقريبا، والغناء في الريف وفي الأوراس بالذات يكون في الغالب جماعيًّا... وهو إما أن يكون مختلطا (رجال ونساء) أو يختص به جنس من الجنسيين، والمختلط أشد جاذبية للمتفرجين وللمغنين أنفسهم.

والمثير للعامل الدعائي هي كلمات الأغنية وألحانها الحماسيّة أو الشجية التي تهز أوتار أفئدة المستمعين وتعصف بمشاعرهم، وتؤجّج في قلوبهم المتعطشة للحرّية والاستقلال الحالمة بالنصر المبين جذوة الأمل... ففيها تُبرز المغنيات أو المغنين شجاعة المجاهدين وبطولاتهم، وانتصاراتهم وتحديّاتهم في المعارك ضد المحتلين ومن يؤازرهم من العملاء.

وميدان الدعاية غير المقصودة عادة هي الأفراح التي تقام عند الزفاف أو الختان.. والطريف أن بعض المتعاونين – كعملاء – تُغريهم كلمات هذه الأغاني وألحانه وتسحرهم رقصات المغنين وإيحاءاتهم، فيندفعون بدورهم للمشاركة في الغناء والرقص، فيشيدون بالمجاهدين وبطولاتهم ويُشَنِّعون بالعملاء – وهم منهم – بأقبح الأوصاف، كما تعبّر عن ذلك كلمات الأغنية... ويظل ضباط فرنسا الذين يأتون للتفرج أحيانا هم وحدهم من يحاول فهم مدلول كلمات هذه الأغاني ومعانيها قياسًا مع التأثيرات النفسية التي كانت تتركها لدى المغنين والمستمعين معا.

والفن كوسيلة للدّعاية عريق في المجتمع الأوراسي، وحتى لا نذهب بعيدًا، نكتفي بهذا المقطع من أغنية قصيرة قيلت في ابن بولعيد عندما ترشح لانتخابات المجلس الجزائري ممثلا لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية في الرابع من شهر افريل1948... وكان الوطنيون يترنّمون بها في الحفلات الرّسمية وغير الرسمية ويشيعون ذلك بين المناضلين خاصة لمساندة مرشح الحركة: «مصطفى بن بولعيد».

نص الأغنية يا بْرِيزِدان يا بولعيدان – يسلم عليكم الحاج مصالي

إقولكم الفوط على الوطني

كلمات الأغنية كما نرى مزيج من العربية والفرنسية المهذّبة للنطق العربي

مثل: كلمتي، يا بريزدان (رئيس) الفوط (الانتخاب)

وترجمتها: يارئيس يا ابن بولعيد يُسلم عليكم الحاج مصالي (بصفته رئيس الحركة) ويقول لكم انتخبوا على الحزب الوطني. (حركة انتصار للحريات الديمقراطية).

فكانت كلمات الأغنية رغم بساطتها تنفذ إلى قلوب المناضلين وعامة المواطنين كالسهام فتنعشها وتدغدغ مشاعرهم الوطنية فَتُحييها وتبعث فيهم الحمية الوطنية ليقفوا مع مرشح الحركة، وهي أبلغ من قول كل خطيب، وأوضح من كل صحيفة وبيان وبعد فترة قصيرة من اندلاع الثورة، فاضت مشاعر المواطنين والمواطنات من جديد تؤيّد وتشيد، أو تستنكر وتحتقر، وتلوم وتسخر من العملاء وأعوان الاستعمار، وهذه المقاطع صيغت على لسان هؤلاء العملاء ساخرة منهم ومحذّرة إياهم.

أنــــا قـــــومي بــــايع دينـــــي نجمـــــة والهـــــلال مــــا تْـــــواتيني

النّظـــــام مـــــا يَقْبلنـــــي أبنـــــات الجزائـــــر حقـــــروني

وتُحذِّر وتُنذر هؤلاء العملاء من عاقبة مساندة الاستعمار.

القوميـــــة العمـــــى يعمـــــيكم أفرنـــــسا مـــــا تـــــدوم علـــــيكم

الجزائـــــــر تـــــــستقل دوغـــــــول يغـــــــدر بـــــــيكم

وتصف هذه المقاطع الضغط المسلّط على السكان من قبل الاستعمار بالرغم من وضوح الرؤيا وانكشاف الأمر، فلِمَ التّردد، ولم الاختلاف... فيقول:

جاءنـــــا الاســـــتعمار زيّـــــر[1] علينـــــا بالزيـــــار

هـــــذه جنـــــة هـــــذه نـــــار كلمـــــة واحـــــدة يـــــا رجـــــال

تعتبر الأغاني الشعبية أحسن وسيلة للإشاعة، حيث لا توجد الصحف، فهي سهلة الحفظ، سريعة الانتشار، قلّما تنسى حينما تتفق مع الميولات الشخصية للأفراد والجماعات، وكلما كانت كلاما منظوما موزونا خفيفا قابلا للحن، كلما زاد عدد الأشخاص الذين يتناقلونها ويتداولونها.

---

1)- كلمة زيّر دخيلة على العربية ويبدو أنها تعني «ضغط» وأصلها: serrer الفرنسية.

وقد تتم الإشاعة عن طريق القصص والروايات القصيرة التي تصف بطولات المجاهدين واستبسالهم في المعارك، وتتحدث عن الفضائع التي يرتكبها الخونة والمرتدين وعن جبنهم وخبثهم، فيستاء المواطنون من ذلك ويستنكرون، وقد تأخذ الدعاية أبعادًا أخرى ساذجة لكنها طريفة ومؤثرة على نفسيات السكان.

فقد كانت القوات الفرنسية خلال تنقلاتها بواسطة المصفحات، كلما أطلت على قرية من القرى أطلقت أبواق سياراتها المصفّحة صيحات مُفْزعة تثير الهلع والخوف في نفوس الصغار خاصة، وتترك لدى السكان بصفة عامة آثارا نفسية سيئة.

وسرعان ما تفطن الناس إلى الآثار السّلبية التي تتركها هذه الصيحات، فعملوا على تكييفها وإعطائها مدلولا مغايرا تماما لما كانت تهدف إليه، فأعطى هذا التكييف نتائج جيّدة، فقد أشاعوا بين السكان أن تلك الصيحات التي تنطلق من أبواق الدبابات، هي تعبير عن الألم نتيجة الأضرار الجسيمة التي لحقت بقواتها، فاعتقد الناس بذلك وصاروا يستمتعون بهذه الأصوات ويستعذبون سماعها، وكانت أسعد لحظة في حياة السكان أن يشاهدوا سيارات إسعاف تهرع إلى مكان الكمين أو ساحة المعركة لتخلي الموتى والجرحى، بعد كمين ناجح أو معركة ضارية قرب الدوار.

نفس الظاهرة تقريبا تنطبق على الصيحات التي كانت تصدر عن الطائرات الاستكشافية الخفيفة في أثناء قيامها بالمهمّات الاستكشافية في الغابات أو في الأودية أو فوق قمم الجبال... فكانت هذه الطائرة الخفيفة عندما تريد التحليق على مستوى منخفض جدًّا للاقتراب أكثر من هدفها تطفئ أحد المحركين ويخف أزير المحرك الثاني إلى أن يكاد ينطفئ، وعندما تصل إلى هدفها، وتريد الإقلاع بقوة تشغل المحركين معًا، فتحدث صوتا يشبه الزفير الحادّ، وكان هذا الزفير يخيف الناس، فأعطوه بعد مدة تفسيرًا يتّفق مع رغبتهم، وقالوا بأنه يدل على الحسرة والأسف لعدم توصل طاقم الطائرة إلى تحقيق هدفه، وبالرغم من أن هذه العمليات تعد مسائل تقنية بحتة غير أن السكان عندما عرفوا تأثيرها البالغ على النفوس الضعيفة كيّفوا بسرعة مدلولها فأكسبتهم هذه الدّعاية المضادة المناعة بل والقوة أيضا.



طائرة استطلاعية خفيفة كانت تعرف باسم «الكشافة أو البياعة»

اعتمد الاستعمار بأساليبه الدعائية على وسائل الترغيب والترهيب للتأثير على معنويات السكان وتجنيدهم للوقوف ضد الثورة أو صرفهم عنها وجعلهم يختارون الحياد على الأقل... ولا نزعم أنه لم يتمكن من التأثير على بعض الشرائح في المجتمع كانت تتوفر على القابلية والاستعداد للسقوط، غير أنّ تأثيره على عموم السكان كان محدودا وذلك لسببين اثنين واضحين.

- **أولهما**: أن هذه الدعاية كانت تصدر عن طرف يمارس البطش والتنكيل وكل الأفعال الإجرامية ضد الأبرياء والعزل من المواطنين.
- **ثانيهما**: أن هذه الدّعاية كانت تعمل ضد إرادة مجتمع يريد التّحرر والانعتاق من الرق المسلّط عليه من قبل الاستعمار.

وقد ظلت مختلف الشائعات التي كانت تصدر عن الاستعمار وعن غوغاء من البشر تستّروا بظلاله مجرد شائعات تروّج لكن بدون أثر أو بأثر ضعيف.

وقد أدرجنا موضوع الدّعاية في الكتاب لنفيد القارئ بأضرار الشائعات التي أخذ صداها مع مر السنين ينتقل من جيل إلى جيل والمتعلقة خاصة بشخصية الشهيد: ابن بولعيد وغرضنا من التعرض لهذا الموضوع في أول الكتاب أن نزوّد القارئ ببعض المعلومات حول الموضوع ليُفَنّد بنفسه هذه المزاعم التي تهدف إلى النّيل من كرامات رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

الفَصْلُ الثَّانِي

دور أجهزة الاتصال في الحرب

ويصطلح على هذا النوع من الحرب أيضا بحرب الأمواج، وتعني المجابهة عن طريق أجهزة الإرسال على اختلاف أنواعها بين جيش الاحتلال بجميع تخصّصاته، وجيش التحرير على اختلاف مواقعه، وضعف إمكاناته، ودور هذه الأجهزة لا يقتصر على إرسال البرقيّات والاستماع إلى الأخبار وتلقّي التعليمات، فهذه تُعدّ من أبسط الوظائف لهذا النوع من الأجهزة خلال الحرب، فقد استدعى الأمر تطوير هذه الأجهزة لتؤدي وظائف أخرى في غاية الأهمية بالنسبة للمقاتلين والتي منها:

- التقاط رسائل العدوّ أو مغالطته وتوجيهه الوجهة الخاطئة.
- منعه من الاتصال بوحداته والتشويش عليه.
- استغلال المعلومات المتبادلة بين وحداته، والكيد به.
- معرفة أسراره...

كانت وسيلة الاتصال لدى جيش التحرير الوطني في بداية الثورة بسيطة جدّا لعدم توفّر أجهزة الاتصال اللاّسلكي وكذا عدم وجود تقنيين مُؤهلين لاستخدام هذه الأجهزة في حالة انتزاعها من أيدي العدوّ، واكتفت القيادة باستعمال وسائل بدائية ورموز مُتّفق عليها كعلامات، غير أن هذه الرّموز لم تعد تفي بالغرض بالشكل المطلوب، ويمكن أن يتوصّل العدو إلى تفسير مدلولها أو يفشي بمعاني تلك الرموز بعض الأسرى أو المرتدين.

ولعل أهم خطوة قامت بها قيادات المناطق بعد أن أكّدت الثورة صمودها في وجه الحملات التي كانت تعمل على القضاء عليها في المهد قبل أن تتفاقم وتتطوّر الأوضاع، فاستحدثت نوعًا من التخصص في المهام بين المسؤولين، بتعيين مسؤول للاتصال والأخبار في كل نقطة من نقاط تمركز الثورة، مُكلف بالدّعاية والاتصال والأخبار، ومن مهامه:

أ) ربط الاتصال بين الوحدات.

ب) التكفل بالعناصر العابرة لتراب القسمة أو الناحية وتوجيهها.

جـ) مساعدة عناصر الاتصال – حملة البريد – للقيام بمهامهم.

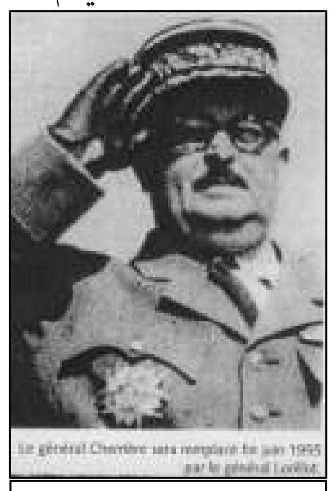
وكان عناصر الاتصال يُختارون من بين أكثر المجاهدين دهاءً وثِقةً، القادرين على تحمّل الأذى مع التكتم في حالة الوقوع في أيدي العدوّ مع القدرة على التمويه والتّستر عند العبور على المناطق المشبوهة وكذا معرفة الأماكن الآمنة والمسالك والطرق الموصلة إلى المكان المقصود، فعنصر الاتصال حامل لأسرار الثورة ومُؤْتَمَنٌ عليها، ونظرا للسرية التامة التي كانت تطبع النشاطات الثورية، فإن الرسائل كانت تكتب في الغالب بواسطة رموز متفق عليها بين المرسل والمرسل إليه أو بواسطة أرقام حيث يرمز كل رقم إلى حرف معيّن أو رسوم أو أشكال معينة حفاظا على أسرار الثورة... وقد اختلفت طرق نقل وتوصيل الرسائل ففي القرى حيث تتواجد مراكز الثورة بشكل شبه دائم، فالرسائل كانت تنقل من مركز إلى مركز بواسطة مسبّلين مناضلين ثقات، أمّا في المدن فإنّ الأوضاع تختلف لوجود صناديق بريد جماعية...



Les goumiers en action. Ils portent la djellaba brune, le turban, la cartouchière. Si ce n'était la marque de leurs armes, on pourrait les prendre pour des rebelles. Que cache ce chargement?

تنقل الرسائل بكثير من الحيطة والحذر عندما تشتد الحملات التفتيشية بعد وشاية أو عثور على بعض الدلائل... حيث تُطوى في طيات الملابس أو توضع في النعال أو تضعها النّساء

بين ضفائرهن وقد توضع بين الأحلاس عند مستخدمي الدّواب في التنقل، وقد تفطن عساكر الاحتلال لذلك، فكانوا يغرزون حِراب أسلحتهم في غرائر الدّواب وما يشبهها من الأحمال عند المرور على نقاط المراقبة للتأكد من خلوّها من الأجسام الصلبة، فحين تصطدم الحربة بجسم ما داخل العدل يُقلب رأسا على عقب وويل لصاحبه إذا عثر لديه على شيء محظور.وقد استعملت وسائل أخرى لنقل المراسلات من الحجم الصغير كأن يُنزع من الرّغيف لُبابه ثم توضع المراسلة مكانه وابتكر المناضلون وسائل كثيرة كلما تمكن العدوّ من اكتشاف إحداها، ابتكروا أخرى، لعب فيها الاجتهاد والمغامرة دورا كبيرا. غير أن هذه الوسائل رغم تنوعها وكثرتها لم تعد تستجيب لتطور الأحداث ولمتطلبات الثورة التي عمّت أرجاء الوطن وتنوّعت حاجاتها واشتدت الضغوطات الاستعمارية وسدّت كل المعابر لمنع الاتصال بين الوحدات، وقد استطاعت سلطات الاحتلال أن تفكّ بعض الرموز التي كانت تستخدمها الثورة في مراسلاتها بعد القبض على بعض عناصر الاتصال أو بكيفية أخرى، فراحت قيادات المناطق تفكّر في ترقية هذه الطريقة التقليدية التي لم تعد تستجيب للتطورات الآنية وللمستجدات. وتجاوز مرحلة الانغلاق المفروض على الثورة في عامها الأول حيث كانت كل منطقة تتصرّف وفق ما تُمليه المعطيات المحلية داخل نطاقها الجغرافي، لعدم وجود وسائل اتصال مع المناطق الأخرى لتنسيق الجهود بعد أن فشل اللقاء المقرّر بين قادة المناطق – مفجري الثورة – المقرر عقده يوم 5 جانفي 1955 – لتقويم نتائج العمليات، والعمل على بناء إستراتيجية موحّدة على ضوء ردود أفعال القوى الاستعمارية التي فضّلت العنف على الحوار، ولعل هذه العبارة التي ختم بها الجنرال «شاريير» تقريره كافية لإنارة الوضع أمام القارئ حتى يكتشف رد فعل قوى الاحتلال، يقول «شاريير»: «إن ما يجري في الجزائر حاليا، يمكن أن تكون له عواقب وخيمة، وعليه ينبغي في نظري، ألا ننسى بأن التأنّي والضعف لا ينفعان في البلاد الإسلامية[1]».



الجنرال: شاريير

1)- الثورة الجزائرية في عامها الأول للدّكتور: محمد العربي الزبيري، ص: 127.

كيف يمكن تجاوز هذه المرحلة؟

الحل يكمن في الحصول على أجهزة اتصال، وهذه الأجهزة يبدو أنها لم تكن مدرجة في المخطط السريع لقادة الثورة بالرغم من أهميتها لوجود وسائل بديلة، رغم بدائيتها، والتي ذكرنا أنواعا منها... وبعد أن أكدت الثورة وجودها، راح قادتها يفكّرون في أساليب تطوير العمل العسكري ضد قوات تتفوق عددًا وعدة، وقد وضعوا مسألة استخدام حرب الأمواج بتقنيات عصرية، ضمن أولوية الأولويات، بحيث تُعيق مخططات العدو وتُربك أجهزته وقد تفطنت القوات الاستعمارية إلى هذه المحاولات بمجرّد أن تجاوزت حدود النوايا وسعت إلى عرقلتها لأنها تعرف مدى خطورتها، إذ يكفي أن يعترف الجنرال «كريبان» الذي خلف الجنرال «شال» في قيادة القوات البرية في الجزائر، وأشرف بنفسه على الحملة الثانية على الأوراس خلال شهر ماي 1961 بأن جهاز الاتصالات اللاسلكية يمثل عصب جيش التحرير الوطني إذ قال وهو يعطي التعليمات الفورية لجنوده: «إذا كان لديكم الاختيار بين تدمير فيلق أو مركز للمواصلات فدمّروا قبل كل شيء مركز المواصلات[1]».

فهذا الاعتراف الصّريح من قبل عسكري محترف في مستوى الجنرال «كريبان» دليل على أهمية الجهاز وخطورته بالنسبة للعدو، وقادة جيش التحرير الوطني بدورهم كانوا يدركون هذه الأهمية، وكانوا في أمسّ الحاجة إليه، غير أن الحصول عليه كغنيمة دونه أهوال بالرغم من أنها لا تمثل المُستحيل، إلا أن الاستفادة منه في ظل الحصار الإعلامي المفروض على الثورة، وعدم وجود شبكة واسعة للاتصالات خاصة بالثورة يجعل امتلاك هذه الأجهزة بدون جدوى.

ففي 30 ماي 1956، قامت فصيلة تتألف من 32 مجاهدا بالهجوم على مركز استعماري بقرية «أمعافة» عين التوتة – باتنة – وكان من جملة الغنائم التي تحصلت عليها جهازي إرسال واستقبال، ولما لم يكن بالإمكان استخدامهما لأغراض نفعية لعدم وجود تقنيين مُدربين في هذا المجال وعدم وجود أجهزة أخرى يمكن التعامل

---

1)- مجلة الجيش العدد 4/4 السنة : أكتوبر 2013، ص: 132.

معها تم إخفاؤهما إلى حين الحاجة إليهما، وربّما تكون قد تعرضت للتلف أو استُردّت إذ لم يرد ذكرهما في أي تقرير من التقارير خلال الملتقيات الولائية أو الجهوية التي تعرضت للموضوع في أثناء الاستقلال، ومهما يكن، فقد أمسى الحصول على أجهزة الإرسال والاستقبال مطلبا مُلحًا لدى جميع القيادات في ظل تطور العمليات القتالية، بالرغم من أن استعمالها سيظل محدودا في حالة الحصول عليها، إذ سوف يقتصر على القيادات وحدها، نظرا للسرية التّامة التي تكتسي طبيعة المعلومات والأوامر المتبادلة بين القيادات ولشساعة المناطق في كل الولايات، ولم يكن الحصول على هذه الأجهزة أمرا هيّنا نظرا للوظيفة الحسّاسة التي تميّزها. غير أن هذه الصعوبة لم تحل دون ظهور عناصر وطنية مغامرة تتحدّى كل الصعاب للحصول على هذه الأجهزة.

كيفية الحصول على أجهزة الاتصال اللاسلكي

لم تحقق محاولات الحصول على أجهزة الاتصال بافتكاكها من جنود العدو خلال العمليات القتالية النتائج المطلوبة، فالعناصر المستخدمة لهذه الأجهزة تكون عادة ملحقة بالقيادة ومحوطة بحراسة خاصة، والوصول إليها محفوف بالمخاطر، وكذا بالنسبة للأجهزة المثبتة على السيّارات فإن تفكيكها يتطلب وقتا وجهدًا، وهذا ما هو غير متوفر لدى جنود جيش التحرير الوطني الذين يعتمدون في هجماتهم على الحرب الخاطفة، وقد استطاع مجاهدو التحرير الوطني غنم بعض الأجهزة عند إخلاء بعض المراكز، مثلما حصل في «أمعافة» وفي «الرّمشي» بضاحية تلمسان، غير أن هذه الأجهزة لم تستغل.

ظهرت أهمية هذه الأجهزة بعد سنة 1955، وراحت القيادة تفكر في إدخالها إلى الخدمة ضمن إستراتيجيتها في تطوير نشاطاتها العسكرية، مهما تكن الصعوبات وقد يكون المثير لهذه الحاجة والمحفز عليها تمكن القائد: بوالصوف: قائد الولاية الخامسة الذي كان بمعية القائد: ابن مهيدي من التقاط برقية هامة تبادلتها فرق الدرك الفرنسي حول عملية قتالية كان الجيش الفرنسي يُعِدُّ لتنفيذها، وهذا في أثناء استماعهم للمذياع عن طريق الصدفة – عندما كانا يقومان بالتقاط الأمواج الصوتية، وكان بحضور المجاهد: صدّار سنوسي، فكانت فرصة نادرة أثارت اهتمام القائدين،

فأمَرَا على الفور، المجاهد: سنوسي بشراء مذياع ذي نوعية جيّدة لغرض استخدامه في التنصت للبرقيات التي كانت تتبادلها مراكز القيادة للعدو[1].

فكانت هذه أول خطوة في التعامل مع العدوّ عن طريق حرب الأمواج باستغلال أجهزة الترانزيستور للتنصت... وفي أثناء اقتحام مركز للعدو بناحية «الرّمشي» تلمسان ثم غنم جهاز إرسال واستقبال يحمل المواصفات التالية: أ - ن - جـ - ر - س/ 9. فأخذت هذه المواصفات من الجهاز لشراء أجهزة مثله، فكانت النواة الأولى في حرب الأمواج مع الاستعمار. ولم تلبث قيادة الناحية الغربية أن تحصلت على أجهزة مثله من القاعدة الأميركية بالمغرب بواسطة الطبيب: كنيسنتي محمد - المدعو - سي إدريس، بأمر من العقيد: بوالصوف دائما، وكان هذا في أوائل سنة 1956[2]، كما تمكنت عناصر وطنية أخرى من اقتناء أجهزة اتصال لاسلكية من ألمانيا الغربية عن طريق مواطنين مقيمين بألمانيا، فأغضب ذلك فرنسا التي كانت تتابع باهتمام ظهور هذا السلاح لدى وحدات جيش التحرير الوطني. فاحتجت بصفة رسمية لدى الحكومة الألمانية التي برّرت الصفقة بأنها جرت خارج الإطار الرّسمي، ولم تكن الدولة طرفا فيها، فقد تمت العملية بين مواطنين جزائريين والشركة المنتجة، فقامت على إثرها المخابرات الفرنسية بسلسلة من الاغتيالات بواسطة رسائل ملغّمة ضد أفراد من الجالية الجزائرية في ألمانيا الغربية، وكانت المنطقة الخامسة (الولاية الخامسة) سبّاقة إلى امتلاك واستغلال أجهزة الاتصال اللاّسلكية بالرغم من تأخرها النسبي في التنظيم وفي المقاومة، فقد أنشأت أوّل محطة للاتصال بمدينة (وجدة) المغربية، ثم أنشأت بعدها محطة ثانية بمدينة (تيطوان) المغربية كذلك إلى جانب مراكز أخرى للاتصال والالتقاط والتنصّت على إذاعات العدو، فقد جاء في مذكرات العقيد: الزبيري آخر قادة الأوراس التاريخيين بأن أجهزة الاتصال لدى وزارة التسليح والمخابرات في الحكومة المؤقتة «تمكّنت من الحصول على

1)- مجلة الجيش. العدد 4/4 سنة: 2013.

2)- ملحمة الجزائر الجديدة للمجاهد: عمار قليل، الجزء الثاني، ص: 101.

معلومات خطيرة تتعلق بعملية «أرياج» على الأوراس خلال شهر أكتوبر 1960 وأرسلت إلى قيادة الولاية الأولى وثيقة (برقية) سرّية في سبتمبر 1960 تتضمن الخطوط العريضة لهذه العملية[1]».

وهذه البرقية تؤكد امتلاك الثورة لهذا السلاح والتحكم في تقنيات استعماله.

أجهزة الإرسال والاتصال تصنف العدو رقم واحد

سلاح الإشارة كسلاح الدعاية كلاهما يمثل الوجه الخفيّ من وجوه الصّراع متعدّد الأشكال بين قوات طاغية تنزع إلى العنف وتتعاظم بفعل القوة التي تملكها، وقوة أخرى تنزع إلى العنف بدورها لاسترداد حريتها المسلوبة وكرامتها الضائعة وتُصرّ على ذلك ولو أدى بها ذلك إلى الفناء «لأن نكون عشرة ملايين من الجثث خير من أن نكون عشرة ملايين من الفرنسيين». هذا التصريح لفرحات عباس رئيس الحكومة المؤقتة ردا على مقترح «دوغول» لإحياء مشروع الاندماج بين الشعبين.

شعرت القوات الفرنسية بأن امتلاك الثورة لهذا السّلاح سوف يُخل بنظام الحرب بين القوتين لصالح جبهة التحرير الوطني، فعزمت على حرمان جيش التحرير منه بكل الوسائل واعتبرت هذا الجهاز العدوّ رقم واحد، بالرغم من أنها تعدّ دولة منتجة لهذه الأجهزة ومتحكمة في التعقيدات التّقنية والتطبيقات المعقّدة التي يتوفر عليها، وأنه بإمكانها تحديد نقطة الإرسال من خلال الذّبذبات الصّوتية التي تصدر عن الجهاز وتحديد الحيّز الجغرافي الذي يتواجد به هذا السلاح لحظة الإرسال من خلال الإشارات التي تصدر عنه وتدميره، ولا شك أن الذي كان يثير قلق الاستعمار هو أن يتمكن تقنيّو جيش التحرير الوطني من التقاط وترجمة وتحليل برقياته، وبالتالي التحكم في التطبيقات الميدانية والسيطرة على ميدان القتال، ولما لم يكن باستطاعة القوة الاستعمارية أن تمنع وحدات وقيادات جيش التحرير الوطني من التّزوّد بهذه الأجهزة الضرورية التي تمكنها من تقليص الفارق المسجل في المردود الحربي بين القوتين غير المتكافئتين لصالح جيش التحرير الوطني، وهذه تعدّ انتكاسة للشرف

1)- مذكرات العقيد: الزبيري آخر قادة الأوراس التاريخيين، ص: 248.

العسكري للجيش الفرنسي الذي تجرّع مرارة الهزيمة منذ سنوات قليلة في الفيتنام، وقد عبّر الرئيس «دوغول» عن ذلك صراحة بقوله: «إذ لا شيء في الواقع أسوأ من حدوث واقعة مؤسفة نجد أنفسنا فيها في صفوف المهزومين[1]»، واعتبرت تجريد جيش التحرير الوطني من هذا السلاح أولوية الأولويات وكل الوسائل والطرق ممكنة، فلا شيء يُجبر القوات الاستعمارية على الالتزام بالشرعية التي ظلت تنتهكها كل يوم، ولا شيء يحول بينها وبين استعمال المحظور من السّلاح كالنابالم والفوسفور... والتجرّد من الأخلاق باللجوء إلى الخديعة والغدر بالتلغيم وتفخيخ أجهزة الاتصالات اللاّسلكية وإلقائها حيث تعتقد تواجد أفراد جيش التحرير الوطني... فرنسا تعلم مقدار حاجة جيش التحرير إلى هذه الأجهزة ومقدار خطورتها على تحرك وحداتها، فلابد إذًا من أن تجعل الطّعم مناسبا للحاجة، وأن تلقي بأجهزة مُمَوهة في الغابات بواسطة الطائرات أو تنقل من طرف عناصر عميلة، وتوضع في أماكن حيث يتحرك أفراد جيش التحرير الوطني فتنطلي حيل أجهزة المخابرات الفرنسية التي تُضمرُ الخديعة لِلسّذج من أفراد جيش التحرير الوطني، عندما يعثرون على هذه الأجهزة ويعتقدون أنها غنيمة لا تقدر بثمن فينقلونها إلى مقرات القيادة، وهذا ما تهدف إليه مصالح الاستعلام الفرنسية، وعند محاولة تشغيلها من طرف قياديين في جيش التحرير الوطني يقع الانفجار وتحدث الفاجعة، فتحقق أجهزة المخابرات الفرنسية أربعة أهداف دفعة واحدة.

أ) القضاء على عناصر قيادية خطيرة.

ب) القضاء على عناصر تقنية مؤهلة لتشغيل هذه الأجهزة.

جـ) تدمير الأجهزة المتواجدة بالمقر.

د) زرع الرعب والشّك في أوساط مستعملي هذه الأجهزة والاعتقاد دومًا باحتمال تفخيخها.

ولم تكتف القوات الاستعمارية بإلقاء الأجهزة في الغابات حيث تعتقد وجود قادة جيش التحرير، بل راحت تلاحق هذه الأجهزة التي تحصلت عليها وحدات أو قيادات

1)- مذكرات — الأمل — للجنرال: دوغول، ص: 72.

الجيش، وتبحث عنها في كل مكان وباستعمال كل الوسائل بهدف تدميرها، ونكتفي هنا بمثالين اثنين لإيضاح الفكرة

المثال الأول من الولاية الأولى: ومرجعنا قائد الولاية العقيد: الطاهر الزبيري من خلال مذكراته الشخصية.

والمثال الثاني من الولاية الرابعة: ومرجعنا في الموضوع، المجاهد: مصطفى التونسي، تقني راديو.

يقول العقيد: الزبيري في كتابه مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين، تحت عنوان: معركة التنصت «شرعت القوات الفرنسية في تطبيق المرحلة الأولى من هذا المخطط، حملة أرياج على الأوراس سنة 1960، ومحاولة اكتشاف مركز الولاية الأولى ومكان جهاز الاتصال بواسطة طائرات فرنسية خاصّة بالجوسسة والتنصّت تحوم على جبال الأوراس، لعلها تلتقط ذبذبات جهاز إرسال الولاية، ومن خلالها يتم تحديد مركز الولاية، أما نحن، فكنا نتجنّب الاتصال بقيادة الثورة في الخارج في النهار، بل نتعمد الاتصال بها ليلا وباستعمال شيفره خاصة، بحيث يتم تغييرها في كل مرة حتى لا يتمكن العدو من تفكيكها، وعند سماعنا لمحرّكات طائرات التجسّس الفرنسية نوقف الاتصال... وفي إحدى المرات وصلت إلى العدو معلومات تفيد بأن مركز القيادة – الولاية الأولى – يضم بصفة عامة أعضاء قيادة الولاية الأولى، وهم ينشطون في محيط جغرافي محدّد بشكل تقريبي فخصصت طائرة شحن من نوع: (nord – 2501K) حملت (زوّدت) بأجهزة تنصّت جدّ متطورة من آخر جيل... للقيام بمهمة ليلية خاصة، تتمثل في اكتشاف مكان محطة راديو الولاية الأولى... فاستغرب المجاهدون طيران هذه الطائرة ليلا على علو منخفض في ليل مظلم فتمّ توقيف الإرسال... وفجأة اقتربت الطائرة من حاجز صخري ضخم، فحاول الطيّار تصحيح المسار لتجنب الحاجز، غير أن الطائرة ارتطمت بالحاجز الصخري وانفجرت بمن فيها، وبعد أيام نشرت الصحف الفرنسية خبرًا يفيد مقتل 11 ضابطا في سلاح الجو الفرنسي[1]»... إن القوات الفرنسية لن تكتفي بالعمل المباشر مع جيش التحرير الوطني لمنعه من الاستفادة من خدمات أجهزة الاتصال

---

1)- مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين – العقيد: الزبيري الطاهر ص: 249 – 250.

الحديثة وتطوير قدراته العسكرية، فكل الوسائل عند الاستعماريين ممكنة، فالمهم الوصول إلى الغاية وستظل وصية «روبير لاكوست» التي أسداها إلى الجنرال «ماسو» قائد الفرقة العاشرة للمظليين عندما قال له: «لا تشغل بالك بالقوانين» – وهو يتأهّب للقيام بمهمة حفظ الأمن في العاصمة – منهاج عملهم وأسلوب حياتهم في انتهاك كل الأعراف.

ففي حديث مطول مع المجاهد: مصطفى التونسي، خريج مدرسة الناظور اللاسلكية بالمغرب الشّقيق دفعة الشهيد: العربي بن مهيدي لسنة 1957، أدلى به لمجلة أول نوفمبر العددان (88 – 89) يناير / 1988، يقول: «نظرا لما كان يحدثه جهاز الاتصال والاستقبال في نفوس الأعداء من فزع ورعب وهلع، ولما كان يقدّمه من خدمات للثورة، جعله العدو في مقدمة اهتماماته وحاول تعطيله ولتحقيق ذلك، أنشأ مركزا خاصّا بنواحي حسين داي لتعليم الشباب كيفية تعطيل الجهاز المذكور، وبعد انقضاء مدة التكوين يُوزّع المتخرّجون على المناطق لتأدية مهامهم، وفي هذا الإطار قَصَد المنطقة الثانية – الولاية الرابعة – شابٌّ، قال عندما سُئل عن مؤهلاته وخبراته ومقدراته أنه يُحسن تصليح أجهزة اللاّسلكي، وهذا النوع من الخبرات هو ما تفتقد إليه الثورة تمامًا ولما اطلع العقيد: سي أمحمد بوقرة على ذلك طلب مني أن أرفقه معي ليساعدني، فقلت له: إن الجهاز يحمل أسرارا كبيرة وخطيرة لو علم بها العدو لكانت الكارثة، وهذا الشاب لا نعرف عنه شيئا، قد يكون صادقا وقد يكون خائنا. قال العقيد: فلنجرّبه ونراقبه... وبعد شهرين قال لي العقيد: إن الشاب قد أثبت صدق نواياه وشجاعته، فقد شارك في عدة معارك وكمائن وهجُومات، فأخذته معي رغم أني مازلت أشكّ في نواياه، ولكي أتأكد من ذلك رُحت أكتب على أوراق رموزا وأُوهمه أنّها الأوراق التي استعملها للاتصال بالخارج ثم ألقي بها على الأرض وأنصرف، مع العلم أن الواجب يقضي حرق الورقة نهائيا، كي لا يبقى لها أثر، وأظل أراقبه من بعيد، فإذا به يتقدم نحوها ويأخذها، وعندما نحاول اجتياز طريق معبّد يتأخر عنا وعندما نسأله، أين كنت؟ يقول: كنت أقضي حاجتي... ومن خلال هذه التصرفات تأكد لي أنه خائن، وقد جاء لهدف معيّن، فقدمت تقريرا في الموضوع للعقيد: سي أمحمد بوقرّة، ولمّا اطلع على ذلك طلب مني إحضاره مقيّدا، ولما مَثُل أمامه، سأله العقيد: ماذا تريد أن تفعل؟ قال الشاب: أنا كوّنتني فرنسا بحسين داي وعلمتني كيفية تخريب الجهاز، وجئت هنا لهذا الغرض أخرّب الجهاز ثم أعود، ولما

تأكد العقيد سي أمحمد من ذلك قدّمه لمحكمة جيش التحرير الوطني، فحكمت عليه بالإعدام فنُفذ على الفور[1]».

وسوف لن تقتصر قوات الاحتلال على هذه الدّسائس وحدها لمنع جيش التحرير من امتلاك أجهزة الاتصال... ففي السادس عشر من شهر أكتوبر 1958، قاد الجنرال: «فور» حملة عنيفة بقوات عسكرية قوامها عشرة آلاف جندي على مركز القيادة في الولاية الثالثة، وكان قد أعطى قبل انطلاق العملية تعليمات لجنوده بتعقُّب شيئين اثنين: أجهزة الاتصال والمحافظين السيّاسّيين، فهما في نظر «فور» عماد قوة جيش التحرير الوطني وسرّ صموده وقد وضعت القوات الفرنسية أجهزة مراقبة خاصة في حالة يقظة قصوى تتابع استعمال هذه الأجهزة وتسعى إلى تحديد أماكن تواجدها بهدف تدميرها، يقول مصطفى التونسي - المرجع السابق - «طلب مني العقيد: سي أمحمد بوقرة تحديد موعد مع بوصوف – قائد الولاية الخامسة – ليكلّمه، فقلت هذا ممنوع، فقال أنا المسؤول أعطيتك أمرا. وفعلا اتصل بوجدة، وحددت موعد الثانية عشر زوالا من اليوم الثاني – تاريخ الحديث المباشر مع بوصوف وعند الموعد المحدّد كان بولصوف أمام الجهاز، وبدأ الحديث وتشعّب وطال ودام ما يزيد على الساعة، وأنا أهمس وأحذّر من العواقب الوخيمة، ونحن كذلك إذا بِسرب من الطائرات تَجُوب سماء المنطقة في محاولة منها تحديد المكان بالضبط، فقلت للعقيد ألم أقل لك؟ قال: وماذا سيفعلون؟[2]».

فقد كانت الحرب سجالاً بين أجهزة الاتصال اللاسلكية للقوات الفرنسية وقوات جيش التحرير الوطني، بالرغم من التفوق الساحق للقوات الاستعمارية ليس من جانب التحكم في استخدام هذه الأجهزة المتطورة فقط، لكن بالعمل الجاد في التصدي لها وتعطيلها بكل الوسائل بالتشويش والتدخل في المكالمات لتزييف الأخبار والمعلومات وتحريفها وتوجيه وحدات جيش التحرير الوطني الوجهة الخاطئة قصد الإيقاع بها... فكانت حربا من نوع خاص – عرفت بحرب الأمواج –

1)- مجلة أول نوفمبر – العددان: 88، 89، السنة 1988، ص: 40 – 41.

2)- مجلة أول نوفمبر العددان: 88 – 89 السنة: 1988، ص: 40.

وكان للفطنة، والذكاء، والبداهة، وسرعة الاستجابة، والحدس الدور الرئيسي. وبالرغم من تفوق العدو في استغلال هذه الأجهزة، كونه يمثل القوة المنتجة والمبدعة لهذا السلاح، فإن لجيش التحرير الوطني أيضا محطات حقّق فيها انتصارات أذهلت القوات الفرنسية وأجبرتها على إعادة النظر في حساباتها... فقد استطاع مظليان جزائريان شاركا في العُدوان الثلاثي على مصر أكتوبر 1956 الفرار والالتحاق بتونس وهما: 1) عياطة مصطفى، 2) وحاكم محمد إسماعيل، وقد أدمجا في مصلحة الاتصالات بحكم التجربة، فحقّقا بسرعة نتائج فائقة عندما تمكّنا من الدخول في اتصال مباشر بجهاز التوجيه وإدارة العمليات في أثناء معركة «تاسقيفت» بتاريخ 27 أفريل 1957 بالولاية الثانية، وأن يعطيا أوامر للمدفعية الفرنسية بقصف مواقع بعيدة عن أماكن تمركز المجاهدين.. مما أتاح للمجاهدين فرصة الانسحاب من ميدان المعركة بأقل تكلفة من الخسائر... غير أن هذه الانتصارات تظل ظرفية ومحدودة.

ومهما تكن الأوضاع والمستجدات على السّاحتين السياسية والعسكرية، فإن هذه الأجهزة ستظل الهدف المصنّف ضمن أولويات العمل الاستخباراتي للعدو في سلسلة من العمليات استخدم فيها أجهزة إرسال مفخخة كطعم سائغ بعد أن تأكّدت – هذه المصالح - من تلهف جيش التحرير الوطني من اقتنائه، وبعد أن ثبت لديها أيضا بعد الدراسة والتمعّن قلة النّضج ونقص اليقظة لدى كثير من المجاهدين، مما يجعلهم عرضة للمكائد وفرائس لتضليل مصالح الاستخبارات الفرنسية المتخصّصة في التضليل، من أمثال: النقيب: ليجي والعقيد: غودار... وقد نسج هذان الضابطان وغيرهما سلسلة طويلة من المكائد أصابت الثورة في الصميم، ويجب أن لا نخجل من أنفسنا، كما يجب أن لا يتملكنا الغرور أيضا، فعدونا يعرف عنا الكثير، فقد جاء في كتاب – حرب الجزائر – ملف وشهادات لـ/ «باتريك إيفينيو» – و – «جان بلان شايس» «أن أحد العوامل الكارثية للثورة كان يكمن في نقص النضج السياسي لدى مجموعة كبيرة من إطارات الثورة[1]» ولم يكن النضج السيّاسي

1)- حرب الجزائر لـ/ باتريك إيفينيو وجان بلانشايس – الجزء الأول –، ص: 16.

هو العائق وحده، كما لم يكن إطارات الثورة هم وحدهم من يعاني من هذا النقص، والأسباب عديدة، سيجدها القارئ في الصفحات اللاحقة.

مصالح الاستخبارات الفرنسية تحقق عدة نجاحات في هذا المجال

لعل أول عملية وأخطرها تلك التي أعدتها وقامت بتنفيذها مصالح استعلامات العدو، عندما ألقت بجهاز إرسال وسط غابة «تامشط» بالجبل الأزرق بالأوراس، غير بعيد عن وحدة عسكرية كانت متمركزة بالمكان، فتظاهرت بأنها كانت تقوم بإمداد الوحدة بحاجاتها بواسطة المظلات، وألقت خلالها بجهاز إرسال قرب هذه الوحدة – سنعود إلى الموضوع بالتفصيل عند الحديث عن حادثة اغتيال ابن بولعيد – موضوع الكتاب – فهذا الجهاز هو الذي أودى بحياة ابن بولعيد، فحققت هذه المصالح نتائج أكثر مما كانت تتوقع.

* أما العملية الثانية، فقد استهدفت إذاعة محلية كانت تبثّ برامجها من الولاية الثالثة، وهي مبادرة من قيادة هذه الولاية جديرة بالتنويه، فكانت هذه الإذاعة التي بدأت تبثّ برامجها تزامنا مع الذكرى الرابعة لاندلاع الثورة «الفاتح من نوفمبر 1958» وكانت تستهل برامجها بافتتاحية «صوت الجزائر من قلب الجزائر» وتذيع أخبارها بالعربية وبالقبائلية وبالفرنسية، كانت مصدر إزعاج ومحل بحث ومتابعة من قبل السلطات العسكرية الفرنسية، وعندما لم تتمكن من تحديد موضعها بدقة بهدف تدميرها بطريقة مباشرة، لجأت إلى المكيدة كعادتها بإلقائها لبطارية ملغمة عثر عليها أحد المجاهدين فَحَمَلها إلى مقر الإذاعة، وعند محاولة تركيبها وقع انفجار مهول أسفر عن مقتل ثلاثة فنيّين وتدمير مقرّ الإذاعة وإتلاف كل الأجهزة فتعطلت عن البث منذ 9 ديسمبر 1958م[1].

* أمّا المكيدة الثالثة فهي التي ذهب ضحيتها التّقني «آيت حمو»من خريجي مدرسة الناظور – الدفعة الثانية أوائل 1957 – وقد عُيّن في الولاية الثالثة، وظل بها إلى ان استشهد من جراء انفجار بطارية ملغمة مُعدة من قبل المصالح السّرية للعدو[2].

---

1)- ملحمة الجزائر للمجاهد: عمار قليل الجزء الثاني، ص: 104.

2)- معالم بارزة في ثورة نوفمبر 1954 الملتقى الأول بباتنة 1989، ص: 177.

❖ والمكيدة الرابعة الموصوفة من قبل الدكتور: سعدي بالخطة الجهنمية والتي يقول عنها: «إن نفس السيناريو الذي أدّى إلى مقتل ابن بولعيد تم تجريبه على عميروش، إذ قامت إحدى فرق الكومندو الفرنسيّة بإلقاء بطارية مفخّخة مركبة على جهاز إرسال واستقبال في نواحي الأربعاء «ناث إيراثن» فعثر عليها مجاهدون على سبيل الصُّدفة وحملوها إلى مركز قيادة الولاية الثالثة، وصادف أن هذا الجهاز الموجه إلى «عميروش» لم يستعمل لعدة أشهر، إذ بقيت البطارية المرفقة بالرّاديو صالحة للاستعمال طيلة الوقت الذي كان فيه العقيد بمركز القيادة، وقد انفجر – الجهاز – بعد مرور أكثر من سنة، عندما حاول القائد – محند أولحاج – أيام تولي نيابة عميروش، بعد ذهابه إلى الاجتماع بعقداء الولايات في الشمال القسنطيني من 6 إلى 12 – 12 – –1958 الاتصال بتونس بواسطة الجهاز المزود بالبطارية التي كرّمهم بها الجيش الفرنسي، فكان الانفجار رهيبا ومهولا مزّق عاملين فنّيين وأصيب كل من الرائد: محند أولحاج، وضابط الحُبوس عبد الحفيظ أمقران بجروح متفاوتة الخطورة[1]».

❖ المكيدة الخامسة، ولعلها أخطر هذه المكائد وأشنعها... تلك التي قام بها العقيد: «جاكان» المدعو (IKS) قائد المكتب الثاني للجنرال: سالان الذي تمكن من تحديد خط سير العقيد: لطفي عند محاولته الدخول إلى الوطن عبر جنوب بشار بواسطة منظومة الإنصات للعدو... وبعد معركة ضارية استشهد فيها جميع مرافقي العقيد لطفي... وسلبت منهم جميع الوثائق وكذا جهاز الاتصال، فاستغله العقيد: جاكان طيلة 4 أشهر في تضليل القيادة بوجدة وبقية هياكل جيش التحرير الوطني وقد لحقتها من جراء ذلك خسائر فادحة[2].

فالمكائد التي نفّذتها مصالح الاستخبارات الفرنسية كثيرة ولا يمكن حصرها، فكانت عناصرها تستغل حاجات جيش التحرير الوطني، فتضلله بتسريب هذه المتطلبات إليه بطرق شتى، كأن تلقي بذخيرة حيّة لكنها مفخخة أو تحتوي على كمية من البارود ناقصة حتى إذا أطلق الجندي الرصاصة حصلت في الماسورة... أو تبعث

---

1)- عميروش – حياة موتتان للدكتور: سعيد سعدي، ص: 177.

2)- عن مذكرات اللواء حسين بن معلم باختصار ص: 192 – 193.

بها مع عناصر عميلة تتظاهر بالولاء للثورة، كما حصل مع عناصر اعتقدت القيادة أنها استمالتهم للعمل لصالح التنظيم الفدائي بالعاصمة، فاستمالوا بدورهم عسكريين فرنسيين في العاصمة فكانوا يُزوّدون خلايا الفدائيين بقنابل موقوتة أو مفخّخة تنفجر بمجرد سحب سدّاد الأمن منها، كما كانوا يسرّبون لهم ذخيرة مفخّخة تنفجر عند الاستعمال ضد مستخدميها...

وقد اصطنع الفدائيون علاقات صداقة مع جنود فرنسيّين ليبتاعوا منهم بعض الأسلحة يتم تسريبها من الميناء مباشرة، فاستغلها الأمن الفرنسي للإيقاع بهؤلاء الفدائيين.

سلاح الإشارة أنظمته وتطوره خلال الثورة

جاء في مجلة الجيش العدد 4/4 لشهر أكتوبر 2013 بأن أول نواة لسلاح الإشارة قد ظهرت عندما أُرسل جنود من القاعدة الشرقية سنة 1955 لتلقي تكوين في القاهرة حول كيفية استعمال أجهزة الاتصال اللاّسلكي والبرق، وهذا لتنسيق الأعمال القتالية بين الوحدات وقد تخرجت في شهر جوان 1956، كاتب المقال لم يتعرّض إلى الجهة التي قامت بإرسال الدّفعة والتكفّل بها، ولم يذكر كذلك بعض عناصرها، إلاّ أنه حدّد المنطقة التي انطلق منها هؤلاء الجنود وهي القاعدة الشرقية، كما حدد التاريخ بسنة 1955.

مع أن القاعدة الشرقية لم تأخذ إطارها السّيّاسي والعسكريّ بخصوصياته كمنطقة مستقلة عن الولايتين اللتين كانتا تحاولان احتواءها، وهما الولاية الأولى أوراس – النمامشة، والولاية الثانية الشمال القسنطيني إلا في شهر ديسمبر 1956، كما أشار إلى ذلك العقيد: الزبيري: في«مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين» – وهو أحد العناصر القيّادية المنتمية إلى هذه الناحية – مذكرات الزبيري ص: 179 – والذي شارك في الاجتماعات التأسيسية – نفس المرجع ص: 178، يقول الزبيري: «وقد تقرر أخيرا قبول مقترحات ناحية سوق أهراس التي حملها العقيد أوعمران الموفد إلى الناحية من قبل لجنة التنسيق والتنفيذ، واعتبار منطقة سوق أهراس منطقة مستقلة بنظامها وقياداتها عن الولايتين الأولى والثانية»[1].

1)- مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين، العقيد الزبيري ص 178 – 179.

وتكاد جميع المراجع تتفق على أن العقيد: بولصوف عبد الحفيظ قائد المنطقة العسكرية الخامسة كان أول من أبدى اهتمامًا خاصّا بهذا النوع من السّلاح، بعد أن شعر بخطورته فسعى إلى إدخاله في الصراع واستغلاله لإملاء فراغ رهيب في صراع حرب الأمواج ظلت القوات الاستعمارية تحتكره لوحدها... إذ كانت البداية تتمثل في عمليات استراق السمع ومحاولة التقاط برقيات العدو والتنصّت لمكالماته عن طريق اللّاسلكي، فأمر المجاهد: صدار بمحاولة إيجاد جهاز مطابق للجهاز الذي مكّنه من التقاط أمواج صوتية لمكالمات بين قادة عسكريين فرنسيين تتعلق بعملية عسكرية تنوى القوات الفرنسية الإعداد لها، وقد استطاع المجاهد: صدار أن يحصل على جهاز استقبال (T.S.F) قديم النّوع، تشكّلت على إثره خليّة عمل ضمت إلى جانب المجاهد: صدار كل من: عبد الكريم حساني، وبوعلام حكّار، والذّيب بومدين، فكانت أول خلية لسلاح الإشارة تظهر إلى الوجود... فكانت الانطلاقة إنشاء أول مدرسة لتكوين فنيّين في مجال الاتصالات بعد إضراب الطلبة 19 ماي 1956، والتحاق العديد منهم بالثورة، ممن يحملون مؤهلات تسمح لهم بالتكوين في هذا المجال. فقبل مؤتمر الصومام: 20 أوت 1956، كان قائد الولاية الخامسة عبد الحفيظ بولصوف قد أعطى بُعدًا خاصا لهذا السلاح، وبادر بإنشاء مدرسة في ناحية «الناظور» بالمغرب، حيث أعطى الانطلاقة الرسمية لها في الثامن من شهر أوت 1956...وكانت الدفعة الأولى تتكوّن من 26 طالبا أغلبيتهم من الطلبة تم إخضاعهم لنظام عمل صارمٍ وقيود استثنائية، نظرًا لخطورة المهمة وحساسية هذا السلاح والسّرية التامة التي تنوط به، يؤطرهم مجاهدون تدرّبوا على تقنيات استعمال أجهزة المواصلات السّلكية واللاّسلكية خلال أدائهم للخدمة العسكرية الإجبارية في صفوف القوات الفرنسية، وقد كان التكوين شاقا مُرهقا وسريعًا، نظرا للسرعة التي كانت تتميز بها الأحداث داخل الوطن، إذ كانت مدة الدراسة تمتد إلى 18 ساعة في اليوم، وقد أُطلق على الدفعة الأولى التي دخلت التراب الوطني نهاية سنة 1956 اسم الشهيد: «أحمد زبانة»، كما أُطلق على الدفعة الثانية اسم الشهيد: «ديدوش مراد» وتتكون من 50 جنديّا تقنيًّا، وقد دخلت التراب الوطني عام 1957، بينما أطلق على الدفعة الثالثة اسم الشهيد: «العربي بن مهيدي» التي ينتمي إليها المجاهد: مصطفى التونسي تقني راديو في الولاية الرابعة – سبقت الإشارة إليه –

نظام الدراسة في هذه المراكز

يقول المجاهد: مصطفى التونسي: «كان مركز التدريب عبارة عن مسكن متواضع يقع خارج مدينة الناظور – يبعد عنها قليلا – به عدة غرف استغلت كقاعات للتدريب وقد جهّزت هذه المدرسة بأحدث الوسائل، وكان يشرف على تكويننا إطارات أكفاء أمثال: المرحوم: سي عمر شليحي، وهذا الأخير هو الذي سَهِر على إنشاء المركز بأمرٍ من بولصوف، وموسى صدار، وسي أبو الفتح... وكان التدريب صعباً جدًّا، ولا أبالغ إذا قلت أن ما تعلمناه نحن في شهرين قد يتعلمه الجيش النظامي في سنتين... ولضمان السرية التامة مُنع الطلبة من مغادرة المركز مهما كانت الأسباب[1]».

تطوير لجهاز إرسال حيّز خبراء العدو

«كان الجهاز الذي تم الحصول عليه من القاعدة الأميركية لا يتجاوز مداه 100 كم، ولكننا - يقول: مصطفى التونسي – أدخلنا عليه عدة تعديلات، فصار يتجاوز مداه 700 كم، وهذا ما أدهش خبراء العدو. إذ أن الوثائق المرفقة به تُبيّن أن الجهاز لا يتعدّى مجال إرساله 100 كم وهذا ما جعل سلطات العدو تتساءل عن نوعية جهاز لم يكن بحوزتها، وحتى الخبراء الأميركيين الذين صنعوا الجهاز لم يكونوا يعرفون أن الجهاز بهذه القوة[2]».

فقد كانت الولايتان الرابعة والخامسة سبّاقتان في إدخال أجهزة الاتصال إلى الميدان وكانتا أوفر حظّا في استغلالها والاستفادة من خدماتها مقارنة بالولايات التاريخية الأخرى، فقد كان لكل منطقة من مناطق الولايتين جهاز خاص بها تستغله في الاتصال وفي الخدمات الأخرى كالتنصت وإرسال البرقيات هاتفيًّا أو بالمورس.

وقد حدثت عدة محاولات لتعميم هذا السلاح الهام على باقي الولايات في الوطن... تؤكد ذلك وثيقة عثرت عليها القوات الفرنسية لدى القائد: عميروش بعد استشهاده. وكان من المقرر أن يعرضها في اجتماع أمام المسؤولين بتونس – أوائل أفريل 1959 – تقول الوثيقة

---

1)- مجلة أول نوفمبر العددان 88 – 89 فيفري، ص: 39.

2)- مجلة أول نوفمبر حديث مع المجاهد: مصطفى التونسي العدد: 88 – 89، السنة: 1988.

«لم تتسلم الولاية الثالثة إلاّ جهازي إرسال (اثنين) في شهر أوت 1958 دون معدات تصليح، بينما توجد في ولايات أخرى نواحي تملك أجهزة إرسال. لماذا لم تتسلم الولاية الثالثة سوى جهازي إرسال (اثنين)، وفي وقت متأخر، إن الصعوبات في نقل الأجهزة عذر غير مقبول... إن مهمات الرّبط والاتصال كلفتنا عشرات القتلى[1]».

«ولضمان تعميم هذا النوع من السلاح الحيوي على باقي مناطق وولايات الوطن أنشئت مدارس أخرى في تونس، وقد جُنّدت لها ألمع العناصر، لكن بولصوف ركز معظم قواته التنظيمية في المغرب بعيدا عن الأنظار قبل أن ينقلها إلى مزرعة تقع على بعد 80 كم جنوب طرابلس... حُولت بعدها إلى ثكنة، وقد أطلق على الموقع اسم ثكنة (قاعدة) «ديدوش مراد»[2]...» نظام الدراسة في هذه المدارس صارم للغاية وقاس جدًّا يصفه عبد المجيد حومة، حيث يقول: «كنا نعمل ونأكل وننام في نفس المكان دون أن يكون لنا أي اتصال بالعالم الخارجي، كنا معزولين تمامًا، ومن الذين كانوا معنا أذكر، مصطفى التومي وعيسى مسعود(المذيع الشهير) حتى أن بعضهم أصيب بالانهيار العصبي، بل وكان هناك من حاول الانتحار عدة مرات، كان ينبغي وصول الطبيب النفسي لتطلق صفارات الإنذار[3]». وتعد مساهمة هؤلاء التقنيين في الثورة التحريرية –كل على حسب اختصاصه – من المهام الجليلة في إنجاح مسار الثورة، فقد كان لهم الدور الفعال في المعركة، مع أنهم كانوا يؤدّون عملهم في الخفاء بعيدًا عن الأنظار، إنهم جنود الخفاء، جندت القوات الاستعمارية جميع الوسائل لمواجهتهم وجهزت كل الإمكانات لمنعهم من إدخال هذا السلاح إلى المعركة، وبالرغم من النجاحات النسبية التي حققتها – القوات الاستعمارية – لكنها لم تمنع هؤلاء المجاهدين بدون سلاح من المشاركة في المعركة، فقد كانوا عصب جيش التحرير الوطني.

---

1)- عميروش حياة موتتان وصية للدكتور: سعيد سعدي، ص: 89 – 90.

2)- عميروش حياة موتتان وصية للدكتور: سعيد سعدي ، ص: 221 – 222.

3)- المرجع نفسه.

إصرار القوات الفرنسية على تجريد جيش التحرير الوطني من أجهزة الاتصالات (اللاسلكية)

«مع مطلع سنة 1958 كانت قيادات الولايات الخمسة مجهّزة بمحطات إرسال واستقبال. يدير محطة الولاية الأولى المجاهد: منصور رحال الذي عاش وشهد الاستقلال ويدير محطة الولاية الثانية، المجاهد: نصر استشهد في بداية عام 1962 وكان يدير محطة الولاية الثالثة المجاهد: أيت حمو، خريج الدفعة الثالثة سنة 1957 استشهد اثر مكيدة انفجار بطارية من تلغيم مصالح الاستخبارات الفرنسية ويدير محطتي الولاية الرابعة المجاهدان: شعيب ومصطفى التونسي أما الولاية الخامسة، فكانت بها عدة محطات فرعية، وأهم محطة بها كانت تحت إشراف قيادة الأركان بالولاية[1]»، ولم يرد في المرجع الذي اعتمدناه حديث عن الولاية السادسة ويبدو أنها لا تتوفر على محطة إرسال، تؤكد ذلك عدة قرائن منها أن قادة الولاية السادسة كانوا يبعثون ببرقياتهم إلى قيادة الأركان العامة عن طريق محطة الولاية الأولى منها: «رسالة الرائد: الطيب الجغلالي التي بعث بها إلى قيادة الأركان العامة بتاريخ 20 جويلية 1959 المتعلقة بتحفظ قادة المناطق عن ولايته واقتراح إعفائهم من مهامهم[2]».

وقد ظلت القوات الفرنسية تلاحق تحرك هذه المحطات رغم الحذر الشديد الذي كان يلتزم به مستعملو أجهزة الاتصال والحراسة الخاصة التي كانت تحظى بها، فكانت القوات الفرنسية تحدّد مواقعها عن طريق أجهزة متطورة تتحسّس الذبذبات الصوتية التي كانت تصدر عنها.. فتقوم بقنبلة الموقع بسرعة بواسطة المدفعية أو بواسطة الطائرات النفّاثة، فحاول تقنيّو هذه المحطات التكيّف مع الوضعيّة باستعمال هذه المحطات ليلا فقط.. ثم الانتقال من المكان بسرعة فور تلقي أو إرسال البرقية.

وخلال حملة «شال» العنيفة بداية من خريف 1959 اضطرت بعض الولايات إلى إخفاء أجهزتها حتى لا تقع في أيد العدو. أو يتمكن من خلال التقاطه للمكالمات أو البرقيات من تحديد أماكن تواجد القيادات المرتبطة وجوبا بهذه الأجهزة، غير أن هذه

---

1)- معالم بارزة في ثورة نوفمبر 1954، الملتقى الأول بباتنة سنة 1989، ص: 144.

2)- كتابنا: الثورة التحريرية أمام الرهان الصعب، ص: 641.

الحيطة لم تحل دون تدمير معظم هذه الأجهزة أو السيطرة عليها، لعل آخرها بالنسبة للولاية الرابعة التي كانت تتوفر على عدة محطات، كانت محطة الإرسال الخاصة بقيادة الولاية، يقول عنها المجاهد: مصطفى التونسي «توقف الاتصال بالخارج عن طريق أجهزة الإرسال والاستقبال يوم: 8 أوت 1961، عندما اكتشف مركز الاتصال بقلب مدينة البليدة، واستشهاد الرائد: محمد بونعامه ومسؤول المحطة وذلك بعد معركة طاحنة وسط مدينة البليدة التي كان بها مقر الولاية الرابعة وبها أيضا محطة الإرسال والاستقبال[1]».

ومما يؤكّد أيضا صحّة إخفاء أو تدمير معظم المحطات التي تتواجد بحوزة جيش التحرير الوطني على مستوى كل الولايات تقريبًا ما جاء في مذكرات العقيد: الزبيري «مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين» من أن الولايتين الثانية والثالثة كانتا ترسلان تقاريرهما إلى الولاية الأولى قصد إرسالها عبر جهاز الإرسال إلى القيادة في الخارج، وهذا يؤكد عدم توفر أجهزة إرسال مثلها لدى قيادة الولايتين.

وتؤكده أيضا رسالة من القيادة العسكرية – بتونس – إلى الولاية الأولى – للتبليغ تدعو مسؤوليها لإبلاغ عميروش باجتماع العقداء في أفريل – 1959 – بتونس.

---

1)- مجلة أول نوفمبر العدد: 88 – 89 في حديث مع المجاهد: مصطفى التونسي ص: 41.

ARMEE DE LIBERATION
NATIONALE ALGERIENNE

TRANSMISSIONS.
-0-0-0-0-0-0-

MESSAGE N° 59/70. FLASH.

C.O.M A WILAYA-1.

MESSAGE ULTRA SECRET stop VENEZ ASSISTER A REUNION
GROUPANT CHEFS ETATS MAJORS EST OUEST ET COLONELS WILAYAS sto
SE TIENDRA FRONTIERE ALGERO_TUNISIENNE stop DEBUT AVRIL
PROCHAIN stop DEVEZ AVANT QUITTER WILAYA DESIGNER COMITE POUR
COMMANDER PENDANT ABSENCE stop DEVEZ EN OUTRE ETUDIER PRO_
_BLEMES MILITAIRE POLITIQUE ECONOMIQUE FINANCIER EFFECTIF ET
LISTE OFFICIELLE AVEC BIOGRAPHIE DE TOUS stop BILAN SOUS FOR_
_ME DE RAPPORT ECRIT stop PRIERE ENVOYER MEME MESSAGE AU
COLONEL AMIROUCHE stop NE SOMMES PAS EN LIAISON RADIO AVEC
LUI stop ET CE POUR QU IL ASSISTE A REUNION stop /fin
EMIS 19/1/59 A 09 H 30
RECU 21/1 17 H 00

جيش التحرير الوطني

مصلحة الارسال

رسالة رقم 70/59 فلاش.

من القيادة العسكرية إلى الولاية 1

رسالة سرية جدا. قف. ندعوكم لحضور اجتماع قادة الأركان الشرقية والغربية وعقداء الولايات. قف. سينعقد على الحدود الجزائرية التونسية. قف. أوائل أفريل المقبل. قف. عليكم قبل مغادرة الولاية بتعيين لجنة قيادة في فترة الغياب. قف. عليكم أيضا بمعالجة المشاكل العسكرية السياسية الاقتصادية المالية وإعداد قائمة رسمية تتضمن سيرة كل واحد. قف. حصيلة في شكل تقرير كتابي. قف. الرجاء إرسال نفس الرسالة إلى العقيد عميروش. قف. نحن لسنا في اتصال لاسلكي معه. قف. وهذا من حتى يتمكن من حضور الاجتماع. قف. انتهى.
سلم في 59/1/19 على 9سا و 30 د
تم تسليمه في 1/21 على 17 سا

رسالة من القيادة العسكرية إلى الولاية 1. تدعو مسئولها لإبلاغ عميروش باجتماع العقداء المقرر في أفريل بتونس.

رسالة من القيادة العسكرية إلى الولاية الأولى، تدعو مسؤوليها لإبلاغ عميروش باجتماع العقداء المقرر في أفريل (1959) بتونس

نص الرسالة

رسالة سرية جدا. قف — ندعوكم لحضور اجتماع قادة الأركان الشرقية والغربية وعقداء الولايات. قف. سينعقد على الحدود الجزائرية التونسية. قف. أوائل أفريل المقبل.....................

الرّجاء إرسال نفس الرسالة إلى العقيد: عميروش. قف. نحن لسنا في اتصال لاسلكي معهُ، وهذا حتى يتمكن من حضور الاجتماع. قف. انتهى. 19 – 1 – 1959[1].

ومما يرجّح أن الولاية السادسة لا تتوفر بدورها على محطة اللّاسلكي خلال سنة 1959 السنة التي استشهد فيها قائدها سي الحواس ما جاء في «نصر بلا ثمن» للكاتب: محمد عباس «عن التطورات السّلبية التي شهدتها الولاية السّادسة بعد استشهاد سي الحواس، ورفض النقباء قادة المناطق الانصياع لأوامر الرائد: بوقاسمي (الطيب الجغلالي)، وفي 20 جويلية 1959 أشعر الجغلالي قيادة الأركان بواسطة محطة اللاّسلكي بالولاية الأولى بهذه المشكلة مقترحا إعفاء قادة المناطق المتحفّظين على ولايته وإرسالهم إلى تونس أو المغرب[2]».

إن هذا الاستطراد في موضوع يبدو من حيث الظاهر أنه لا يتصل بموضوع الكتاب أو بمحتواه إنما أردنا من خلاله أن نبين مدى حاجة الثورة إلى امتلاك هذا السلاح واستغلاله لمواجهة القوات الاستعمارية التي ظلت تحتكره طوال السنوات الأولى، وتُصرّ على حرمان جيش التحرير من امتلاكه، ولما كانت هذه السلطة تدرك تمامًا خطورة هذا السلاح في حال انتشاره بين الوحدات وتمكّن جنود جيش التحرير من التحكّم في استعماله، اعتبرته هدفًا مثاليًا في جميع حملاتها التي كانت تشنّها على مراكز قادة الولايات، بل خصصت له مصالح خاصة في دوائرها للاستعلام والبحث عنه بكل وسيلة، وبالرغم من الحرص الشديد الذي كانت تبذله قيادات الثورة ومن الحيطة والحذر الذي ظل يلتزم به مستعملو هذه الأجهزة، فإن القوات الاستعمارية استطاعت أن تحدّ من انتشاره بل وأن تدمّره في أكثر من موقع وتجرّد القيادات والجنود منه في أغلب الولايات كالثانية والثالثة والرابعة.

---

1)- عميروش: حياة موتتان وصية للدكتور: سعيد سعدي، ص: 306 – 307.

2)- نصر بلا ثمن لـ/ محمد عباس، ص: 534.

وعندما أدركت مصالح الاستخبارات الفرنسية شدّة حاجة الثورة لهذا السلاح، وعلمت أن جنودنا لا يتمتعون بقدر من الحصافة والعقل الواعي في هذا المجال، استغلت هذه الأجهزة للإيقاع بعدد من القادة ومن الإطارات، فراحت تلقي بأجهزة وبطاريات مفخخة بواسطة الطائرات أحيانا أو يتعمد جنودها تركها في الغابة والتظاهر بضياعها أو يتم وضعها في أماكن معيّنة يتردّد عليها المجاهدون من قبل عناصر عميلة ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قِبله العذاب، فتنطلي الحيلة على المجاهدين عند العثور عليها، ويظنون أنها هِبة من السماء فيحملونها معهم إلى مراكز القيادة أو حيث تتوفر التجهيزات التقنية أو العناصر المؤهلة... وعندما تحاول هذه العناصر تشغيل هذه الأجهزة تحدث الكارثة.



استعمال سلاح الإشارة خلال الثورة التحريرية

الفصل الثالث

نجاح الثورة مرهون بجودة التنظيم

ما من شك في أن قادة الثورة كانوا قد عرفوا أسباب فشل الثورات والانتفاضات التي كانت تندلع هنا وهناك خلال فترة التوسّع الاستعماريّ واجتياح مناطق جديدة في الوطن، غير أن هذه الثورات انتهت بالفشل جميعها لمجموعة من الاعتبارات أهمها:

1) قلة وسوء التنظيم.

2) أنها كانت تجري في نطاق جغرافي معين.

3) تتزعمها قبيلة أو زاوية وتقوم باسمها.

4) ذات أهداف محدودة.

5) تعاني من نقص في الإمداد وفي الموارد وفي التوعية.

6) تعاني من ضعف في التأطير.

هذه الاعتبارات سواء كانت مجتمعة أو متفرّقة هي التي أدت بالثورات السابقة إلى الإخفاق. فكان على قادة الثورة أن يتجنّبوا الوقوع في نفس الأخطاء، وأن يوفّروا المناخ الملائم للقيام بثورة شاملة عارمة تهزُّ أركان الكيان الاستعماري وترغمه على الإصغاء لمطالب شعب طالت معاناته، وأصبح يعتقد تماما بأنه«لم يبق مع الاستعمار إلاّ الهراوة» على حدّ تعبير النائب عن حزب البيان«قدور بوساطور».

وسيكون المناخ ملائما عندما تتم ترقية المواطن، وبعث الشعور الوطني في نفسه بالاعتزاز بالشخصية الوطنية والانتماء الحضاري، وإحياء الأمل في نفسه بإمكانية استعادة الكرامة الضائعة والاستعداد للتضحية ، ولا نغالي إذا قلنا بأن الكثير ممن استجابوا لنداء الثورة في السنة الأولى من أبناء الريف – مهد الثورة وحاضنها – خاصة كانوا لا يفقهون معنى الوطن، وأن عامل الدّين عندهم كان يسبق عامل القوميّة، قبل أن تتمّ ترقيتهم السياسية داخل الحركة الوطنية قبل وخلال الثورة، وكان الوطن عندهم يعني موطن

القبيلة، وقد غذي الاستعمار هذه العقلية الضيّقة بتكريسه لنظام القبيلة الذي يقدّسه كل شخص ويعتبر المساس به (موطن القبيلة) مساس بشرف القبيلة، بإنشائه – الاستعمار – لأنظمة شبه إدارية أسماها القيادات، والمشيخات، وأعطاها الصبغة الإدارية.

غير أنه، وبالرغم من الهزائم التي مُنيت بها الثورات السّابقة، فإن الأسرة الجزائرية نواة المجتمع ظلت محافظة على كيانها متمسكة بتقاليدها رغم المحن التي راحت تتعاقب عليها، وقد اعترف بذلك واحد من الذين شاركوا في صنع مأساة هذا الشعب، الجنرال: دوغول في مذكراته – الأمل – حيث يقول: «فات الأوان لفرض أيّ نوع من التبعيّة، ذلك لأن منبت الأسرة الإسلامية، ودينها، وطرق معيشتها، ومعاملتها ردحًا طويلا من الزمن كفئة دنيا، مهملة، مهزومة، جعلها تتمتع بشخصية قويّة جدًّا ومؤلمة جدّا بحيث لا تدع أحدًا يمزّق كيانها أو يسودها[1]».

هذه الصّورة المأساوية المؤلمة التي يمتزج فيها الألم بالأمل كانت منطلق رواد الحركة الوطنية الذين أعادوا زرع الأمل في النفوس المحبطة، وعملوا على ترقية فكر المواطن بتجاوز حدود القبيلة كإطار له إلى فكرة الوطن الواحد والمواطنة وترقيته سياسيّا واجتماعيا وأخلاقيا بإعداده لخوض معركة الشرف، بثقة كاملة في النفس، وأمل كبير في النصر واستعداد كامل للتضحية، وكانت هذه الفئة التي يصفها «دوغول» بالدنيا والمهملة، والمهزومة أكثر الفئات استجابة لنداء الوطن وصانعة الملحمة طوال سنوات الثورة.

نجاح الثورة في الأوراس مرهون بضمان عامل الوحدة

معظم سكان الأوراس إن لم نقل كلهم كانوا من الفئة التي ذكرها دوغول، والتي أشرنا إليها، وبالتالي، فإن هذه الفئة كانت أكثر الفئات تقبّلا للتضحية، وأقلّها تشبّثًا بالحياة، بالرغم من صعوبة ترقيتها سيّاسيّا لانعدام مستوى التكوين لديها فكان مستوى الخطاب مع هذه الشريحة في حدود ما رُوي عن الزعيم: محمد بوضياف أنه اتصل خلال شهر جويلية 1954 بالمناضل: العربي دماغ العتروس، ليطلب منه الانتقال إلى القاهرة كمسؤول عندما تندلع الثورة، فقال له العربي دماغ العتروس:

1)- مذكرات – الأمل – للجنرال: دوغول، ص: 54.

«تستطيع أن تطلب مني أن أضحيّ بنفسي وأفراد أسرتي ودوّاري من أجل هذه الفكرة النبيلة فأفعل ذلك، ولكنني لا أستطيع أن أغامر بمصير الشعب الجزائري[1]» ففهم بوضياف المتحمس للمعركة أن الرجل قد جبن أو استكان، فقال له: «إِنْطَرْطْقُوها بِلاَ جدّكم[2]» أي أننا سنفجرها رغم أنوفكم، فكان على ابن بولعيد، وهو الرّجل العصامي أن يُواجه سلسلة من التحديات وأن يذلّل كثيرا من الصعاب قصد إعداد المواطن في الأوراس خاصة للنضال من أجل الاستقلال الذي لم يكن يفهم معناه إلا من خلال سلسلة من المفاهيم المرادفة التي تعني: رحيل الكفار، ذهاب النصارى، رفع الغبن، إلغاء الضريبة، فكان عليه:

1) أن يزيل الخلافات والتشنجات التي تسود بين القبائل والتي كثيرا ما كانت تؤدي إلى الاقتتال والتناحر والعداء المستحكم، وتُعدّ هذه أخطرها.

2) أن يعيد زرع الأمل في النفوس بإمكانية النّصر بعد الهزائم المتكررة ضد الاستعمار أقربها إلى الأذهان ثورة الأوراس 1879 والتي تركت جروحا عميقة في قلوب السكان، نتيجة عمليات النفي والاضطهاد والتغريم والتنكيل والتجريد من الممتلكات، وقد استسلم أفراد بعض الأسر من ضحايا هذه المأساة إلى اليأس ومالوا إلى الاستكانة.

3) مداهنة أعوان الاستعمار، والتعامل معهم وفق ما تمليه المعطيات السياسية اتقاء لشرهم.

4) السعي إلى إخضاع من كانوا يُوصفون في دوائر الاستعمار بلصوص الشرف، وبالمنافقين عند عامة السّكان والذين اعتصموا بالجبال بسبب قضايا لا تمتّ للسياسة بصلة. فحاول تخليصهم من السّلبيات التي اشتهروا بها وإخضاعهم للنظام بإدماجهم في الحركة السيّاسية قصد الاستفادة من تجربتهم عند الشّروع في العمليات الحربية ضد العدو.

5) تشجيع الجمعيات والنشاطات ذات الطابع الديني باعتبارها الحلقة التي يلتئم تحت رايتها الجميع واستغلالها في التوعيّة السياسية والتمسّك بالعادات والأخلاق الفاضلة.

---

1)- إشكالية القيادة في الثورة الجزائرية الولاية الأولى نموذجا، ص: 32.

2)- المرجع نفسه.

6) السهر على توفير الأمن والحماية والإيواء للمناضلين الوطنيين – إطارات المنظمة الخاصة – الذين لجأوا إلى الأوراس بعد النكبة التي أصابت المنظمة الخاصة – الأداة الثورية في مارس 1950، وقيام قيادة الحزب بحل المنظمة بدل إعادة هيكلتها – ربيع 1951، فكان للأوراسيين شرف استقبالهم وتوفير الحماية والأمن لهم، كما كان لهؤلاء القادة فضل المساهمة في إيقاظ الوعي السيّاسي والحسّ الوطني في نفوس الأوراسيين، أمثال:

1) رابح بيطاط.
2) عمار (مصطفى بن عودة)
3) إبراهيم حشاني.
4) العربي بن مهيدي.
5) زيروت يوسف.
6) لخضر بن طوبال...

بالإضافة إلى هذه النّشاطات التي كان يمارسها في سرية تامّة، كان على اتصال دائم بتنظيمات الحركة الوطنية، وبالشخصيات السيّاسية في فرنسا، أمثال: الحاج مصالي وفي ليبيا، بأحمد بن بله وبغيرهما قصد تنسيق المواقف وتوحيد الرؤى وتبادل المعلومات والأفكار لمواجهة عدو شرس الطباع أصرّ على التّشبث بالأرض كالعلقة. ولعل أصعب مرحلة في مشوار ابن بولعيد النّضالي كانت تتمثّل في إزالة الأحقاد والضغائن التي ترسبت بين بعض القبائل وإعادة الصفاء إلى القلوب، قصد تجنيدها لهدف نبيل، وهذا لن يتم بسهولة إلا إذا اقتنع الجميع تمامًا بأن الخطر المشترك الذي يهدّد الجميع هو الاستعمار، وباستغلال العامل المشترك الذي تحصَّن به الجميع – المعتقد الديني الراسخ في العقول –.

فهذان العاملان وحدهما كفيلان بإحداث نوع من الصدمة تهزّ النفوس، وإيجاد قدر من التقارب المفضي إلى الوحدة والتلاحم بين الجميع لمواجهة المصير المشترك، وليس من العسير أن يعثر ابن بولعيد المعروف بتواضعه وحنكته السيّاسية على عناصر من طينته بين القبائل المحيطة بمركز نشاطه – آريس – بعض هذه العناصر كانت تناضل في الحركة الوطنية منذ ظهورها في الأوراس وفي سرية تامة، وبعضها انتمى إلى حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بعد تأسيسها سنة 1946 على أنقاض حزب الشعب، فكانت هذه العناصر متشبّعة بالفكر الوطني مهيأة للتجاوب مع ابن بولعيد الذي صعد نجمه، بعد أن فاز بثقة الحزب وتم ترشيحه ممثلا للحركة في

انتخابات المجلس الجزائري التي جرت في الرابع من شهر أفريل 1948 وفي الحادي عشر منه - الدور الثاني.- وقد أكّدت نتائج الانتخابات في الدّورين الأول والثاني حدوث نوع من التحوّل في المفاهيم بين عامة الناس وحصول قدر كبير من الوعي السيّاسي والحسّ الوطني لدى المواطنين... غير أن الإدارة وبقرار من الوالي العام «إدمون نايجلان» كانت عازمة على حجب الفوز في الانتخابات عن حركة الانتصار الممثلة محليّا في شخص ابن بولعيد، بعد أن رفض الخضوع لإرادة الحاكم (فابي) في آريس، الذي أراد مساومته. وقد علّل الوالي العام: نايجلان هذا التزييف بقول سخيف، عندما قال: «لقد كان لنا الاختيار بين انتخابات يُزيّفها حزب الشعب الجزائري، وانتخابات تزيفها الإدارة، فاخترنا الأخيرة».

فأجّج هذا التزييف شعلة النضال في قلوب أنصار الحركة، فهبّ من وسطها مناضلون أظهروا التحدي وأبدوا الاستعداد للمقاومة، وقد كان لفوز ابن بولعيد ولإقصائه معا ارتدادات في أوساط الحركة كان من نتائجها:

1) صعود نجم ابن بولعيد على السّاحة السّياسية.

2) ظهوره كرجل قوي يرفض المساومة والخضوع لإدارة الاستعمار.

3) تأكُّد المناضلين من عزم الاستعمار على مواصلة مصادرة الحقوق الشخصية للجزائريين.

4) ظهور عناصر (قد تكون نواة للثورة) مستعدة لاستعمال العنف لاسترداد الحق المغتصب.

5) اعتبار هذه الإهانة اختبارا وتحدّيا للمناضلين خاصة ولعموم المواطنين.

انتخابات الرابع من أفريل 1948. أعطت لشخصية ابن بولعيد رغم إقصائه إشعاعًا أبعد مما كان يتصوّره الاستعمار، إذ أظهر المواطنون على اختلاف انتماءاتهم القبلية تعاطفًا وتضامنا صريحين معه، فكان هذا أحد العوامل التي سمحت له بالتغلغل في أعماقها بواسطة مناضلين قدامى، كان قد اكتسب ثقتهم، أمثال: مصطفى بوستة، عاجل عجول، الطاهر أنويشي، عمار أمعاش عباس لغرور، مسعود بلعقون، محمد بن مسعود بلقاسمي، وآخرين من دونهم ممن تجشموا الأخطار وصالوا وجالوا في الأقطار لحشد الرأي العام من أجل نصرة القضية الوطنية.

فهؤلاء المناضلون العِصاميون، وبالرغم من ضحالة مستوياتهم المعرفية، ومحدودية تكوينهم السيّاسي، فهم يعرفون تمام المعرفة الوسط الاجتماعي ومستوى التفكير والتكوين النفسي للإنسان الأوراسي الذي هو انعكاس للبيئة التي تحتضنه، «إذ تجد عنده صفاء السريرة وصراحة القول وصدق الكلمة، بالقدر الذي تلمس عنده وعورة الانصياع بالقوة وصعوبة الانقياد بالجبر، وبقدر ما يحتمل قساوة الطبيعة وشظف العيش يضيق بظلم الإنسان وتسلّطه. هذا التكوين الخاص والمميّز يفسر لنا اِندفاعات الإنسان الأوراسي وانتفاضاته بشكل تلقائي[1]».

وقد استغل القائد: ابن بولعيد ومن معه هذه الخصائص المميّزة للإنسان الأوراسي في إذكاء الروح الوطنية في قلبه. فكانت عملية التوعية والتّجنيد في غاية الدقة إذ لم يكن المواطن يُقبل كمناضل في الحزب إلاّ بعد أن يمر على أربعة أطوار هامة يتأكد المسؤولون من صدق وطنيته ومدى إخلاصه وحبّه لوطنه واستعداده للنضال من أجله. فكان التصنيف يتم بالشكل التالي: مُحب، مؤيّد، مشترك، ثم مناضل. بحيث لا يُصنّف الشخص مناضلا في الحزب إلا إذا أثبت ولاءه التّام للحزب ويقبل بكل الالتزامات التي تدخل في هذا النطاق:

- كالحضور الدائم للاجتماعات.
- عدم إفشاء أسرار الحزب.
- الاستعداد للتضحية.
- تطبيق تعليمات وأوامر الحزب.

كل المؤشرات التي سبقت اندلاع الثورة في الفاتح من نوفمبر تشير إلى أنّ كل التّشنجات التي سادت العلاقات بين القبائل في الأوراس، قد طُويت إلى الأبد، وأمست شيئا من الماضي، وأن الشعب في الأوراس بكامله أمسى جاهزا لتحمل مسؤوليته التاريخية ولعل هذا الاستعداد الذي أبداه الشعب والجاهزية التي ظهر بها هي التي حملت ابن بولعيد لأن يقول في آخر اجتماع عقده الستة مفجرو الثورة في «رايس حميدو» بالعاصمة في 23 أكتوبر 1954 عندما لاحظ بعض التّردد عند بعض القادة لعدم اكتمال الاستعدادات «بأن الأوراس مستعدة لتحمل أعباء الثورة وحدها

1)- ثورة الأوراس لـ/ عبد الحميد زوزو – ص: 28 – 29.

– 9 – أشهر كاملة إلى أن تستكمل بقية المناطق إجراءاتها التّنظيمية» وقد تحملتها فعلا، وتعرضت لعمليات تطهير كما يصفها جنرالات فرنسا، في شكل حملات شرسة مثل: عمليتي «فيوليت» و«فيرونيك» من 19 إلى 23 جانفي 1955، قادها ضباط سامون حازوا على أوسمة الشرف العسكري أمثال: الجنرال: بارلنج، والجنرال: شاريير، والعقيدان: بيجار وديكورنو، وهؤلاء جميعا يحملون سجلات حافلة بالجرائم، تعبّر عنها تهديداتهم الصريحة عند حلولهم بالأوراس «فشاريير» هو صاحب المقولة الشائعة: «إنما جئت هنا لأخير الشاوية على أي حطب يشوون» و«ديكورنو» الذي عاد في أثناء حملة المِذراة سنة 1961 وأطلق شائعة أخرى لإثارة الرعب والفزع في نفوس السكان حين قال: «الأوراس مهد الثورة وسيكون قبرها» غير أن هذه الشائعات لسوء حظهم لا تجد منفذا إلى قلوب السكان.



جنود سنيغاليون شاركوا في عملية التطهير بالأوراس منذ 2 نوفمبر 1954

اتّبعت الثورة تكتيكا حربيّا خاصا أربك القوات الاستعمارية في البداية بتبنّيها لحرب عصابات في مناطق يعرفها جنودها جيدا، فحرمت بذلك جيش العدو من تحقيق الفوز السّاحق الذي كان يحلم به بتطهير جبال الأوراس من المتمرّدين – حسب تعبيرهم – فقد جاء في كتاب: التاريخ العسكري لـ/ هنري لومير، الصفحة: 42..«. وكان الرجال القلائل من الجيش الهائمين بالطبيعة وفي عالم لم يفهموه... لأنه وخلال الثلاثي الثالث عام 1955، لم يكن يتسنّى لهم أي شيء.. يكتبون إلى أوليائهم رسائل غير سارة وكانوا يلحّون عليهم ببعض المال الذي قد يساهم في بعض السعادة، وكانت هذه الرسائل شاهدة على سعة خيال صاحبها، حيث جاء فيها: «أمّي العزيزة، أعذري خطي المضطرب، ولكنني

أتواجد بالأوراس الرهيب، وأكتب لك واضعا ساقا على ساق وعلى سارية بالإسطبل الذي اضطررت للجوء إليه، كأسد شرع يلتهم البقرة التي تسكن معي...[1]» وعندما اشتد ضغط القوات الاستعمارية على الأوراس، ولم تكن المناطق الأخرى قد استكملت الإجراءات التنظيمية على مستوى أقاليمها لِتُفكّ الحصار عن الأوراس بفتح جبهات أخرى.. شكلّت قيادة الثورة في الأوراس عدة فصائل من أحسن العناصر وأكفإ القادة وبعثت بها إلى أطراف المنطقة الأولى وحتى خارجها لتناوش القوات الاستعمارية في مناطق تصنّفها بالآمنة، وهذا عن طريق إرساليات متعاقبة توجّهت إلى سوق أهراس، وكذا إلى سطيف ولمسيلة وبريكة وشمال الصحراء، بحيث وصلت بعض فلولها إلى الجلفة وقد أظهر جنود هذه السرايا من الحماس وحب التضحية ما كان مثار إعجاب السكان وكانوا يسمّون بالفاتحين لاجتيازهم لمناطق ظلت هامدة قبل وصولهم.

بهذه الإستراتيجية تمكنت قيادة الثورة من أن تخفّف من ضغط القوات الفرنسية على الأوراس... عندما شعرت هذه القوات بأن قواعدها الخلفيّة لم تعد آمنة، تراجعت إلى الخلف لتأمين مؤخرات جيوشها... لا شك أن تقارير «شاريير» الجنرال الشرس صاحب مقولة «إن التأني والضعف لا ينفعان في البلاد الإسلامية» هي التي حملت الوالي العام: «روجي ليونار» لأن يؤكد في لقاء بباتنة جمعه بالسلطات المحلية يوم 21 جانفي 1955 «بأن تصفية المنطقة والقضاء النهائي على التمرد يتطلبان شهورا عديدة بسبب ما يخلقه الميدان والمحيط من صعوبات متنوعة وكبيرة[2]» وقد لعب المحيط كما أسماه الوالي العام في البداية دور الحليف الطبيعي للثوار الذين تمرّسوا على الحركة بين أحضانه منذ نعومة أظفارهم، وشكّل أحد العوائق التي منعت جيش الاحتلال من الإجهاز على الثورة في المهد... فقادة الاحتلال قد استهانوا بالموقف، وظنّوا حسب تعليقاتهم الساخرة أن هذه الانتفاضة لن تتجاوز «قعقعة رعد وسط سماء صافية».

وقد يكونون مُحقين في ذلك لأنهم يجهلون تمامًا أساليب التنظيم الجديد الذي تبنّته قيادة الثورة، وظلوا يعتقدون أن هذه الانتفاضة قد لا تختلف من حيث الشكل والمضمون عن الانتفاضات السابقة، سواء فيما يتعلق بأساليب التنظيم أو التكتيك المتّبع في القتال. «لأن انحطاط الأهالي –في نظرهم وحسب تعبيرهم –ليس بيئيا إنّما وراثي أساسي لا يعالج». هذه

---

1)- مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية، ص: 909 عن التاريخ العسكري لحرب الجزائر.

2)- الثورة في عامها الأول للدكتور: العربي الزبيري، ص: 127.

النظرة الفوقية التي خيّمت على عقلية الاستعماريّين عسكريين ومدنيين رغم وضوح الصورة هي التي ستؤدي إلى إطالة الحرب وإلى زعزعة الثقة بين الشعبين... إن النقاط الثلاثة التي ذّيل بها بيان أول نوفمبر تحدّد بوضوح العلاقات المستقبلية بين الجزائر المستقلة، وبين فرنسا، وقد تعهّد قادة الجبهة باحترام المصالح الفرنسية، الثقافية والاقتصادية المكتسبة بنزاهة، كما وضعوا كُلّ الفرنسيين المقيمين في الجزائر – بين خيارين – إما أن يختاروا الجنسية الجزائرية ويصبحوا مواطنين يتمتعون بكامل الحقوق أو يحتفظون بجنسيّتهم ويعاملون كأجانب في إطار القوانين السارية التي تربط بين البلدين، غير أن محترفي القتال أحباب الموت والفناء أرادوا شيئا آخر «إن الجزائر هي فرنسا وأن المفاوضات الوحيدة هي الحرب» تعليق عن الحدث لوزير الداخلية الفرنسي «فرنسوا ميتران» يوم 5 نوفمبر 1954، وخلال ربيع 1956 «غي مولي» رئيس الحكومة الفرنسية «يؤكد تصميمه على مواصلة الحرب وأنه لن يتفاوض مع أحد[1]» وزعم «بورجس مانوري» بأنه «لا يوجد مستمعون صالحون في الجزائر يمكن التفاوض معهم[2]». هذا التصلب في المواقف من قبل الفرنسيين مدنيين وعسكريين في الحكومة الفرنسية لن يثن قادة الثورة عن زعمهم على مواصلة الكفاح من أجل التحرر والانعتاق، وقد شجعهم على ذلك تهافت الشّباب على الانضمام إلى الثورة حتى أنّ ابن بولعيد اضطر إلى تسريح بعض الجنود ممن لم يتفطن الاستعمار لالتحاقهم بالثورة لنقص في الأسلحة والذخيرة، كما خاطب المقاتلين بكل صراحة بنية تطهير الصفوف من العناصر الفاشلة التي لا تقوى على الصّمود في اجتماع انعقد بتافرنت – الحدور – ضم رؤساء ستة أفواج في 14 نوفمبر 1954 قائلا: «من فشل منكم فليعد إلى أهله دون حرج لكن بعد أن يسلم سلاحه للثورة[3]» والسؤال المثير للجدل. هل هذا الانصهار الكامل لقبائل متفرقة كانت تعيش حالات توتّر وتشنّج في العلاقات أملته الضرورة القصوى لشعور الجميع بوجود عدو خارجي مشترك تجب محاربته على حد قول «نابليون بونابارت» «اصنع لي عدوًّا خارجيا اصنع لك أمة موحدة»أم أن هذه الوحدة صنعتها قيادة حكيمة تمثلت في شخصية قوية تمتلك جميع مواصفات الزّعامة، واعتبرت بمثابة حصن منيع للثورة في الأوراس، وبدونها تعود هذه القبائل إلى حالة من التفكك والتّشرذم مرة أخرى وظهور زعامات لا تحظى بالتأييد المطلق كالذي كان يحظى به ابن بولعيد، فتتنافس على القيادة

1)- حرب الجزائر – ملف وشهادات لـ/ باتريك إيفينيو – و – جان بلانشايس، ص: 223.

2)- المرجع نفسه، ص: 215.

3)- رواية المجاهد مصطفى بوستة ابن بولعيد والثورة الجزائرية، ص: 606.

والريادة، ويسود الصراع المنطقة فيضعف مردودها العسكري وتَتَدَنّى هيبتها المعنوية، بعد أن كانت مثلا في الوحدة وفي الصمود، فيؤدي هذا إلى تدخل أطراف أخرى نظامية بهدف إصلاح الأوضاع، فيؤدي هذا التدخّل إلى مضاعفات أخرى سلبية على مسار الثورة في الأوراس فتتضاعف النكسة (وساطة الرائد: عميروش) ذلك ما سنراه لاحقا.

عودة الحكم المركزي إلى الأوراس

ساهمت النزعة التحرّرية لدى سكان الأوراس في إضعاف الصلات التجارية والروابط الاجتماعية بغيرهم من السكان، فأثر هذا سلبا على حياتهم التي لم تتطوّر إلا قليلا، مقارنة ببعض المناطق في الوطن.. «مما جعل الحياة الاجتماعية للسكان تتصف بالخشونة والقسوة وتتميز بالعداء والتناحر الذي جعل أهالي الأوراس على استعداد دائم لمواجهة المهاجمين دفاعا عن استقلالهم وذودا عن مواطنهم[1]».

ومهما يكن فلم تكن الأوراس هي وحدها التي تتمتع بهذه الخاصية، إذ أن جميع المناطق الجبلية المصنفة مثل الأوراس كمناطق للطرد البشري، كانت تمر بنفس الظروف، ويذكرنا الرائد: محمد الصغير هلايلي في مقالة مُطولة ظهرت في جريدة الشروق بتاريخ 14 أكتوبر 2006 بحقيقة تاريخية لا مناص من الرجوع إليها، وهي «أن قبائل الأوراس لم تعرف الحكم المركزي منذ زوال دولة الكاهنة وكسيلة، ولم تتخل عن ظاهرة القيادات اللامركزية طوال قرون من الزمن، لكنه ولأول مرة منذ ذلك التاريخ البعيد تتوحّد هذه القبائل مرة أخرى، وتخضع طواعية لقيادة مركزية واحدة تسمى جبهة التحرير الوطني، وباحتضانهم لها انتشرت الثورة وانتصرت وإن دل ذلك على شيء، فإنما يدل على التطور الذي أحدثته الثورة المعجزة في نفوسهم وفي سلوكاتهم[2]». فهذا التطور الذي أحدثته الثورة في الذهنيات إنما جاء نتيجة تضافر مجموعة من العوامل بعضها خارجية، وبعضها داخلية.

فكان من بين العوامل الخارجية:

---

1)- مجلة الأصالة عدد: 60/ 61، ص 130 – السنة 1978.

2)- جريدة الشروق 14 أكتوبر 2006 مقال للرائد: هلايلي محمد الصغير.

أ) الصدى الذي أعقب الحربين العالميتين الأولى والثانية سيما وسط الأسر التي شارك أبناؤها كمجندين في هذه الحرب التي لا ناقة لهم فيها ولا جمل.

ب) أحداث ثورة الأوراس وما خلّفته من أحقاد وضغائن نتيجة تجريد السكان من ممتلكاتهم وتغريمهم ونفي المشتبه فيه منهم وإلحاق أضرار بمعظم الأسر.

جـ) الممارسات الدنيئة التي يمارسها ممثلو الاستعمار من قياد وأعوان شرطة ودرك وخوجاوات، وغيرهم ضد المواطنين حيث بلغ الاستهتار ببعضهم أن كانوا يُلجمون الرجال كالحمير – كما كان يفعل الهاشمي بوضياف – بإيشمول[1].

د) انتهاكات للأعراض ومصادرات للأموال، واشتراط لولائم فاخرة، كما اعتاد أن يفعل محمود بشتارزي قائد أولاد سلطان[2].

هذه الممارسات الحقيرة التي كان يُمتهن بها المواطنون العزل الذين لا يملكون من وسائل القوة إلا التضرع إلى الله بأن ينتقم لهم من هؤلاء الجبابرة الذين تسلطوا عليهم، وحُلمُهم البعيد أن تتاح لهم الفرصة ليتمكنوا من عدوهم.

مضاعفات هذه الأحداث هي التي أدت إلى اندلاع ثورة الأوراس سنة 1879، وقد ظلت أصداء الهزيمة التي لحقت بالسكان ترن في قلوب الأبناء والأحفاد... ولم تتغيّر المعاملات قيد نملة بل ازدادت قسوة بهدف تحطيم كبرياء المواطن وإرغامه على الخضوع والاستكانة، فراح السكان يترقبون الفرج من السماء. فما إن ظهرت الحركات السياسية حتى بدأ الواعون بالوضع السّياسي ممن سمحت لهم ظروفهم الاجتماعية يتطلّعون إلى الأفاق البعيدة بهدف الاطلاع عما يجري من أحداث في المحيط الدائر بالكتلة المعزولة ويسترقون السمع قصد الإطلاع على برامج هذه التنظيمات وإلى أهدافها السيّاسية، بل وغامر بعضهم بالانخراط فيها، واكتسب بعد فترة ثقافة سيّاسية مشحونة بمفاهيم تعد غريبة آنذاك، وصعبة المنال، مثل: الثورة المسلحة، النضال من أجل التحرير الوطني، الحرية، الاستقلال، الاستعمار، الاستيطان... وقد ساهمت أحداث الحرب العالمية الثانية التي جرت بعض وقائعها في محيط الأوراس في إيضاح هذه المفاهيم، فحدث وبسرعة بعد الحرب الكونية الثانية نوع من التطور في الذهنيات لدى السكان في الأوراس وأظهروا الاستعداد

---

1)- ثورة الأوراس لـ/ عبد الحميد زوزو، ص: 54.

2)- المرجع نفسه، ص: 53.

مرة أخرى للتحدّي بل وللمغامرة بعد النكسة التي أصيبوا بها خلال ثورة الأوراس والتي خلفت حسب عبد الحميد زوزو (562) ضحيّة.

وهكذا، فعندما بدأ عناصر الحركة الوطنية في الدّعاية للثورة وسط السكان وجدوا شيئا من القابلية ومن التجاوب مع أفكار رواد الحركة... وهذا يعني أن فكرة التخلي عن الإنية الضيقة والاندماج وسط المجتمع الكبير الذي يشكل الأمة ممكنة وأن العمل بقاعدة «أنا أو خويا على ابن عمي» لم تعد الحل المطلوب، والمجدي هو العمل بقاعدة «أنا أو بن عمي على الأعداء» هي وجه الصواب... وهكذا تكون الصّورة قد توضّحت لدى السكان ممّن اعتقد الاستعمار أنه أمات فيهم الروح الوطنية، وصاروا مجرّد أدوات مسخّرة في المزارع وفي الحقول... وقد لا نغالي، عندما نقول بأن الدور الرّيادي في إيقاظ وتعميم الحسّ الوطني لدى عموم السكان في الأوراس يعود لشخص ابن بولعيد، وأن توحيد كلمتهم ولمّ شملهم كان بفضله هو، مع أنه بدوره كان قد تعلم أبجديات النضال على يد مناضلين أوفياء للوطن أُبْعدوا إلى الأوراس كمنفيين خلال الأربعينيات، وقد سبقه للانخراط في الحركة الوطنية من سكان الأوراس عدد لا بأس به. غير أنهم لم يبدو من الحماس وروح التضحية ما أبداه ابن بولعيد الذي سخّر نفسه، ورهن ممتلكاته لخدمة القضية الوطنية، فجمع كلمة القبائل ووحّد صفوفها واستطاع خلال فترة قصيرة نسبيّا أن يجعل منها قوة أرعدت كيان الدولة الاستعمارية، وقد علّق الدكتور سعيد سعدي في كتابه: عميروش حياة موتتان وصية عن نضال القائد: ابن بولعيد: فقال: «ما حدث أن ابن بولعيد استطاع في وقت وجيز أن يَحُدّ بشكل محسوس من الصراعات القبلية المحتدمة في المجتمعات البربرية خاصة، والتي لم تكن السّلطات الاستعمارية تتوانى عن استغلالها، واستطاع أن يستميل لصوص الشرف ممن كانت لهم مشاكل مع العدالة، ويعيد لهم الاعتبار، كما بثّ في رجاله روح التضامن وحثهم على تعلم النظر إلى ما وراء إقليمهم[(1)]».

ولا شك أنه يكون قد استفاد أيضا من التجربة النضالية لرواد الحركة إطارات المنظمة الخاصة ممن ضمن لهم الإقامة في الأوراس حينًا من الدهر، فنشطوا في العمل السياسي وساهموا بدورهم في إيقاظ الوعي الوطني لدى المواطنين وترقيتهم سياسيّا – فالنضال أخذ وعطاء –.

---

1)- عميروش: حياة موتتان، وصية للدكتور: سعيد سعدي، ص: 96 – 97.

الفَصْلُ الرَّابِعُ

تشكيل القيادة

تشكيل القيادة من المهام الصّعبة، وتعتبر مسؤولية جسيمة تتطلب كثيرا من الدّراية بإمكانات الرجال الذين ستسند إليهم المسؤولية من حيث مستوى التكوين، ومن حيث النضج السياسي والانفعالي والتكوين العسكري والقدرة على الإشراف والحنكة في التسيير والدّهاء، وتحمل الصعاب، والاستعداد للتّضحية، وهذه الفضائل قد لا تجتمع في كثير من الرجال، وبما أن إعداد العناصر الكفأة التي تتحدى الصعاب أمر مُتعذّرٌ، كان على القائد: ابن بولعيد أن يجتهد وأن يراعي مجموعة من الاعتبارات، يراها مهمة خلال تلك المرحلة على الأقل.

1) أن يظل التسيير شبه جماعي على غرار نمط التسيير في القيادة العليا للثورة المتمثلة في القادة السّتة مفجّري الثورة.

2) أن يراعي في اختيار عناصر القيادة بالإضافة إلى الاعتبارات السّابقة، الأقدمية في النضال والنّضج السياسي والصّبر على المكاره والاستعداد لتحمّل المسؤولية.

3) أن تكون عناصر القيادة من جملة العناصر التي كان لها شرف المبادأة في النضال والإعداد للثورة.

4) أن يكون التوزيع عادلا بين عِدّة قبائل اشتركت بفعالية في الإعداد للثورة وفي إذكاء فتيلها حتى لا يثير ذلك إحساس أية طائفة أسهمت في الثورة ويُغمط حقّها في التمثيل، وهذا قصد إحداث نوع من التوازن في التمثيل بين القبائل التي لم تلتئم وحدتها إلا بسبب الضغوط الخارجية التي فرضها الاستعمار وحاجتها للتضامن لدفع الضرر المشترك.

وقد اختار ابن بولعيد من جملة العناصر التي كانت محل ثقته وملازمته.

1) بشير شيحاني، من مواليد 1929 بالخروب مناضل في حركة الانتصار تقلد عدة مناصب في (حركة انتصار الحريات الديمقراطية) آخرها مسؤول دائرة باتنة – أنهى دراسته الإعدادية.

2) عاجل عجول من مواليد سنة: 1923 بكيمل انخرط في حركة الانتصار سنة 1948، تقلّد عدة مسؤوليات في الحركة، ساهم في تهريب السّلاح من تونس خلال فترة الإعداد ظل يرتقي بفضل نشاطه وحركيته إلى أن وصل إلى عضوية قيادة الثورة في الأوراس.

3) مدور عزوي من مواليد سنة 1923 بدوار إيشمول انخرط في حركة الانتصار للحريات الديمقراطية سنة 1947، وظل ينشط بها.. ساهم بدوره في تهريب السلاح وفي تخزينه في الحجاج، كان محل ثقة ابن بولعيد، فأوفد إليه عناصر من المنظمة السرية للتكفل بها، بعد انكشاف هذه المنظمة سنة 1950، من بينهم: مصطفى بن عودة، بن طوبال، بيطاط.

4) مصطفى بوستة: من مواليد 1915 بدوار زالاطو إنخرط مناضلا في حزب الشعب، وبعد أن تم حلّه من قبل الإدارة الاستعمارية، وذلك سنة 1943، ظل يمارس النضال في سرية تامة إلى أن ظهرت حركة الانتصار سنة 1946 على أنقاض حزب الشعب (اسم جديد وبرنامج قديم)، ظل ملازما لابن بولعيد طوال مشواره النضالي وقد كان موضع ثقته ومحل أسراره، عاش وشهد الاستقلال توفي سنة 1995.

5) عباس لغرور من مواليد سنة 1926 بـ/ أنسيغة ولاية خنشلة (حاليا) تعلم القرآن الكريم ثم انخرط في المدرسة الفرنسية، تحصل على منصب كعون إداري في ديوان الحاكم «لوسال» ولم يلبث أن طرده الحاكم من الوظيف بسبب نشاطه السيّاسي قاد مظاهرة احتجاج على تصرفات الحاكم، فألقي عليه القبض وسُجن وعُذب، اتصل بابن بولعيد، وبالعديد من إطارات الحركة الوطنية، اشتهر بالشجاعة والحنكة في التسيير وبالروح الوطنية، فكان حسب «الوردي قتال» أحد قادة النمامشة، كلّما مرّت عليه ثلاثة أيام دون قتال يقول: «خنّا الجزائر»...

فهؤلاء القادة الخمسة يمثلون قيادة أركان المنطقة الأولى على عهد ابن بولعيد وكانت القيادة الفعلية للقائد: ابن بولعيد الذي كان يحظى بثقة الجميع وينوب عنه بشير شيحاني... وإذا استثنينا «بشير شيحاني» الذي ينحدر إقليميا من ناحية لخروب – قسنطينة – فإن بقية العناصر في القيادة يعتبرون ممثلين لأهم القبائل التي ساهمت في الإعداد للثورة في الأوراس، وتطوّع العشرات من أبنائها منذ العمليات الأولى – ليلة أول نوفمبر –.

صحيح أن هناك قبائل أخرى لم تحظ بالتمثيل في قيادة الأركان للثورة في المنطقة، وهذه القبائل لها مساهمتها بدورها... غير أن ابن بولعيد اكتفى بمنح العناصر اللّامعة فيها قيادة النواحي حتى لا يشعروا بالغبن أو بالتهميش أمثال:

- الطاهر أنويشي أسندت إليه قيادة ناحية: بوعريف.
- عمار معاش: تولى مهمة قيادة ناحية: شلية.
- محمد بن مسعود بلقاسمي: عُيّن على رأس ناحية: أمشونش.
- عبد الوهاب عثماني: أسندت إليه ناحية الولجة وكيمل.

ولا شك أن التمثيل بهذه الصفة مطلب مُلحٌّ شعر به ابن بولعيد وشعر به بقية القادة، وقد ظل ابن بولعيد يتفادى كل حساسيّة تعيد بعث النّعرة القبلية الممقوتة قصد الحفاظ على الوحدة التي تعتبر الضمان الأكبر لاستمرارية الثورة.

وقد كانت الجلسات التي تعقِدها قيادة الأركان بعد اندلاع الثورة لا تخضع لرزنامة عمل معينة إنما كانت تتم وفق ما تمليه المستجدات على الميدان، وكانت مسؤولية القيادة في تلك الفترة الحسّاسة فوق كل اعتبار، وكانت كل الدلائل تشير إلى أن الانسجام كان تامًّا بين عناصر القيادة والتوافق في الآراء وفي الأفكار يكاد يكون متطابقا... والعنصر الذي ورد ذكره عند أكثر من مسؤول بأنه كان يتغيّب عن الاجتماعات هو القائد: الطاهر أنويشي مسؤول ناحية بوعريف، وهو مناضل قديم في حركة الانتصار متشبّع بالرّوح الوطنية.. ولعله كان يطمح في الحصول على مقعد في قيادة الأركان، فلما لم يتحقق له ذلك أظهر نوعا من الجفاء والفتور اتجاه قيادة

الأركان وكان يقاطع اجتماعاتها.. إلى أن اضطر ابن بولعيد بمعية عزوي مدور للاتصال به قبل سفره إلى المشرق مستوضحا عن أسباب هذه العزلة.

بدأت الحشود العسكرية الفرنسية تتدفق على الأوراس من عدة جهات، وبما أن هاجس الفشل مازال يسيطر على قادتها بعد الهزيمة الساحقة التي لحقت بالقوات الفرنسية في الفيتنام خلال صائفة 1953، وقصد تفادي تكرار الهزيمة مرة أخرى، قررت أن تدخل الحرب على أكثر من صعيد لإرباك من تعتقد القوات الفرنسية أنهم سيُشكلون المدد الدائم للثورة، فقبل أن تبدأ وحداتها العسكرية بشن هجماتها على المواقع المفترضة لجيش التحرير الوطني، راحت طائراتها الخفيفة ذات المهام المزدوجة تلقي بالمناشير التي ظلت تسبح في الفضاء كأنها جراد منتشر تتوعد فيها من تصفهم بالمتمردين بالهلاك المبين، فقد جاء في إحدى هذه المناشير «بعد أيام سينزل السخط على رؤوس المتمردين ثم يعود بعدها السّلم الفرنسي»، وكان وعدهم مفعولا، فقد استمر السخط في النزول أكثر من سبع سنوات ولم يعد السلم الفرنسي إلى البلاد إلا بعد مفاوضات عسيرة ومئات الآلاف من الضحايا.

لا شك أن القواعد الخلفية للثورة حتى وإن أظهرت مساندتها للثورة تكون قد أذهلتها الحشود التي لم تعرف لها مثيلا، وظهر على بعضها نوع من الفتور والترّدد، نتيجة القمع المسلّط من قبل القوات الاستعمارية على السكان والتهجير القسري لسكان الأرياف والبوادي نحو القرى المطوقة لقطع الموارد والإمدادات على جنود جيش التحرير الوطني، وقد تزامن هذا مع بدء التصفيات الجسدية عن طريق الاغتيالات المنظمة ضد عناصر الحداثة كما تصفهم الباحثة «جيرمان تيون» مما دفع بهذه العناصر إلى الالتحاق بالثورة دون توعية ودون إعداد، رغم عدم توفّر إمكانات الاستقبال بين الوحدات التي تفتقر إلى التنظيم والتأطير والتسليح والتموين المنتظم، هذه الأوضاع الصعبة كانت تفرض بالضرورة على قيادة الثورة أن تبحث لها عن حلول عاجلة وسريعة تواكب التّطورات السريعة للأحداث، وبقرارات مناسبة لمواجهة غطرسة جنرالات محترفين أوفدتهم قياداتهم للقيام بعملية تطهير سريعة لجبال الأوراس كما يزعمون.

إن إرادة القتال كانت لا تنقص الثوار – الاسم الشائع في السنة الأولى – وعزمهم على التصدي للقوات الاستعمارية يفوق ما كان متوقعا، رغم قلة التدريب وانعدام التكوين العسكري، غير أن التسليح سواء من حيث الوفرة أو النّوعية لا يصح أن يقارن بما هو موجود عند الخصم، وقصد ضمان استمرارية الثورة وفعالية الصراع مع الاستعمار، فلابد من البحث عن حل عاجل لمشكلة التسليح.

البحث عن مصادر أخرى للتسليح

ثبت للقيادة أن مخزون الأسلحة التي جُمعت طوال مرحلة الإعداد للثورة لا يَسُد حاجات المقاتلين المتزايدة... كل المحاولات الأخرى التي بذلت بتجريد المواطنين من أسلحتهم – طوعا أو كرها – أو استلامها منهم عن طواعية لن تسد النّقص المسجل في التسليح، موجات من الشباب راحت تتدفق على قيادات الثورة كل يوم للانضمام إلى صفوفها.

... اتصالات أخرى قام بها ابن بولعيد إلى ناحية بسكرة، حيث كانت تربطه علاقات نضال مشترك بالمناضل: محمد بلحاج المكلف بتهريب الأسلحة من ناحية وادي سوف، غير أن ابن بولعيد فوجئ عندما علم بانضمام هذا المناضل إلى المصاليين والتنكر للثورة، وبما أن الاتصال بالمناطق الأخرى غير ممكن في الوقت الراهن، ولاشك أنها بدورها تمرّ بنفس الظروف أو أسوأ منها – فقد كانت تتزوّد خلال مرحلة ما من الأوراس – ونظرا للحصار المفروض على المنطقة من قبل القوات الزاحفة على عدة محاور، ولما لم يجد ابن بولعيد مخرجًا لهذه المعضلة سوى في إعادة تنشيط خطوط الإمداد عبر الجارتين – ليبيا وتونس – قرّر السّفر إلى المشرق للبحث عن مصادر للتموين بالسلاح لتلبية حاجات الثورة المتزايدة.

استخلاف شيحاني بشير على قيادة المنطقة الأولى

عملية استخلاف شيحاني بشير لقيادة الثورة في الأوراس، أثارت في ما بعد ردود أفعال سلبية من قبل بعض العناصر كانت تطمح في تبوإ هذا المنصب دون اعتبار لانعكاسات أخرى سوف تترتب عن ذلك... وقد وقعت بقرار شخصي من القائد: ابن بولعيد نفسه لمجموعة من المواصفات كانت تطبع شخصية شيحاني، وقد عرفها فيه خلال نضالهما المشترك في الحركة الوطنية وخلال مرحلة الإعداد للثورة في الأوراس خاصة بصفته (شيحاني) رئيس دائرة باتنة.

- تجربة سيّاسية طويلة في النضال داخل الحركة.
- مستوى تعليمي محترم.
- التزام كامل بالخط الثوري.
- تعيينه كنائب لقائد المنطقة الأولى من قبل القادة الستة في آخر اجتماع لهم (23 أكتوبر 1954).

ولعل هذه الصفات وحدها لم تكن المقياس الوحيد الذي حمل ابن بولعيد على تفضيل شيحاني عن عجول عاجل وعن عباس لغرور وهما: عضوان قياديّان في قيادة الأركان إلى جانب شيحاني، ويتمتّعان بمستوى تعليمي محترم، وفضائل أخرى لا يتوفر عليها شيحاني، كالشجاعة والإقدام وإرادة القتال والإصرار، والحزم، وكانت لهما مواقف مشرّفة ومحطات خالدة، منها ما ورد في شاهد على الثورة في الأوراس للرائد: هلائلي، «أنهما قاما رفقة بضعة جنود باعتراض قافلة عسكرية فرنسية في جبل «جلاّل» يوم 8 جويلية 1955، وتمكنّا من أسر جنودها والاستيلاء على أسلحتهم»[1] ومما يرويه العقيد: الزبيري عن شجاعة عباس في مذكراته – وقد كان برفقته – أنهما كانا يمران بالقرب من «رأس العش» ناحية «تبسة» التي تتمركز بها وحدة عسكرية فرنسيّة، فأرسل «لغرور» إلى قائد الثكنة من يخبره بتواجده بالقرب منه ويتحدّاه

1)- مذكرات شاهد عن الثورة في الأوراس. الرائد: هلايلي ص: 148 – 149.

بالخروج لمواجهته... قضى (عباس) وجنوده ليلتهم في «رأس العش»، لكن جنود العدو لم يجرؤوا على الخروج[1].

إن الخلفية التي كان يُضمرها القائد: ابن بولعيد من وراء اختياره لبشير خليفة له على الثورة في الأوراس، وقد تكتّم عن الحديث عنها لمن استخلفهم لمساعدته مثل: عجول ولغرور النائبين السيّاسي والعسكري على التوالي لشيحاني، هي مسألة الحفاظ على التوازنات بين الإطارات المسيرة والمنتمية لعدة قبائل تمثل الكتلة الصلبة للثورة في الأوراس، وأن أي إخلال بنظام التوازن بين إطارات التّسيير سوف يؤدي إلى زعزعة الثقة بين المسؤولين فيثير ذلك في نفوسهم النّعرة الطائفية التي يمكن أن تنبعث في أية لحظة فتصعب السيطرة عليها، ويؤدّي ذلك إلى تفكك الوحدات، فتظهر فصائل ووحدات تمثل القبائل التي ينتمي إليها جنودها، تحارب باسمها وليس باسم الثورة، وتتحرك في النطاق الجغرافي الذي يمثل موطن القبيلة، ولن تلبث هذه الفصائل أن تصطدم ببعضها ثم بالجهة التي تمثل السلطة الشرعيّة، وقد حدث ذلك بعد استشهاد ابن بولعيد بمدة قصيرة فأحجم كثير من المؤرخين عن الإشارة إليه في كتاباتهم لأن ذلك في نظرهم يمثل الوجه السّلبي للثورة التي يرون أنها عظيمة ومقدسة، وقد كانت عظيمة فعلا لكنها لم تكن مقدسة على حد قول المجاهد: محمد زروال. غير أن بعض المؤرخين الأجانب ممن اهتمّوا بحرب الجزائر تعرّضوا للموضوع بشيء من التفصيل، ومن هؤلاء المؤرخ: «هنري ألاّق» الذي كان –خلال الثورة –يعمل مديرا لجريدة شيوعية (الجزائر ريبوبليكان) وقد صدر له كتاب في الموضوع بعنوان: القضية. تعرض فيه للتعذيب الذي كان قد تعرض له في شهر جوان 1957.. يقول «هنري ألاّق» في كتابه: حرب الجزائر «إن بعض الفصائل في الأوراس تقاتل باسم قبائلها ولا تقاتل باسم الثورة، وتتمركز في نطاقها الجغرافي ولا تستطيع الخروج منه[2]» وذكر بعض رؤساء هذه الفصائل وحدّد مناطق نشاطهم من بينهم:

---

1)- مذكرات العقيد: الزبيري آخر قادة الأوراس التاريخيين، ص: 145.

2)- حرب الجزائر لـ «هنري ألاّق» الجزء الثالث: 296.

1) محمد أمزيان أملولي.

2) المسعود عائسي.

3) محمد الصغير تيغزة.

4)- صالح شنخلوفي.

وهناك وحدات في الناحية الغربية من الأوراس مشابهة لهذه الوحدات، تقاتل باسم رؤسائها أو باسم قبائلها وليس باسم الثورة وهي منفصلة عن الجبهة كذلك، مثل:

1) كتيبة محمد بن ناجي.

2) كتيبة الشريف رابحي.

فتقمصت هذه الوحدات نظاما كان قد عرف عند اللفيف الأجنبي الذي كان يقاتل من أجل شرف الفيلق، وليس باسم الدولة التي يحمل رايتها.

... إن ما كان يخشاه ابن بولعيد بتعيينه لخليفة لا ينتمي إلى أية طائفة من الطوائف التي يتشكل منها المجتمع الأوراسي – الناحية الشرقية خاصة – حتى لا يثير حساسيّة طوائف أخرى، فترفض الانصياع وتنزع إلى التمرّد، قد حدث فعلا بعد موته.

مؤشرات الصراع

مؤشرات الصراع عديدة، فقد بدأت بوادر الفتنة تظهر من عناصر مسؤولة، لكنها لا تحظى بثقة المسؤولين، وكان من أبرزها «عمر بن بولعيد» شقيق القائد: مصطفى ابن بولعيد الذي راح يطالب باستخلاف أخيه في قيادة الثورة عندما كان مصطفى رهن السجن بقسنطينة، ولم يكن أحد من الذين راحوا يتطاولون لاستخلافه ينتظر المفاجأة، سيما وأن مصطفى قد حكم عليه بالإعدام مرتين.. إلحاح عمر في إرث أخيه كان يقلق القادة المحليين. فحاول شيحاني كسب وُدّه في اجتماع جرى في أواخر مارس 1955 «بالوسطية» بكيمل فأسند إليه القيادة الشرفية لمنطقة الأوراس. غير أن عمر لم يرض بالقيادة الشرفية، ولم تقبل العناصر المعارضة له بالفكرة أصلا بحجة

«أن مصطفى بن بولعيد قد أوصى بأن لا تسند أية مسؤولية لأخيه عمر[1]»، ولست متأكّدا من صحة أقوال لرواة زعموا أن شيحاني قلّد عمر رتبة «جنرال» وزعم آخرون أنه – أي شيحاني – عيّنه رئيسا للجمهورية[2]. وتبقى صحة هذه الروايات التي انفرد بها مجاهدون استجوبتهم جمعية أول نوفمبر لتخليد مآثر الثورة، وأخرجت ذلك في كتاب يحمل عنوان: مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية محل تقييم ونظر.. ويجمع العارفون بشخصية عمر بأن لا وجود لوجه الشّبه بينه وبين أخيه مصطفى، فحالوا بينه وبين مركز القيادة.

المجمع عليه هو أن مصطفى بن بولعيد لم يعد قائدا للثورة، بعد أن ألقي عليه القبض، وهو يتأهب لاجتياز الحدود التونسية الليبية، وصدرت ضده ثلاثة أحكام متتالية أخفها السجن المؤبد بتونس، أودع زنزانات المحكوم عليهم بالإعدام في سجن الكدية الرهيب بقسنطينة، ولم تكن فكرة الهروب من السّجن والنّجاة منه ثم العودة لقيادة الثورة في الأوراس تخامر فكر أحد ممّن كانوا يفتعلون الذرائع والأسباب لأن يَحُلُّو محله... وبدأ التطاول من طرف عناصر أخرى راحت تتحدّى القيادة الشرعية التي استخلفها ابن بولعيد عندما همّ بالسفر إلى المشرق، فانضم إلى عمر بن بولعيد، مسعود عائسي مناضل قديم في الحركة الوطنية، فكلاهما كان يسعى للوصول إلى القيادة ويرفض الانصياع لقيادة شيحاني المستخلف من قبل مصطفى ابن بولعيد، وكلاهما أيضا كان يعادي عجولا.

فهذه القواسم المشتركة والتطابق في الآراء جعلتهما يتحالفان في معاداة القيادة الشرعية للثورة، يقول الرائد: هلايلي، في كتابه شاهد على ثورة الأوراس «لم يكتف عمر بن بولعيد المدعوم برجال قبيلته، والمشجّع من قبل عائسي مسعود وآخرين بقيادة جُلّ أجزاء غرب الأوراس، إنما راح يطالب بالقيادة الفعلية على كل الأوراس مكان أخيه السّجين عوضا عن شيحاني الذي يتهمه بالجبن.. وهو ما شجع «كربادو علي» على التمرّد هو الآخر على

---

1)- شاهد على الثورة في الأوراس للرائد: هلايلي، ص: 208.

2)- مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية انتاج جمعية التراث والتاريخ بباتنة استجواب عاجل عجول، ص: 374.

سلطة شيحاني لما قام بمحاصرته في محيط القلعة احتجاجا عن تصرفات رئيس القطاع مسعود أمعاش الذي أساء إلى شرف عائلته[1]».

بين الحكم الفردي والقيادة الجماعية

سلك مصطفى بن بولعيد في قيادته للثورة طوال الشهور الأولى التي أعقبت اندلاع الثورة مسلك القادة التاريخيين – مفجري الثورة – الذين تبنوا فكرة القيادة الجماعية حفاظا على وحدة الصف ووحدة القرار والتصوّر، غير أن خليفته على الثورة في الأوراس شيحاني الذي اطمأن إلى أن مصطفى لن يعود إلى قيادة الثورة مرة أخرى، فارتجل عدة قرارات فردية كانت بداية الشرخ في الهيكل التنظيمي للثورة في المنطقة الأولى، حين أصدر أوامر دون استشارة الأركان أو الأخذ برأي نائبيه: عجول ولغرور على الأقل، حيث قام بـ:

1) تغيير المركز إلى (رأس لحوية) بغابة بني ملول.

2) تغيير لمقر الإدارة من كيمل إلى القلعة – جنوب خنشلة –

3) استبدال عناصر الطاقم الإداري بعناصر أخرى من مجاهدي خنشلة.

4) تعيينه لعمر بن بولعيد رئيسا للجمهورية في اجتماع جرى في أواخر مارس 1955.

يقول عاجل عجول الذي حضر هذا الاجتماع في استجواب أجرته معه جمعية أول نوفمبر لتخليد مآثر الثورة، «وكوّن بشير شيحاني السكرتارية من مجاهدي خنشلة وارتكب غلطة كبرى فعين عمر بن بولعيد رئيسا للجمهورية خلال الاجتماع، حيث أيّده الحسين برحائل وعائسي مسعود والطاهر أنويشي[2]».

ولاشك أن هذا التعيين الذي لم يكن من صلاحيات شيحاني كقائد للمنطقة – بالنيابة – هو الذي سَيُحَفّز عمر على المطالبة بخلافة أخيه على رأس القيادة وهو الذي سيصرف إليه تهمة اغتياله فيما بعد والتي ما فتئ الناس يردّدونها عن قناعة، وليس لمجرد الظن.

---

1)- شاهد على الثورة في الأوراس للرائد: هلايلي، ص: 213 – 214.

2)- مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية، ص: 374.

المعتقد أن القائد: شيحاني يكون قد تبنّى إستراتيجية خاصة كان قد أضمرها في نفسه بنقله لمركز القيادة من الغرب إلى الشرق واستبداله للطاقم الإداري بعناصر أخرى من ناحية خنشلة، وهي إضعاف موقف قيادات الغرب والوسط التي تشكل الأغلبية في القيادة، واسترضاء «لغرور» الذي ظل يسانده، فاتخذ عدة إجراءات دون احتراز أضعفت فيها بعد موقفه، فاستند إليها مُناوئوه واعتبروها ذريعة للتمرّد عن قيادته واتهامه بالانحياز وإهمال الناحية الغربية من الأوراس، وهذه التهمة تفنّدها الإرساليات المتتالية لفصائل من المجاهدين اتجاه أقصى حدود المنطقة من الناحية الغربية.

بعض هذه الطعون أو الاتهامات كانت تصدر عن عناصر قيادية لا نشك في وطنيتها ولا في مسارها السيّاسي، ولا نريد كذلك أن نؤوّل هذه التهم لنخرجها عن إطارها، غير أن المجمع عليه من قبل المتتّبعين لهذا الصراع الذي ظهرت بوادره منذ الإعلان عن وقوع قائد الثورة في الأوراس في الأسر في تونس بأنه نابع عن رغبة جامحة في الوصول إلى السلطة مهما تكن العقبات... فكان هذا أول شرخ يصيب التنظيم الثوري في المنطقة وفي موضع حسّاس جدًّا يتمثل في هرم السلطة، ولم تتمكن القيادة من وضع حدٍّ له نتيجة التعصب في الرأي والتصلب في المواقف والاعتزاز بالإرث التاريخي لدى هؤلاء القادة.

والمستجد في هذه الفترة بالذات التي تراكمت فيها المشاكل على القيادة وعجزت عن حلها هو ظهور انحرافات وسلوكات مُخلة بالحياء مسيئة للشرف وسط بعض المسؤولين كان من نتائجها سقوط: مسعود أمعاش مسؤول ناحية، واستسلام: علي كرباد للعدو، ناهيك عن انحرافات أخرى تم التّستر عنها، وقد تم الكشف عن هذه لأنها تتعلق بشخص مسؤول، ولأن الضحية تصرّف بطريقة لم تكن منتظرة، حينما انتقم لشرفه ثم سلّم نفسه للعدو، فامْتُهِن مرتين، فاهتزّت الثقة بين المسؤولين وتجاوزت مرحلة التشنج في العلاقات إلى مرحلة التصفيات الجسدية، يصف الرائد: هلايلي في كتابه: شاهد على الثورة في الأوراس هذه المرحلة، فيقول: «لقد بدأت الأحوال تسوء حول القائد: شيحاني، فخطيئة أمعاش بالتعدّي على حرمة زميله القائد: علي كربادو، وتحدّي كربادو للقيادة بالاقتصاص لشرفه من أمعاش دون العودة لها، وإعلان عمر بن بولعيد وعائسي مسعود التمرّد على شيحاني، وعدم الامتثال لقراراته، وأكثر من ذلك تكليف الثنائي: عمار أمعاش

وغبروري للقيام باغتيال شيحاني القائد العام ونوابه بحجة تخليهم عن الأوراس – الغربي – وارتكابهم أخطاء باسم السلطة[1]» وقد جرت محاولة الاغتيال فعلا، عندما تنقل كل من: عمار أمعاش وغبروري إلى مركز القيادة لتنفيذ عملية الاغتيال، بدون رخصة مرور التي كانت إجبارية، ولما اعترضت طريقهما دورية استطلاع قادتهما إلى عاجل عجول ودون أن يطلع عن مقصدهما رحب بهما بحكم العلاقة الطيّبة التي كانت تربطه بعمار أمعاش خاصة... وقد أكدا له بأنهما يريدان مقابلة القائد: شيحاني (وفي إشكالية القيادة لـ/ محمد زروال، ص: 182، أنهما يريدان إجراء فحوصٍ طبية عند الممرّض في مركز القيادة) فأعطاهما رخصة مرور للاتّصال بشيحاني، ولما علم شيحاني بقدومهما راودته الشكوك، وهو يعلم أن قريبهما «مسعود أمعاش» قد اغتيل من قبل «كربادو»، فكلف عباس لغرور بالتحقيق معهما، فانفرد بغبروري كحلقة ضعيفة، فاعترف له بنيتهما في قتل شيحاني... ولما علم شيحاني بذلك قرّر إعدامهما في الحين ودون أن يستشير نوابه أمر بتنفيذ الحكم في غبروري، ولما جاء دور إعدام عمار امعاش تحفظ كل من لغرور وعجول... على أساس أن قتله سيثير الفتنة لا محالة فرضخ شيحاني[2]» وهذا التحفظ نفسه قد يثير الفتنة بين الجنود وبين القادة، ففي منطق الثورة لا توجد عناصر تتمتع بالحصانة وتسمو فوق الأحكام الثورية، كما أن هذا التحفظ يشعر القيادات والجنود بوجود نوع من التّمايز في المعاملات بين الجنود وبين القبائل أيضا، والحديث هنا يعني عمار أمعاش المنتمي إلى قبيلة بني أوجانة ذات الرصيد التاريخي المميز والكم المعتبر من المجاهدين، وبصفته أحد لصوص الشرف الفارين من العدالة خلال الحكم الاستعماري، فقد حظي بالعفو عن طريق الامتياز. كما أن الكيفية التي تم بها الحكم ضد غبروري والسرعة في التنفيذ مع إمكانية التجريد من السلاح والحجز أو السّجن إلى حين التأكد من النوايا الحقيقية بعد حضور المحرّضين على عملية الاغتيال – أو امتناعهم – ، كما حصل، فتتأكد فيهم الشبهة يمكن بعدها تشكيل محكمة ثورية تتحمل وحدها مسؤولية الحكم الصادر ضد المتهمين...

1)- شاهد على الثورة في الأوراس، للرائد: هلايلي، ص: 215.

2)- شاهد على الثورة في الأوراس، المرجع السابق، ص: 216.

وجه القائد شيحاني دعوة للحضور إلى كل من ابن بولعيد عمر وعايسي مسعود المحرّضان على عملية الاغتيال – حسب الرواية – للتحقيق معهما، فامتنعا ورفضا الحضور فأصدر شيحاني في حقّهما أيضا الحكم بالإعدام، كما أعطى تعليمات بضرورة إحضارهما بالقوة مع أنه كان يعلم أن كلا منهما يكون قد احتمى برجال قبيلته، وأن محاولة اقتيادهما بالقوة سوف يؤدي حتما إلى حدوث اقتتال بين المجاهدين وسقوط ضحايا، وقد تكون فاتحة عهد جديد من الصراع بعد شهور من التشنج الذي ساد العلاقات بين الطرفين، وقد ظل حكم الإعدام قائما في حق الثلاثة: عمر بن بولعيد وعمار أمعاش ومسعود عائسي والذي صدر عن القائد: شيحاني إلى ما بعد استشهاده وعودة مصطفى بن بولعيد إلى الثورة...

... وقد اقترح عجول – حسب الرائد هلايلي – في أثناء الحفل الذي أقيم على شرف ابن بولعيد بعد نجاته من السجن إلغاء الحكم الصادر ضدّ الثلاثة... كما أصدر القائد: شيحاني حكما بالإعدام ضد شابين تونسيين جاءا من جامعة «السّوربون» وكانا قد التحقا بالثورة في إطار الكفاح المشترك لتحرير أقطار المغرب العربي... فَنُفِّذ فيهما حكم الإعدام بشهادة «الوردي قتال» رغم تحذيرات هذا الأخير من مغبة إعدامهما...

هذا الاستطراد لا يشكل سوى حلقة صغيرة من حلقات الصّراع على السلطة في الأوراس، وبالتحديد في المنطقتين الثانية والسادسة من الولاية الأولى بعد الصومام والتي سادتهما خلافات حادة فيما بعد نتيجة عدم تبصّر قادتيهما، انتهت بتمزيق وحدة الصف وزعزعت الثقة بين القيّادات، وأصابت قواعد الإمداد بنوع من الذهول بعد أن وصل الخلاف إلى نقطة اللاّرجوع أدّى إلى اقتتال ضار بين المجاهدين راح كل طرف يدّعي الالتزام بالخط الثوري، ويتّهم الطرف الآخر بالعمالة للاستعمار والخذلان... وقد استمرت هذه الحرب بدون هوادة سنوات 1956 – 1957 – 1958 – 1959، مما دعا قيادات الولاية الأولى إلى طلب المساعدة من الولايات الأخرى للقضاء على هذه الظاهرة التي استنزفت طاقات لا يمكن تقدير قيمتها، كانت البداية إيفاد لجنة التنسيق والتنفيذ للرائد: عميروش أكتوبر 1956 لمحاولة إيجاد صيغة توفيقية تَحُدّ من الخلافات بين الفرقاء وتدعو إلى التحلي بالمرونة وتقديم المصلحة

العليا للثورة وجعلها فوق كل اعتبار، غير أن هؤلاء القادة لم يبدو من الاستعداد ما يسمح بتجاوز هذه المحنة، وقد ظلت الخلافات قائمة كما ظلت الأوراس تعاني من التفكّك والانحلال ومن النزاعات الهامشية، ولا نستبعد أن تكون قد وقعت تحت تأثير دعايات الجنرال: «بارلانج» مؤسّس مكاتب الشؤون الأهلية – حسب ما ورد في مجلة أول نوفمبر العددان: 112 – 113 على لسان العقيد: عمارة بوقلازة ولا ننفي أيضا احتمال تسرب عناصر اختراق للثورة، راحت تغذّي هذه الخلافات. فوسائل اختراق العدو حتى وإن لم تتضح صورها بجلاء تظل دائما ممكنة، وقد تم ذلك في أكثر من منطقة خلال الثورة، وهو ما أكّده عاجل عجول في أثناء استجوابه من قبل جمعية أول نوفمبر من «أن عباس لغرور عندما ذهب لمراقبة عمر لمعافي اكتشف أنه خائن لاتصاله بلاصاص[1]»، وقد ضبطت رسائل من مكاتب الشؤون الأهلية عند قادة معروفين، وفي هذا الصدد يكشف «روجي ويبو»الذي أنشأ مديرية الحماية للإقليم وبقي على رأسها إلى غاية 1958 الغطاء عن الكيفية التي تجري بها هذه العمليات، فيقول: «كنا نعتمد على عمليات الاختراق – فقد كنا على سبيل المثال – نقوم بإطلاق سراح من كنا نعتقله في مقابل تعامله معنا وتزويدنا بالأخبار والمعلومات، بل اقتضى الأمر أننا اشترينا معلومات، وإلى جانب هذا كانت توجد لدينا طموحات في أن يصبح مخبرونا من بين القادة والمسؤولين، حيث كنا نزودهم بالسلاح والمال ونحفّزهم على إنجاح العمليات التي كانوا يقومون بها[2]».

أوضاع الثورة في الأوراس عشيّة اعتقال ابن بولعيد

مرّت الثورة في الأوراس عشية اعتقال القائد: ابن بولعيد بظروف صعبة للغاية بسبب:

1) الضغوطات العسكرية التي كانت تجري في شكل حملات عسكرية متعاقبة.

2) نقص في الأسلحة وفي الذخيرة الحربية.

3) ضعف الانسجام بين العناصر القيادية التي استخلفها ابن بولعيد.

---

1)- مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية لـ/ جمعية أول نوفمبر باتنة، ص: 378.

2)- حرب الجزائر – ملف وشهادات لـ/ باتريك إفينيو – وجان بلانشايس – ص: 301.

ولا شك أن مصالح الاستخبارات الفرنسية التي كانت تبحث باستمرار عن نقاط الضعف في الهياكل التنظيمية للثورة، كانت تعرف ذلك، وقد أشار إلى جزء منه الكاتب المؤرخ «باتريك إيفينيو» في كتابه: حرب الجزائر، ملف وشهادات حيث يقول: «إن أحد العوامل الكارثية للثورة كان يكمن في نقص النضج السيّاسي لدى مجموعة كبيرة من إطارات المقاومة[1]».

إن النضج السياسي الذي يعينه «باتريك إيفينيو» و«جان نلانشايس» هو المرونة في التفكير، والصّراحة في التعبير، وتعاطي القضايا السيّاسية على ضوء المعطيات والمستجدّات، والتنكر للذّات والتّرفع عن الإنّية والأنانية، والقبول بالرأي الآخر والعمل به...

فالتشبع بالروح الوطنية والاستعداد للتضحية بلغ عند كثير من القادة عنان السماء،غير أن العناد والتصلب في المواقف والتنكر للرأي الآخر ولو كان صوابا كاد يتجاوز عنان السماء.

إذ لا شيء في الواقع يدعو إلى التفرقة مادامت الغاية واحدة وهي تحرير الوطن من الاستعمار، ولا شيء يدعو إلى الخلاف مادام الأسلوب المجمع عليه واحد وهو الكفاح المسلح والوسيلة واحدة، وهي: العنف الثوري، غير أن الأنانية والاعتزاز المفرط بالذات والاعتداد بالشخصية وسيطرة الروح القبلية «أنا الأعلى»تغلبت على الروح الوطنية وعلى النّزعة القومية، فأساءت إلى الثورة، وبالذات إلى أوراس الثورة، بعد غياب القائد الرمز: مصطفى بن بولعيد، فقد كان كمادة الإسمنت التي تمسك الحصى، فلما ضعفت المادة تناثر الحصى، وأسباب الخلاف تنحصر في نقطتين واضحتين، هما:

1) ضعف الانسجام بين عناصر القيادة التي استخلفها ابن بولعيد، والمتمثّلة في شخص شيحاني بشير ونائبيه: عاجل عجول وعباس لغرور، سيما بين عجول وشيحاني، فعجول كان معتدًّا بشخصيته، معتزّا بالكتلة التي تحيط به من عشيرته خاصة، فكان يستغلها لفرض سلطته على شيحاني، وحول هذه النقطة يقول: عبد

1)- حرب الجزائر – ملف وشهادات لـ/ باتريك إفينيو – وجان بلانشايس – الجزء الأول، ص: 16.

الوهاب عثماني المعروف بعبد الوهاب الولجي، قائد ناحية مقرب من القيادة «وكان شيحاني بشير يخاف من عجول وكل منهما يحذر صاحبه لأن عاجل عجول: يُشرف على أكبر منطقة للمناضلين قبل الثورة وبعدها[1]»، ويضيف في الصفحة الموالية «لكن الخلاف أضحى يُشتم بين عاجل عجول وشيحاني بشير وكل منهما يريد إضعاف صاحبه، وكان عاجل عجول بالمرصاد للخلافات الأخلاقية التي يرتكبها شيحاني بشير في أوساط المجاهدين[2]». وقد تعرضت روايات أخرى صدرت عن مسؤولين آخرين إلى هذه الخلافات بصور وأشكال مختلفة.

ولا شك أن المسؤولين من قادة النواحي وغيرهم عندما يشعرون بضعف القيادة تَفْتُرُ هممهم وتضعف عزائمهم ويقل إقبالهم على القتال، ويفقدون الأمل في النصر وتلك هي إحدى علامات الهزيمة المنكرة، وقد يظهر بعضهم التطاول بهدف إسقاط هذه القيادة، كما فعل عمر بن بولعيد ومسعود عائسي، يقول عاجل عجول في استجواب أجرته معه جمعية أول نوفمبر – بباتنة – أن «عباس لغرور كان يتمادى في تقديس شيحاني تقديسا أعمى[3]» فهذه الجملة رغم قصرها توحي بوجود خلاف بين عجول كطرف وبين العنصرين القياديين الآخرين، فالنقد من حيث الشكل موجّه لعباس ومن حيث المضمون فهو موجه لشيحاني... ويكشف عن وجود بل عن عمق الخلاف مع الرجلين القياديين، خلاف مع شيحاني لاختلاف وجهات نظريهما، ومع عباس لمؤازرته لشيحاني.

وقد دخل حلبة الصّراع عنصر آخر زعم أنه الأحق بالقيادة بحكم العلاقة التي تربطه بمصطفى بن بولعيد. ألا وهو عمر بن بولعيد شقيق القائد: مصطفى، أبدى معارضته بمجرد أن علم بسقوط أخيه أسيرا لدى القوات الفرنسية، ولما لم تثمر الاتصالات التي كان يجريها مع القيادة الشرعية المستخلفة منذ أن غادر مصطفى مقر

1)- مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية إنتاج: جمعية أول نوفمبر – باتنة – ص: 499.

2)- نفس المرجع ، ص: 500.

3)- نفس المرجع ، ص: 397.

القيادة اعتصم أخيرا بجبل «أوستيلي» المنيع بالناحية الغربية من الأوراس وسط جماعة من أتباعه، كما جاء في مذكرات الرائد: هلايلي، وقد ذكر منهم: محمد الشريف بن عكشة، قائد ناحية عين التوتة، مصطفى رعايلي، مسؤول فصيلة كانت قد توجهت إلى سطيف، وطورش عبد الحفيظ مسؤول فصيلة كانت قد أرسلت إلى الحضنة، بالإضافة إلى أحمد عزوي والشريف رابحي قائدي فرقة المتطوّعين، وقد سلك مسعود عايسي مسلك عمر واعتصم بناحية إينوغيسن في سفوح شلية وسط قبيلته، وراحت الأحوال تسوء، ولم تعد هناك سلطة عليا قادرة على إملاء إرادتها وفرض الانضباط والنظام الثوريين، وبدأ مؤشر العصيان لدى بعض الجماعات وسط الوحدات، وظهور تمردات علنية من قبل جنود يرفضون الخضوع لأية قيادة ويمارسون أعمالا وحشية ضد المدنيين، ولعل أبشع صورة لهذا التدهور تلك التي نقلها الرائد: عميروش في تقريره إلى لجنة التنسيق والتنفيذ بعد أن أنهى مهمّته، وقد اخترنا الحديث عن هذه الصورة وحدها – رغم أن لها مثيلات – لأنها الصورة الوحيدة – ربما الموثقة – في تقرير رسميّ صادر عن شخصية مسؤولة... وسيأتي توضيح الصورة في تقرير عميروش في الصفحات اللاحقة عند الحديث عن مهمة عميروش في الأوراس وسوف أكتفي هنا فقط بنتف قليلة منها لاتصالها بموضوع حديثنا السابق، يقول الرائد: عميروش «بعد أن توجهنا إلى جبل شيليا أين وصلناه يوم 28 – 9 – 1956، وهناك وجدت أكثر من 160 جنديًّا هاربًا من وحداتهم وخاصة التابعين لعجول ومسعود عائسي ... وكان لي اتصال ببعض المسؤولين عن اللجان الشعبية بدواري شيليا ويابوس الذين صرحوا أن جنود جيش التحرير الوطني يرتكبون أعمالا وحشية تفوق أعمال جيش الاحتلال، فهم يقولون في تقاريرهم أن الجنود توصلوا إلى تفتيش النساء بحثا عن السجائر – كما يزعمون – ... وسألتهم واحدا واحدا فصرّحوا أنّهم تخلو عن عائسي مسعود لأنه كان يميّز بينهم وبين الجنود المنتمين لدواره... وأعطى الأمر لكل المراكز بعدم تموينهم كما أعطاهم أمرا بمقاتلة

عجول وجنوده[1]» هذا الانزلاق الخطير لواقع الثورة في الأوراس، جاء نتيجة تنكّر شخصيات ثورية لمبادئ أول نوفمبر مثل: عمر بن بولعيد – وهو شخصية شرفية بدون مهام واضحة ومسعود عائسي والطاهر أنويشي، وآخرين... فراحوا يختلقون الأسباب ويفتعلون الذرائع لإسقاط القيادة الشرعية، ولم تكن الغيرة على مصير الثورة هي الباعث على التمرد والعصيان، والإدعاء بإهمال الناحية الغربية من الأوراس ذريعة بدون سند. وقد استقرّ إلى جانب عمر بجبل «أوستيلي» الشيخ: مدور عزوي وهو عنصر قيادي مقرب من مصطفى بن بولعيد له سوابق مجيدة في النضال، لكنه لزم الصمت مثل: المجاهد مصطفى بوستة وكلاهما من قيادة الأركان.

وما يَحُزّ في النفس أن تستغل هذه العناصر العصبية القبلية لتحقيق المجد الموهوم الذي تحلم به، وأن تفكّك بذلك الرّوابط الوطنية والقومية التي قامت عليها الثورة التي تجاوزت إطار العشيرة، فالوطن واحد والشعب واحد والمصير مشترك.. فجميع القيادات التي أعلنت التمرّد في الأوراس.- النمامشة اعتمدت على فكرة العصبية القبلية وعلى الروابط العاطفية التي تشبع بها المواطن في الأوراس، وأمست جزءا من شخصيته حتى وإن لم يجاهر بها في مثل هذه الظروف، فقد اتضح ذلك عند عمر بن بولعيد، وثبت جليا عند مسعود عايسي، ثم تبعهم أشريط لزهر وقادة آخرين لوحدات وفصائل كانوا أكثر خطرا وأشد رهبة مثل: محمد أمزيان أملولي، ومحمد الصغير تيغزة، ورابحي الشريف وصالح شنخلوفي.. وآخرين.

فمن خلال حديث طويل أجرته مجلة أول نوفمبر مع العقيد: عماره بوقلازة يوضح العقيد: «أن الوردي قتال قائد ناحية سوق أهراس – قبل ظهور القاعدة الشرقية – جمع إخوانه النمامشة وتدارس معهم الوضع الجديد، وقرّروا الانسحاب بمن كان في سوق أهراس من الجنود والأسلحة إلى الجبل الأبيض والاعتصام به[2]».

---

1)- من تقرير الرائد: عميروش بعد انتهاء مهمته بالأوراس. شهداء الأوراس الجزء الرابع، ص: 647.

2)- مجلة أول نوفمبر العددان: 112 – 113 السنة 1988، ص: 14.

وقد سرى هذا الحلم ليراود قادة آخرين يتوقون إلى الصّعود باستغلال مفهوم العصبية وحدها (فرق تسد). فقد أورد الزبيري في مذكراته: آخر قادة الأوراس التاريخيين، أن عبد الله بلهوشات أراد تشكيل ولاية جديدة تشمل: أم البواقي، عين امليلة، ومسكانة، وعين البيضاء وسدراتة على غرار ما كان يريده: عماره بوقلازة في سوق أهراس، ونصب بلهوشات نفسه قائدا على الولاية الجديدة، وقلّد نفسه رتبة عقيد، وعين الحاج علي أحمد نائبا له برتبة رائد... وأرسل بلهوشات إلي مبعوثا لكي التحق به لأنني ابن الجهة (كلانا من عرش الحراكتة) فرددت عليه ساخرا «هل تريدون تشكيل الولايات المتحدة؟» وأضفت بنبرة حادة «أنا لا أعترف إلا بالتقسيم الأول الذي وضعته القيادة التاريخية للثورة[1]». وهناك أمثلة أخرى أقل شأنا توحي جميعها بأن فكرة العصبية ظلت تسري في النفوس سريان الدم في الجسد، وكانت وراء كل المصائب التي ابتليت بها الثورة في الأوراس خاصة، وأن الانصهار الذي حصل قبيل الثورة كان بفضل رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه أمثال: مصطفى بن بولعيد فلما رحل أخذ الحنين يداعب أطرافا كانت تعاني من الفطام النفسي وتحن إلى الماضي بسلبياته وإيجابياته لتدخل به التاريخ لكن من الباب الخلفي

1)- مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين العقيد: الزبيري، ص: 177.

الفصل الخامس

عودة القائد ابن بولعيد إلى قيادة الثورة

اعتُبر فرار ابن بولعيد من سجن الكدية بقسنطينة صدمة عنيفة لقوى الاستعمار التي كانت تعرف قيمة الرّجل وتقدر وزنه، فهروبه من السجن وعودته إلى الثورة يعني عندها إعادة بعث النشاط الثوري في صفوف المقاومة المسلّحة، وضمان توحيد الفصائل وإعطاء نفس جديد للثورة في الأوراس خاصة بعد أن راحت تترنح تحت وقع الحملات العسكرية المتعاقبة للجنرالين: «بارلنج»و«شاريير» بهدف تطهير جبال الأوراس من المتمردين حسب زعمهم، ولاشك أن تلك العبارة القاسية التي تلفظ بها أمام (فانسان مونتاي) الذي أوفده الوالي العام: «جاك سوستيل» لاستجوابه عند القبض عليه في تونس تظل تُؤْرق السّلطة الاستعمارية. إذ حاول «مونتاي» أن يدغدغ مشاعره، عندما قال له: كيف تصبح يا ابن بولعيد خارجا عن القانون مع هؤلاء الصّعاليك، وأنت رجل محترم ميسور الحال، وصاحب مرتبة اجتماعية بين قومك؟.

فأجابه ابن بولعيد إجابة كانت خاتمة مسلسل الاستنطاق الطويل حيث كان الرّد نهائيا وقاسيًّا «أنا لا أستطيع أن أصبح وأمسي بخير وقومي يعانون الفقر المدقع، ولو تتاح لي الفرصة لأعيدها (يعني الثورة) لأعدتها».

كما شكل فرار ابن بولعيد مفاجأة سارة غير مسبوقة وغير منتظرة للمجاهدين في الأوراس في ظروف استثنائية وحسّاسة جدّا بدأت فيها الخلافات تدب بين العناصر القيادية، فهو وحده العنصر المؤهل والقادر على إعادة توحيد الصّف وجمع الكلمة وإحياء الأمل في النفوس وبعث الحيوية في التنظيم الثوري من جديد.

غير أن ما لم يكن منتظرا، هي تلك البلاغات الكاذبة والشائعات المغرضة التي كانت تُذاع وسط المجاهدين وبين المدنيين أيضا بهدف الإساءة لابن بولعيد تتّهمه فيها بالخيانة، وتزعم أن فرنسا هي التي أطلقته بعد أن تلقت وعودا منه بإفشال الثورة.

مصادر هذه الشائعات والبلاغات الكاذبة

تنوّعت مصادر الشائعات، واختلفت أهدافها.. وتباينت أزمنتها، غير أنها ظلت حية في قلوب صنّاعها ومُنتحليها تومض كالبرق باستمرار عبر عقود طويلة من الزمن، لأن العناصر المثيرة لها امتلأت نفوسها غيظا وحقدا على ابن بولعيد شخصيا وعلى الثورة بصفة عامة لأنه من صنّاعها ولم تستطع أن تشكر النعمة وأن تعترف بالجميل لابن بولعيد وأمثاله من القادة بأنهم من ولّدوا التاريخ حسب تعبيره وصنعوا مجد الجزائر وأعادوا للشعب كرامته وللوطن أمنه وسلامته ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾[1].علما بأن لكلّ مصدر من هذه الصادر مروجون لهم أهداف خاصة يسعون إلى تحقيقها.

1) **المصدر الأول**: المجاهدون من رفقاء الزعيم ابن بولعيد، وعلى رأسهم القائد: عجول الذي استخلفه ابن بولعيد كنائب سيّاسي لشيحاني بشير وكان من المقربين منه ومن ثقاته، فكان أول من اتّهم ابن بولعيد بالرّدة والخيانة واتّهمه بالجوسسة، ففي تصريح أدلى به المجاهد: مصطفى بوستة، عنصر قيادي في قيادة الثورة، يقول: «لما أعلمت عاجل عجول بفرار ابن بولعيد من السجن قال: أطلقته فرنسا كجاسوس[2]». وهذا الحكم المرتجل الصّادر عن شخصية لها وزنها مثل: عجول لا يمكن اعتباره مجرد فلتة لسان، فهو قائد مسؤول عن أفعاله ومسؤول عن أقواله أيضا، ولا يمكن هنا أن نتهم بوستة بالخبل أو بضعف في العقل، فقد أدلى بهذا التصريح أمام جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة وهو يعلم أن هذا التصريح سوف يُدوّن ويظل يومض كالبرق بين السطور مُلفتا انتباه القرّاء، وإذا جاز لنا أن نهمل هذا القول المسئ إلى شخص ابن بولعيد. فهل يجوز لنا أن نكذّب أيضا ما جاء على لسان العقيد: الزبيري أحد الفارين مع ابن بولعيد من سجن الكدية في كتابه آخر قادة الأوراس التاريخيين، عندما قال: «ولم يُبد عجول كبير ترحاب بنجاة ابن بولعيد من الأسر وفراره من السجن بل شكّك في صحّة هروبه فعلا من سجن الكدية الحصين، وهو ما أكده لي الحاج لخضر فيما بعد، فقال لي في إحدى المرات كنت أتظلل أنا وسي مصطفى تحت جذع شجرة متكئين على جذعها، فتنهد سي مصطفى،

---

1)- الآية: 46 من سورة الحج.

2)- مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية إنتاج: جمعية أول نوفمبر بباتنة، ص: 609.

فقلت له: هل أنت بخير؟ ماذا هناك؟ فقال لي: أتعلم ماذا قال لي عجول؟ النظام (الثورة) لن يضع فيك الثقة[1]» ويستطرد الزبيري قائلا: «كما أخبرني محمود الواعيو الذي كان كاتبا لأحمد أنواورة – قائد ناحية آريس – أن عجولا أرسل إليه رسالة كتب له فيها: لا تثقوا في الجماعة التي هربت من سجن فرنسا لأنه ليس كرتونا حتى يخرجوا منه[2]» وفي الصفحة الموالية، يضيف «ولم يكن عجول ينظر بعين الرضا إلى الوفود التي كانت تزور مصطفى بن بولعيد وتهنئه على النجاة وتعلن الولاء والطاعة له متجاوزة إياه[3]» (عجول)، ومن بين الكتاب الذين تعرضوا لهذا الموضوع صاحب، كتاب: «إشكالية القيادة في الثورة الجزائرية/ محمد زروال»، حيث جاء فيه «كان عاجل عجول قد علّق على هذا الهروب، عندما سمع به أول مرة، فقال: إني أعرف السجن في قسنطينة إنه ليس إسطبلا يسهل الدخول إليه والخروج منه، وإني أعتقد أن مصطفى إما أن يكون قد قتله المسؤولون عن سجنه؟ أو أن يكون قد تفاوض معهم ليطلقوا سراحه».

وإذا كان هذا الاحتمال صحيحا فإنني أجهل على أي شرط تم أمره، وكان عجول قد صرح بهذا الكلام بحضور على بن شايبة وحسين أمعارفي[4]» وعلى الهامش من نفس الصفحة، يضيف الكاتب «وقد ذهب كل من عباس وعجول إلى القول أننا نعرف سجن الكدية في قسنطينة إنه ليس كإسطبل «عيشة بنت زيزي» المبني بالورق المقوى في خنشلة[5]» وفي لقاء جمع الزبيري بعجول بعد استشهاد ابن بولعيد، عندما جاء رفقة إبراهيم طايبي لمقابلة ابن بولعيد الذي كان قد بعث لهما برسالة تهنئة بعد أن علم بنجاتهما... ولم يكن الزّبيري يعلم بموت ابن بولعيد، فدار بينهما الحوار التالي:

عجول: سي الطاهر يجب أن ترجع كما قال لك سي عباس (لغرور).

الزبيري: ولكني أريد أن ألتقي مع سي مصطفى، لأنّنا تواعدنا على هذه الملاقاة قبل أن نهرّب من السجن.

عجول: سي مصطفى غير موجود.

---

1)- مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين العقيد: الطاهر الزبيري، ص: 141.

2)- المرجع نفسه.

3)- المرجع نفسه.

4)- إشكالية القيادة في الثورة الجزائرية الولاية الأولى نموذجا لـ/ محمد زروال ، ص: 217.

5)- المرجع نفسه.

الزبيري: إذا سأنتظره.

عجول: سي مصطفى غير موجود في الجزائر إطلاقا، والنّظام لا يعطيه الثقة 9 أشهر[1].

وحول تصفيّة رفيقه إبراهيم طايبي من قبل جنود عجول، بعد أن حاول الفرار والعودة من حيث أتى (ناحية سوق أهراس) يقول الزبيري:

«رجع جنود عجول واقتادوه إلى الغابة، واختفى خبره منذ ذلك الحين، لكنني رأيت قشّابيته وساعته عند بعض جنود عجول وتأكدّت حينها أن إبراهيم قتل، وقد أنّبني عجول لحديثي مع إبراهيم، وقال لي: لماذا تكلّمت مع هذا المجرم؟!، فرددت عليه: عهدي به أنه مجاهد محكوم عليه بالإعدام وهرب معنا من سجن الكدية، وإن كان قد ارتكب جريمة خلال مدة افتراقنا فلا علم لي بذلك. فاستدار عجول بعنف وقال لي متوعدا، وإلا سأعتبرك مثله![2]».

هذه السلوكات اللفظية والأفعال النّابيّة التي تسئ إلى كرامات الرجال وتكشف عن وجود أحقاد وضغائن دفينة لم يرد منها شيء في كتاب: شاهد على الثورة في الأوراس، للرائد: اهلايلي وكان أحد جنود عجول المقربين منه بصفة كاتب حتى آخر أيام عجول كمجاهد رغم علمه بها، وهذا ما يجعل القارئ يطيل النظر في كل عبارة تأتي كإطراء في حق عجول، في كتاب الرائد: هلايلي، الذي فرحنا بظهوره، وكان أملنا في أن نتّخذه مرجعا لأعمالنا الكتابية. وقبل أن ننتقل للتعليق على هذه التصريحات نعرّج على كتاب آخر تناول الموضوع بنظرة أخرى. عنوان الكتاب: خصومات تاريخية، للكاتب: محمد عباس، وهو كاتب مشهور، يقول الكاتب محمد عباس «يبدو أن هذه العودة غير المنتظرة (لمصطفى بن بولعيد) أفسدت على عجول ورفقائه مخططاتهم، كما يدل على ذلك رد فعله إذ علّق على العملية بقوله: «إن سجن الكدية ليس إسطبلا يدخله ويخرج منه من يشاء»، وقد بدا له آنذاك أن الإعلان عن فرار ابن بولعيد إما أن يكون تمويها لتصفيته، أو ثمرة تفاوض مع إدارة الاحتلال على أساس تسوية معيّنة. وهو هنا يتفق مع محمد زروال في إشكالية القيادة ويضيف محمد

---

1)- مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين العقيد: الطاهر الزبيري، ص: 146.

2)- المرجع نفسه، ص: 148.

عباس «وبناء على ذلك أمر مسؤولي النواحي بالتحفظ على القائد الهارب وعدم الامتثال لأوامره ! مبرّرًا ذلك بالنظام الدّاخلي لجيش وجبهة التحرير الوطني الذي ينصّ على عزل الهارب أو السّجين المفرج عنه طيلة أربعة أشهر! غير أن أوامر عجول لم تجد من ينفذها غير مسؤول ناحية أمشونش! ومع ذلك يؤكّد عجول أنه لم يبايع ابن بولعيد من جديد إلا بعد استشارة وموافقة خمسة من مسؤولي النواحي[1]».

فهذه التصريحات والأقوال الصّادرة عن شخصيات تاريخية وعن كتاب معروفين لا يمكن الطعن فيها بمجرد الظنّ أو الحساسية، فتاريخ ومسار نضال هؤلاء القادة يعلمه العام والخاص. وقد أدلوا بهذه الأقوال في سنّ متقدّمة تجاوزت مرحلة الحسابات والحساسيات والصراع على النّفوذ وبعد أن تجرّد وامن كل المهام وأغلقت السجلات، وبالتالي، فإنّنا لا نستطيع أن ننفي صحة هذه الأقوال ونصفها بالمزاعم أو بالظنون.. ولم يرد عن عباس لغرور شيء من هذا القبيل عدا تلك اللمحة التي جاءت على هامش الصفحة: 217.

وفي رواية أدلى بها المجاهد: عبد الوهاب عثماني قائد ناحيتي الولجة وكيمل لجمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة، وهو عنصر مقرب من القيادة.

تقول الرّواية بأن ابن بولعيد كان قد سنّ قانونا كتبه بنفسه، وينصّ القانون على أن كل مجاهد ألقي عليه القبض وتمكّن من الفرار من السجن ورجع إلى صفوف الثورة يبقى تحت الرقابة مدة 04 أشهر، وكل مجاهد مسؤول ألقي عليه القبض وتمكن من الفرار من السجن يبقى تحت الرقابة مدة 06 أشهر.. وهذا ما طبقه محمد بن مسعود بلقاسمي على مصطفى بن بولعيد، حينما لقيه بجبل أحمر خدّو، ولم يعترف به قائلا له لابد أن تتصل بالإدارة قبلنا تنفيذا للقانون الذي كتبته أنت بيدك، وهي تبتّ في إرجاع الاعتبار إليك أو تؤجّله إلى انتهاء المدة القانونية[2].

لم ينف ابن بولعيد سَنّه لهذا القانون الذي تذرع به محمد بن المسعود قائد: ناحية أمشونش، حين صرفه بجفاء إلى عجول العضو البارز في الإدارة ليبتّ في أمره، وهذا

1)- خصومات تاريخية لـ/ محمد عباس، ص: 352.

2)- مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية إنتاج: جمعية أول نوفمبر – باتنة – ص: 504.

القانون الذي لم يُكشف عنه إلاّ بعد أن فرّ ابن بولعيد من السّجن والذي سَنّه باعتراف العضوين القياديين المعارضين له يكون قد سبق به من باب الوقاية «مديرية الحماية للإقليم «D.S.T»التي أنشأها الجنرال «روجي ويبو» والذي اعترف في حوار أجراه معه الصحفي «جان بلانشايس» بتاريخ 3 جوان 1988، بأن مصالحه كانت تعتمد على عمليات الاختراق.. ويقول: «كنا نقوم بإطلاق سراح من كنا نعتقله في مقابل تعامله معنا وتزويدنا بالأخبار والمعلومات[1]». فهذا التحفظ من القائدين يمكن أن يكون منطقيا ومقبولا، سيما وأنه قد استند إلى وثيقة تعتبر رسمية، والكل مُلزم بها، غير أن لكل قانون إطار، ولكل قاعدة استثناء والقاعدة القانونية مرنة.. ويظل المتهم بريئا إلى أن تثبت إدانته.. فالجفاء الذي استقبل به من قبل محمد بن المسعود بلقاسمي في «أحمر خدو» وصرفه إلى الإدارة للنظر في شأنه والتّهمة التي تلفّظ بها عجول أمام المجاهد: بوستة، حين أخبره بفرار ابن بولعيد من السجن، حيث قال له دون تروٍّ أو تفكير «أطلقته فرنسا جاسوسا»، وسلوكات أخرى صدرت عن عجول – سبق ذكرها – لا تَمُتُّ إلى الحكمة ولا إلى العقل والمنطق.. فالطعن في نزاهة وإخلاص شخصية تاريخية في مقام ابن بولعيد الذي تجشم الأخطار، وصال وجال في ربوع الوطن وخارجه من أجل زرع بذور الوطنية في النفوس والأمل في القلوب ثم يتحوّل هكذا فجأة من النقيض إلى النقيض، بعد أن كانت الأعناق تشرئب للاستماع إلى توجيهاته.. فقد كانت مواقفه ملاحم وتحدياته أساطير.. يتحوّل هكذا دون سابق إنذار من قائد رمز إلى عميل مسخّر لخدمة أهداف الاستعمار... تعد من المفارقات العجيبة.

فهذه شهادة مناضل كبير كان قد حاز على عضوية اللجنة المركزية في حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، أدلى بها لجمعية أول نوفمبر لتخليد مآثر الثورة، وكان قد عرف ابن بولعيد خلال مسارهما السياسي قبل اندلاع الثورة، يقول المناضل: عبد الحكيم بن الشيخ: «لو بقي مصطفى بن بولعيد على قيد الحياة، وبقي في المنطقة التي عُيّن فيها أول مرة دون أن يدخل إلى السجن بعد أن ألقي عليه القبض، لما وقعت تلك الهزات ولا

1)- حرب الجزائر ملف وشهادات لباتريك ايفينو وبان بلانشايس الجزء الأول ، ص: 301.

المآسي التي وقعت في الولاية الأولى بالأوراس والتي كان يشرف عليها.. ولو بقي حيّا لما استأسد كثير من المسؤولين الذين عاشوا في الجزائر المستقلة[1]».

فهذا الاعتراض الذي انفرد به قائدان وحدهما في الأوراس، يفترض أن يدرس في اجتماع موسّع لقيادات المنطقة حتى لا يثير حساسية أطراف أخرى في القيادة ووسط الوحدات ممن يرون في ابن بولعيد القائد المثالي، وينزهونه عن كل الترهات الملفقة التي تمس بشرف نضاله وجهاده، ولا بأس أن ندعم ما نحن بصدد الحديث عنه بآراء أخرى حول مكانة ابن بولعيد بين الوطنيين الأقحاح.. يقول الدكتور سعيد سعدي، في كتابه: عميروش: حياة موتتان وصية «وما إن مضت أيام من انطلاق المؤتمر (الصومام) حتى بدأ خبر استشهاد القائد الكبير (ابن بولعيد) يتأكد وينتشر بين المشاركين، وبمجرّد أن تأكد النبأ أحسّ مسؤولوا جبهة التحرير بالإحباط ودبّت في نفوسهم الحيرة لأنهم يعرفون قيمة الرجل والخسارة التي يمثلها رحيله للوطن والصعوبات التي سيجدونها لتعويضه[2]».

فهذا رجع صدى نضال الشهيد ابن بولعيد اعترف له به قادة من طينته أحسوا بالفاجعة وهول الصدمة بمجرد أن علموا بموته، وعرفوا أن تعويضه غير ممكن، ومن المجازفة اتهام هذين القائدين بما يسيء إلى شرف نضالهما، غير أن الذي صدر عنهما بدون روية أو تفكير أو تبصر قد تنجر عنه عواقب وخيمة وقد جلب إليهما فيما بعد متاعب جمّة، حيث اتهما بالضلوع في أسباب موت القائد: ابن بولعيد، حتى وإن لم يثبت ذلك عنهما بأدلة قطعية (وسنتناول ذلك في المواضيع اللّاحقة).

2) **المصدر الثاني**: أمّا المصدر الثاني لهذه الشائعات فهي المصالح الإدارية المتخصّصة التي أنشأها الاستعمار لهذا الغرض، وهذه المصالح يديرها ضباط متخصصون في التضليل والدعاية – يجيدون خلط السّم بالدسم – ويجنّدون لذلك أعوانا ممن لديهم القابلية والاستعداد للعمالة، ومن الفقراء والمحتاجين الذين تضطرهم الحاجة لبيع كرامتهم وشرف وطنهم بثمن بخس دراهم معدودة، وحتى بدونها.

---

1)- مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية إنتاج: جمعية التراث والتاريخ – باتنة – ص: 538.

2)- عميروش: حياة موتتان وصية للدكتور: سعيد سعدي، ص: 97.

وقد اعترف فخورا بذلك الجنرال «روجي رويبو» مدير حماية الإقليم في استجواب أُجري معه من قبل مؤلفي كتاب: حرب الجزائر – ملف وشهادات – في الثالث من جوان 1988 – قائلا: «بل اقتضى الأمر أننا اشترينا المعلومات[1]».. والهدف من زرع هذه الشائعات بين السكان – بدلا من كلمة المواطنين أو الجزائريين التي كانوا يتجنبون ذكرها – هو زعزعة الأمن وخلق أجواء من عدم الثقة بين الوطنيين وبين جنود جيش التحرير الوطني وبين الجنود والقيادات، فمتى سادت أجواء من عدم الثقة بين رفقاء السلاح، ضعف النشاط، وعمّ الفتور، وقلّت الرغبة في المواجهة مع القوات الاستعمارية، وقد يؤدي هذا إلى نوع من البلبلة والاضطراب في صفوف الوحدات ينتهي بالتصفيات الجسدية لعناصر مشتبه فيها، كما حدث في عملية الزرق في الولايتين الثالثة والرابعة خاصة، ولم تنج منه الولاية الأولى حسب بعض المراجع فقد جاء في مذكرات الرائد: هلايلي، شاهد على الثورة في الأوراس في هذا السياق، أنه وخلال شهر فيفري من سنة 1959، رجع الحاج لخضر (مسؤول الولاية الأولى) من الولاية الثالثة وفي جيبه قائمة تضم أسماء مشبوهين منهم مسؤولون سياسيون وعسكريون ومسؤولوا فرق، وقد كلف الرائد: مراردة مصطفى محل ثقته وأقرب الناس إليه بالولاء العائلي بالتحقيق مع المحتجين على تسيير الحاج لخضر.

يقول الرائد مراردة: «وقد أمرني الحاج لخضر بالتحقيق معهم رفقة حمومة قادري وقد تبين لنا من خلال التحقيق، بأن مسألة الخيانة غير واردة، لكن كانت هناك محاولات للتكتل ضد الحاج لخضر ومن معه من عرشه ومؤيديه» ويواصل مصطفى مراردة «كان الحاج لخضر قد كلفني أيضا بالتحقيق في قضية مماثلة، فيقول: حقيقة أن بعض المشبوهين حكم عليهم بالإعدام، وتم تنفيذ الحكم فيهم، وقد كان من بينهم شخص واحد ثبتت خيانته، فقد كان يحرّض على عدم الانضباط[2]».

---

1)- حرب الجزائر – ملف وشهادات – لـ/ باتريك ايفنيو – وجان بلا نشايس، ص: 301.

2)- شاهد على الثورة في الأوراس للرائد: هلايلي، ص: 368 – 369 – 370.

وهكذا نرى كيف سيطر سلطان الخوف من احتمال وجود عناصر عميلة مُندسّة بين المجاهدين على قائد الولاية: الحاج لخضر، فراح يتصرف بدون روية، مما أدى إلى إعدام مجاهدين لم تثبت عنهم الخيانة، ويعتبر هذا أهمّ هدف تسعى هذه المصالح إلى تحقيقه.

ومن المعروف إن الإشاعات الكاذبة تلقى رواجا كبيرا وسط مجتمع تسود فيه الأميّة ويعمّ فيه الجهل وتقل بين أفراده عناصر تميل إلى التحليل الموضوعي للأحداث وإلى إعمال العقل بالنظر والتعليل، والبحث عن الأسباب التي أدّت إلى إطلاق الشائعة لضعف في المستوى وضعف في الحصافة، سيما بين الأوساط التي تُمسك العصا من الوسط، في النهار فئران وفي الليل أطيار كالخفافيش يظهرون الولاء للثورة والتزلف للاستعمار، وهم بهذا العمل الدعائي المغرض يحاولون إسقاط القيمة الرّمزية لعلم من أعلام الثورة وركن من أركانها، ومعظم هؤلاء الأشخاص ممّن استقرت في أعماقهم الهزيمة وظلوا يعتقدون بأن «أولها رومية وآخرها رومية».

ومن المسلّم به أن هذه الشائعات أمست بعد فترة من اندلاع الثورة عديمة الجدوى لدى الفئات التي أظهرت ميلها للثورة منذ البداية، وظلت تعتبر أي خبر يكون مصدره الاستعمار خاطئا ومغرضا، وقد تردّدت أخبار إطلاق سراح ابن بولعيد حتى في أوساط المصالح الحكومية الفرنسية، وراحت عناصر من هذه المصالح تروّج لها في أوساط المواطنين، فقد سمعت أكثر من مرة من صديق كان له قريب خلال الثورة يعمل محافظ شرطة في سكيكدة والذي أكد له بأن هروب ابن بولعيد من سجن الكدية بالطريقة المعلن عنها مستحيل وأن المصالح الفرنسية هي التي أطلقت سراحه بعد أن تلقت منه وعودا بإفشال الثورة، فكنت أردّ على هذا الصديق بعبارة واحدة واعتقد أنها كانت كافية، «حيث أن هذا الشخص يعتبر غير حيّادي كونه عونا من أعوان الاستعمار وطرفا في الصراع، وبالتالي فإن الإدعاء باطل من أساسه لأنه صادر عن طرف معاد وغير حيادي».

وقد تناول الكاتب المؤرخ «إيف كوريير» الموضوع، في كتابه: حرب الجزائر، في عبارات مقتضبة، هي عبارة عن تخمينات وظنون لا ترقى إلى مرتبة اليقين، حين يقول: «وشاعت أخبار كثيرة حول هذا الهروب، وهو أنه كيف استطاع هذا المحكوم عليه بالإعدام أن يفرّ من السجن، وكيف كان خصم كبير مثله يعيش في عنبر (سيلون) يضم سبعين سريرا، كان هناك تواطؤ لدى الأوربيين المتطرفين، بأنه كان هناك حديث مفاده أن «فانسان مونتاي» مدير سابق للديوان العسكري لولاية «سوستيل» في الجزائر، قابل ابن بولعيد بعد اعتقاله، ويقال إن له ضلعا في تدبير هروب ابن بولعيد من السّجن، لكن «فانسان» لم يكن في الجزائر منذ مدة طويلة، وأن القطيعة مع «سوستيل» تمّت بضغط من ج.ت.و، وكان إيهامهم بأن ابن بولعيد قد تحالف مع الشرطة، وأن هروبه لم يكن سوى مسرحية تغلغُل «خروف» في كفاح الأوراس، وأن عودة ابن بولعيد على رأس محاربي الشاوية لم يرق خلفاؤه[1]».

وهكذا فإن «إيف كوريير» بالرغم من قربه من مصدر الخبر ومن احترافه للكتابة واهتمامه بالثورة الجزائرية، وتعتبر كتبه مراجع مهمّة في تاريخ الثورة، بغض النظر عن تحيّزه اتجاه الطرف الذي ينتمي إليه، بالرغم من كل ذلك، نرى أنه لم يستطع الفصل في الموضوع، واكتفى بعدة تنبؤات لا تقوم على أي سند موضوعي.

وهكذا يظل الرّعاع من الناس يلوكون شائعات تسيء إلى الرموز الوطنية، ويزعمون أن هذه المعلومات تسرّبت إليهم من مصادر رسمية وعبر قنوات خاصة ولا تحتمل الشك، ويدّعي آخرون أنهم يتمتعون بقدر كبير من الحصافة وجودة العقل والنظر، وبقدرات خارقة تمكنهم من معرفة الحقيقة عن طريق تحليل المعطيات، وبها يهتدون إلى الحقيقة، وهؤلاء يمكن أن نلحقهم بشريحة عريضة من أهل البلد ممن احتضنتهم الجغرافية ولفظهم التاريخ بسبب انحرافاتهم ومواقفهم المخزية خلال الثورة التحريرية، فراحوا بعد الاستقلال يبحثون عن أنفسهم، ولما بدا لهم ضعف مكانتهم راحوا يطعنون في التاريخ وفي الرموز التاريخية خاصّة ويقلّلون من شأنهم ومن الدّور الذي قاموا به خلال الثورة التحريرية.

1)- مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية عن : حرب الجزائر لايف كورييير، ص: 929 – 930.

3) والمصدر الثالث لهذه الشائعات هو عموم المواطنين ومن مختلف الشرائح الاجتماعية.. فقد كنت أتابع ذات سنة زيارة شخصيّة رفيعة المستوى لضريح الشهيد: ابن بولعيد، بمناسبة إحياء ذكرى وفاته في قرية نارة حيث يوجد ضريحه فتقدم المجاهد: عمار بن العقون وهو من المجاهدين القادة القلائل الذين عاشوا الحدث ليقدّم توضيحات للشخصية الرّسمية عن حيثيات وظروف استشهاد القائد: ابن بولعيد فأسهب في الحديث وقدم للشخصية الرّسمية صورة واضحة لا تحتمل اللّبس أو الغموض.. وعندما انتهى من الحديث، علّق عليه الزائر المحترم، «يعني صح!» وهذا يعني أن حديثه محل نظر! فأكّد له المجاهد: عمار بن العقون أن هذه الرواية لا تقبل الطعن.

وقد مرت بي حادثة أخرى ونحن بالمركز الوطني لإطارات التربية بالجزائر العاصمة وكان لي زملاء من أقصى الجنوب الغربي ممن يساورهم الشك في موت ابن بولعيد، فكنا كلما تجاذبنا أطراف الحديث عن الثورة وعن مناقب ومآثر أبطال الثورة ورموزها زعموا أن ابن بولعيد أعطى وعودًا لفرنسا، فأطلقته من السجن لإفشال الثورة في الأوراس، فلما حاول تنفيذ مخططه اغتاله زملاؤه.. وكلّما حاولت أن أفنّد الإدعاء وأن أبين بأن هذه الشائعات تصدر عن جهات مختصة في سلطة الاحتلال هدفها الطعن في مصداقية رموز الثورة، قصد إثارة البلبلة وسط المجاهدين وإفشال المسيرة إلا أنهم كانوا يصرّون على صحّة الإدعاء، فكان لي هذا أحد الحوافز التي جعلتني أخصّ هذه الشخصية الوطنية بكتاب صدر في الموضوع، وأعيد طبعه للمرة الرابعة، بالإضافة إلى هذا الكتاب الذي نأمل أن يظهر للوجود، وهؤلاء الزملاء إنما هم يطعنون في هذه الشخصيات لأنهم لم يذوقوا معنى الوطنية إلا بعد 1962، ولم يعيشوا أحداث الثورة إلا بعد أن نزل بينهم المجاهد: محمد الشريف أمساعدية رفقة المجاهدين عبد الله بلهوشات وعبد العزيز بوتفليقة، الذين أوفدتهم قيادة الأركان العامة من تونس إلى أقصى الحدود الغربية سنة 1961 لإثارة الحس الوطني في قلوب سكان الصحراء، بعد أن أصرّت فرنسا على فصل الصحراء عن الشمال وتمسّك وفد الحكومة المؤقتة بالوحدة الترابية للجزائر، ولو انتهى الأمر هنا لهان، غير أن الأغرب منه ما صدر من قبل مواطن مجاهد في مدينة ابن بولعيد، ينتمي إلى كونفيدرالية جبهة التحرير الوطني في أوربا حائز على الاعتراف وعلى التكريمات، وينتمي إلى أسرة

محافظة، فقد وجدني هذا الشيخ مستندا إلى حائط وسط المدينة، بعد أن صدرت الطبعة الأولى من الكتاب: مصطفى بن بولعيد – مواقف وأحداث – فتوقف قربي، وحاول أن يعبر لي عن فعل الكتابة لوجود حبسة في جهاز النطق عنده، فاستعان بإشارة تدل عن فعل الكتابة، وقال: – بعد عناء – مار أيك في خروج ابن بولعيد من السجن بقسنطينة؟ فأجبته، هو ما قرأته وسمعته يا عمّ. فقال: أتظن أن سجن الكدية كرتون حتى يخرج منه؟

فقلت له يا عم، هل نصدقك أنت ونطعن في شهادة خمسة من رفقائه الفارين معه لازالوا أحياء وذكرت منهم: 1) الطاهر الزبيري. 2) محمد بزيان. 3) محمد العيفة.. وعندما لم يتمكن من إقناعي أو من تضليلي على الأصح قال: طالعوا المجلات الفرنسية ويعني «إستوريا مقازين» فقلت له: طالعنا أعدادًا منها ولم نجد شيئا مما تزعمه!.

فضحك مني ضحكة ساخرة، وانصرف، وقبل أن يبتعد عني صحت فيه عمي الشريف! أنا بصدد إعادة طبع الكتاب، فهل تقبل أن أقول بأن الشريف يقول بأن ابن بولعيد لم يهرب من السجن.. وإنما أطلقته فرنسا.. كتعديل في الموضوع أو إضافة؟ فطأطأ رأسه، وانصرف...

هذه الأحاديث الزائفة التي لا تقوم على دلائل واضحة وسندات موضوعية سوف تعتبرها الأجيال اللاحقة التي لم تعش أحداث الثورة ولم تتشبع بالأفكار الثورية، ولا تقدر قيمة التضحيات التي جاد بها بسخاء رجال عظماء شاء القدر أن يكونوا رموزا في التضحية وفي الوفاء للوطن، فيعتقدون أن ما يذاع ويُشاع ويباع ويشترى من الأقوال، هي عين الصواب فيتنكرون لماضي أجدادهم ويسيئون الظّن في تاريخ أمجادهم، وتلك هي البلية الكبرى.

إن هذه العناصر (الوطنية) منحة مهداة من السّماء، ويُعدّون طفرات في تاريخ البشرية، ولن يجود الزمن بأمثالهم في كل عصر، إذ لم يظهر بعدهم من المسؤولين من يرهن ممتلكاته مقابل الحصول على أموال لشراء أسلحة للثورة، كما فعل ابن بولعيد، ولم يظهر من بعدهم من المسؤولين من يتنازل عن حقه في الميراث لقاء أموال يساهم بها في تمويل الثورة، كما فعل ديدوش، كما لم يظهر بعدهم من المسؤولين من يعرض

حذاءه للبيع للحصول على مال لتسديد ثمن اشتراك ضاع منه، كما فعل بوضياف، فقد خصهم القدر بخصال لا يتوفر عليها الكثير من الرجال في عصرهم.

ولنا أن نتساءل بعد هذا الذي أوردناه عن هروب ابن بولعيد من سجن الكدية – بقسنطينة – وما قيل في الموضوع، هل التهمة تشمل بقية العناصر العشرة التي فرت معه أم أنها تخصه هو بالذات، نظرا لمكانته ومنزلته التاريخية، فإذا كان الأمر يشمل الجميع، أعني جميع الفارين معه من سجن الكدية، فكانوا بذلك عناصر منتقاة بعناية ومكلفة بمهام خاصة، فكيف يسمح لهؤلاء بالاندماج وسط الوحدات واستئناف نشاطاتهم الثورية بصفة عادية، ومنهم من أتيحت له فرص الترقية ليصل إلى أعلى رتبة في جيش التحرير الوطني ولم تحُم حوله الشبهة أبدا مثل: الزبيري آخر قادة الولاية الأولى التاريخية الذي أعاد تنظيم الولاية الأولى وواجه مخططي الجنرالين: شال، وكريان، ومنهم من استشهد خلال ثورة التحرير، وشهد بعضهم الاستقلال، مثل: محمد العيفة، ومحمد بزيان، وعريف حسين، وسليمان الزايدي؟.

ولست أدري ما إذا كانت هذه الشهادات التي يدلي بها بين الحين والآخر رفقاء ابن بولعيد في السجن ستزيل بعض الصدإ عن هذه النفوس المتوهّمة لتعود إليها الثقة في أمجادها.. على أي حال سوف أحاول نقل بعض الشهادات عن صناع الحدث بأمانة إلى القراء، ولهم بعد ذلك أن يحكموا...

شهادة المجاهد: مصطفى طورش

طورش مصطفى

وهذه شهادة المجاهد، السجين: مصطفى بن المبارك طورش من مواليد 4 – 8 – 1925 بدوار إيشمول، بدأ النضال سنة 1945 في حزب الشعب المنحل، ثم واصل النضال في الحركة الوطنية لانتصار الحريات الديمقراطية منذ تأسيسها سنة 1946.

عضو في المنظمة الخاصة منذ سنة 1947 تاريخ إنشائها، وبما أنّ هياكل هذه المنظمة ظلت قائمة في الأوراس ولم تكتشف على غرار ما حصل في بقية المناطق، فقد ظل يمارس النضال داخل أطرها في إطار التحضير للثورة.

تشبّع بالفكر السياسي الثوري، وتدعّم عنده هذا الوعي بحتمية الكفاح المسلح مع وصول عناصر قيادية في المنظمة الخاصّة، كانت مطاردة من قبل البوليس الاستعماري إلى الأوراس أمثال: رابح بيطاط، عبد الله بن طوبال، عمار بن عودة، عبد السلام حباشي، بوزيد محمد، زيغود يوسف، عبد الباقي بكوش، سليمان بركات... وآخرين فكان هؤلاء المناضلين يشكّلون مدرسة متنقلة لنشر الوعي السياسي والفكر الثوري بين المواطنين في الأوراس الذين آووهم وحموهم ووفرّوا لهم شروط الأمن والاستقرار، فأعدوا لهم بطاقات تعريف مزوّرة ضمنت لهم نوعا من التغطية وحريّة التنقل، بمبادرة من المناضل:محمود بن عكشة موظف لدى الحاكم في آريس.

كان أول سؤال ألقي على المجاهد: مصطفى طورش.

هل تم القبض عليكم بصفتكم مجاهد مسلح أم عضو في شبكة الدعم؟

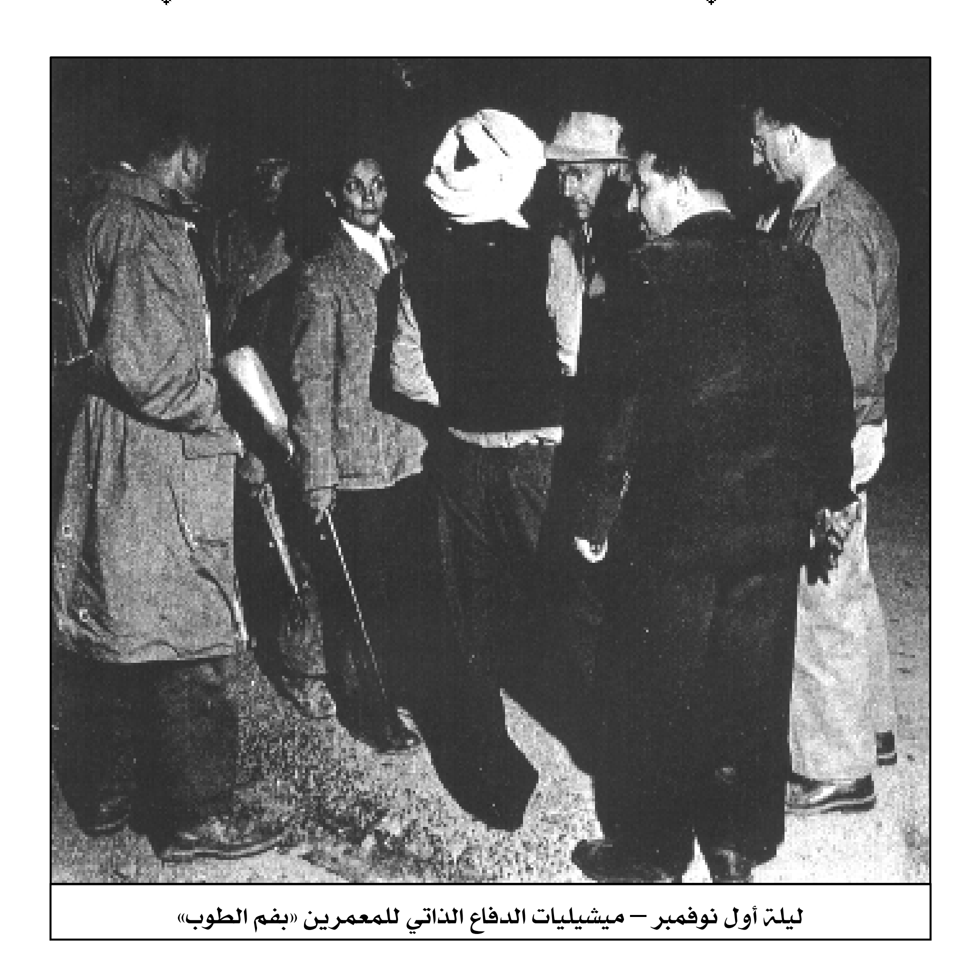
المجاهد: ألقي علي القبض كمجاهد مسلح.

السؤال: متى التحقتم بالثورة، كمجاهد؟.

المجاهد: التحقت بالثورة كمجاهد انطلاقا من خنقة لحداده بتبكاوين حيث تم تجميع المناضلين ليلة أول نوفمبر 1954، على غرار التجمع الذي وقع في دشرة أولاد موسى بإيشمول.

السؤال: ما هي المهمة التي أسندت إليكم ليلة أول نوفمبر؟.

المجاهد: عُينت في فوج كان على رأسه المجاهد: نجاوي ناجي، وقد أسندت إلينا مهمة تخريب أملاك المستوطنين في فم الطوب، واختيار القيادة لنا للقيام بالمهمة في هذه المنطقة، كان بحكم العلاقة التي تربطنا بالمكان ومعرفتنا بالأرض



ليلة أول نوفمبر – ميشيليات الدفاع الذاتي للمعمرين «بفم الطوب»

السؤال: أين ومتى ألقي عليكم القبض؟.

المجاهد: ألقي عنّي القبض في دوار أولاد فاضل بين قريتي أشمرة ودوفانة وذلك في أثناء قيامي ببعض المهام الثورية.

السؤال: هل تتذكرون التّاريخ الذي وقع فيه القبض عليكم؟

المجاهد: نعم، كان ذلك بتاريخ 11 أو 12 من شهر جانفي سنة 1955، نقلت على الفور، بعد الاستنطاق إلى السّجن المدني بباتنة ثم بعده إلى تازولت.

السؤال: ما هي التّهمة المنسوبة إليكم؟

المجاهد: المشاركة في أعمال الشغب – كما يصفونها – ويريدون بذلك (الثورة)، وأضافوا إلى تهمة المشاركة في عملية «تاغيت» الشهيرة، قصد تضخيم ملف التهمة ومضاعفة العقاب، لأن هذه العملية خلّفت أصداء واسعة، كون ضحاياها مدنيين.

السؤال: أين ومتى وبماذا صدر الحكم ضدكم؟

المجاهد: صدر الحكم في المحكمة العسكرية بقسنطينة بتاريخ 25 – 10 – 1955 ومنطوق الحكم كان – الإعدام- !.

السؤال: أين تم تحويلكم بعد أن صدر الحكم في حقكم بالإعدام؟

المجاهد: بعد أن صدر الحكم ضدّي نقلت على إثره من سجن القصبة إلى سجن الكدية.

السؤال: أين ومتى التقيتم بمصطفى بن بولعيد؟.

المجاهد: مصطفى بن بولعيد كان قد سبقني إلى سجن الكدية، وكانوا – 22 – سجينا محكوما عليهم بالإعدام، ولحقنا بهم أنا وعثمان طورش وآخرين...

السؤال: من كان صاحب فكرة الهروب من السجن بالرغم من خطورة المحاولة وضآلة فُرص النجاة؟

المجاهد: صاحب فكرة الهروب من السجن هو القائد: مصطفى بن بولعيد الذي كان يستشير الجميع ويأخذ برأي الأغلبية.

السؤال: كيف بدأت المحاولة (عملية الحفر)؟.

المجاهد: كانت الغرفة تدعى بالمجنزرة لصعوبتها – وقد بُنيت للشيخ: الحداد، وكانت وسائل الحفر بسيطة، فكانت عبارة عن مزلاج من حديد انتزعناه من النافذة وقمنا بشحذه وتسنينه لكي يساعدنا على عملية الحفر، وكنا كلما وجدنا صعوبة في الحفر بسبب صلابة مادّة الإسمنت (الخرسانة المسلحة) سكبنا في الأخاديد التي كنا نحدثها بقطعة الحديد المسنّنة قليلا من الخل فتؤثر على المادة وتذيبها، مما يساعدنا على مواصلة الحفر.

السؤال: هل اعترضتكم صعوبات أخرى؟

المجاهد: اعترضتنا صعوبات أشدّ عندما صادفنا قضبانا من الحديد، وعندما لم نجد لها حلاً حدنا عنها، كما اعترضتنا أحجار صماء، فكنا نضع بينها أحجار أخرى أصغر منها ونرتكز عليها إلى أن تمكنّا من اقتلاعها.

السؤال: كم دام هذا العمل الشاق؟

المجاهد: تواصل العمل مدة 28 أو 30 يوما، تمكّنا بعده من الوصول إلى غرفة مجاورة كانت بها مهملات وخردوات من حطام الأسرة وبقايا الحشايا القديمة، فحاولنا أن نستعين بهذه الخردوات وأن نستغلها في صنع سلم نتسلقه للصعود إلى أعلى السور، فاستعرنا موسى من حلاق كان معنا في السجن لقطع أشرطة من قماش الحشايا وفتلها في شكل حبال لربط أجزاء الأسِرّة ببعضها في شكل سلم يساعدنا على الصعود فوق السور.

السؤال: ما هي الاحتياطات التي اتخذتموها في اللّحظات الأخيرة لضمان خروجكم؟

المجاهد: جاء سي مصطفى لمعاينة المكان والتأكد من سلامة الاختيار، فراح يرفع قرميدات السقف ويطل من تحتها، فلما ثبت له علو السور أكّد لنا استحالة النجاة حسب الخطة التي تبنّيناها للفرار، ثم دعانا إلى الزيادة في طول السلم وتغيير مكان نصب سلم الصعود.

السؤال: كم كان ترتيبكم بين السجناء عندما أُجريت القرعة في اللّحظات الأخيرة قبل الهروب؟

المجاهد: كنت مرتبا الثاني عشر بل السادس على الأصح لأن الستة الأوائل، وهم ممن نشطوا في عملية الحفر استثنوا من القرعة، بالإضافة إلى مصطفى بن بولعيد.

السؤال: صف لي لحظة بدء الفرار.

المجاهد: كانت لحظات صعبة ومصيرية، فإمّا النجاة وإمّا الموت، لكن عندما بدأت المحاولة ظهر مرة أخرى أن السّلم قصير، ولا يصل إلى أعلى السور، فاضطر السجناء إلى مسك أسفله بأيديهم بعد إسناده إلى حائط السور ليتمكن زملاؤهم من تسلقه بسرعة، فلا شيء أغلى من الوقت في تلك اللحظات.. سقط السلم بعد أن تمكن سبعة مساجين من الفرار، فأعدنا نصبه مرة أخرى، ولحق بهم أربعة آخرون،.

السؤال: كيف تفطن الحارس إلى وجود محاولة للفرار من قبل المساجين؟

المجاهد: تفطن الحارس عندما قام أحد السجناء بالصياح والصراخ.. شاف، شاف (chef chef) ابن بولعيد «صوتي (A – SAUTE)قفز» وكان هذا السّجين قد أصيب بانهيار عصبي وصدمة نفسية قبل اليوم، كما أنه كان قد أصيب بكسور تمنعه من الفرار[1]. وهذا البلاغ لم يرد عند غيره، وهو ممكن جدّا لأن المستجوبين في الموضوع كلهم من الناجين، ممن لا علم لهم بما حدث بعد خروجهم.

السؤال: ما هي الوصايا التي أسداها إليكم ابن بولعيد عندما كنتم تتأهبون للفرار؟

المجاهد: ظل يوصينا بأن نحمل معنا قليلا من السكر نتغذى به عندما لا نجد ما نقتات به، ونحمل معنا كذلك مسحوق الشمة نضعه عند الحاجة عند مداخل ملاجئنا أو فوق آثار أقدامنا لمنع الكلاب المدربة من اقتفاء آثارنا.

السؤال: هناك من يقول بأن سجن الكدية محصن ولا يمكن الخروج منه، ويعبرون عن ذلك بكلام ساخر «سجن الكدية ليس كرتونا» ويزعمون أن هؤلاء المساجين أطلقتهم فرنسا كعناصر اختراق لإفشال الثورة. فما رأيكم؟

---

1)– لم يذكر المجاهد: طورش اسم السجين أو تحفظ عن ذكره وكان بين السجناء سجينان أصيبا بجروح شكلت لديهما إعاقة تحول دون نجاتهما لكنهما ظلا مصرين على إدراج اسميهما في القرعة، وهما:

1)- المجاهد: شوقي سعيد (المنطقة 2) أصيب بكسور خلال المعركة التي استشهد فيها ديدوش مراد 18 جانفي 1955.

2)- المجاهد: محمد بصيري، وقد يكون هذا السجين هو سعيد حجار الذي تعرض لصدمة عصبية فضرب رأسه إلى حائط السجن فاستدعى الأمر فتح تحقيق في الموضوع.

المجاهد: انزعج المجاهد لهذا السؤال، واسترسل في الحديث بكلام زاد من حدة انفعاله وراح يقول: بأن هذه إهانة لابن بولعيد، وللجزائر قاطبة، والقائلون بها لهم أغراض أخرى، وراح يردّد الحديث النبوي الشريف «ثلاثة من أمتي لا يتّفقون على ضلال» فكيف نتفق ونحن ثلاثون على ضلال؟

السؤال: هل من دليل ملموس يزيل الغموض أكثر؟

المجاهد: رسالة تركها ابن بولعيد لإدارة السجن تؤكد مسؤوليته عن عملية الفرار.

السؤال: وهل هناك دلائل أخرى ترفع اللبس عن الحادثة أكثر؟

المجاهد: مجيء لجنة التحقيق بعد عملية الهروب للتحقيق في الموضوع... حيث أجمعنا في ردّنا على أسئلة اللجنة على أن معاملتنا كانت حسنة، غير أننا كنّا أمام موت محقق.. ولا شيء يمنعنا من أن نقوم بأي عمل ينجينا من الموت.


طورش مصطفى

السؤال: وماذا كانت نتيجة التحقيق؟

المجاهد: كانت نتيجة التحقيق إعادة مثولنا أمام المحكمة، بتهمة: محاولة الفرار. وصدور حكم ضدنا ب/ ستة أشهر سجنا و500 ألف غرامة مالية، فرفضنا الحكم، كما صدر الحكم ضد الفارين – الناجين – بـ/ سنة سجنا ومليون غرامة مالية.

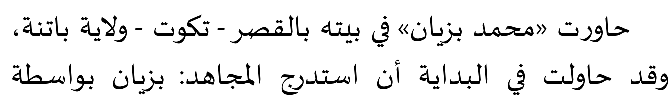
وأخيرا، حاولت أن أذكره بأسماء بعض زملائه ممن تم تنفيذ حكم الإعدام في حقهم وقد نشرت صحيفة/ لـ «أوبسير فاتورL'obsérvateur» أسماءهم بتاريخ 14 فيفري 1957 فلم يتذكر من بين تلك الأسماء إلا الشهيد: عمر الزايدي، واعتذر لأنه كان قد نقل إلى فرنسا وعاش بقية الثورة خارج الوطن، حيث واصل جهاده وسط السجناء عن طريق التوعية والوعظ والإرشاد والقيام بالشعائر الدينية(*).

*)- حاوره المؤلف على هامش الملتقى الوطني السابع لنوادي البحث التاريخي المنعقد ب/ آريس – باتنة – من 23 إلى 27 مارس 2014.

شهادة المجاهد: محمد بزيان


المجاهد محمد بزيان

المجاهد: محمد بزيان من مواليد دوار: زالاطو بالأوراس سنة 1933 مجاهد من الرعيل الأول، منذ ليلة أول نوفمبر 1954، كان ضمن الفوج الذي كُلف بمهمة تدمير جسر عين البئر بتكوت بواسطة المتفجرات، ومناوشة مجموعة الدرك الفرنسي بتكوت إيذانا باندلاع الثورة، ألقي عليه القبض وحوكم وصدر ضدّه الحكم بالإعدام، فأودع سجن الكدية قبل أن يلحق به ابن بولعيد – حسب تصريحه –


حاورت «محمد بزيان» في بيته بالقصر - تكوت - ولاية باتنة، وقد حاولت في البداية أن استدرج المجاهد: بزيان بواسطة أسئلة هادفة قصد الحصول على إجابات دقيقة لها صلة بالموضوع. غير أن المجاهد: بزيان كان قد تعود على الاسترسال في الحديث مع الصحافة ورجال الإعلام وغيرهم من المهتمين بتاريخ الثورة التحريرية.

قبل البدء في استجواب الشيخ المجاهد: محمد بزيان، قدمت له وثيقة – استمارة بحث – صادرة عن مصالح الاستعلامات الفرنسية في الجزائر والمشتملة على صور فوتوغرافية للفارين من سجن الكدية بقسنطينة مع ابن بولعيد، وذلك بنيّة التأكد من هوية الرجل وعلاقته بالمجموعة، وسألته: هل رأيت قبل اليوم هذه الصورة؟ فأجاب بالنفي. وأضفت: حاول التعرف على بعض العناصر إن كانت لديك سابق معرفة بهم فراح يحدّق في الصّور ويطيل النظر فيها، ثم يشير بسُبابته بعد تردّد، أليس هذا فلان؟ ويحدّق من جديد ويطيل النظر ويؤكّد إنه هو.. ثم يضيف، لا أدري فقد طال بنا العهد!.

فلما أشرت إلى صورته، قال بعد تردّد قصير: هذا أنا.. وقد استطاع أن يتعرف على أكثر من النصف من الفارّين معه من سجن قسنطينة، رغم طول المدة 58 سنة – من الفراق... ولم يكن قد التقى – حسبه – إلا بعناصر قليلة منهم: طورش مصطفى زايدي سليمان... فاطمأنت نفسي إلى أن الشخص الذي سوف أحاوره أحد هذه العناصر ولن يكون مُدّعيا أو منتحلا للصّفة.



DIRECTION DE LA SURETE NATIONALE EN ALGERIE

SOUS-DIRECTION DE LA POLICE JUDICIAIRE

Fichier Central

DIFFUSION URGENTE

RECHERCHES

ADDITIFS et RECTIFICATIFS à la Diffusion Urgente N° 133/55 du 12 Novembre 1955

I. — ADDITIFS

ابن بولعيد مصطفى — طايبي ابراهيم — العيفة عمر

كرومة حمادي — زبيري الطاهر — مشري لخضر

بزيان محمد — عريفي حسين — زايدي سليمان

حفطاري علي — بوشمال احمد

II. — RECTIFICATIFS

DESTINATAIRES :

Tous Services de Police et de Gendarmerie d'Afrique du Nord

استمارة بحث عن الفارين من سجن الكدية – قسنطينة –

فكان أول سؤال، واجهت به المجاهد: بزيان هو:

ما هي التهمة المنسوبة إليكم وبسببها حوكمتم وصدر ضدّكم الحكم بالإعدام؟

المجاهد: بزيان: ألقي علي القبض بسبب تلغيم جسر عين البئر – بتكوت – والاعتداء على الدرك الفرنسي في تكوت ليلة أول نوفمبر 1954، وصدر ضدي حكم بالإعدام.. المجاهد: بزيان يسترسل في الحديث دون انتظار للسؤال الثاني.. فقد تم نقلنا من تازولت إلى باتنة ومنها إلى قسنطينة، حيث جرت محاكمتنا في محكمة عسكرية وأودعنا سجن الكدية.. كانت الزنزانات تأوي من شخص واحد إلى ثلاثة أشخاص، وعندما امتلأت الزّنزانات تمّ نقلنا إلى القاعة، ونقلوا خلالها ابن بولعيد إلى قاعة أخرى بعد أن طعن في الحكم الذي صدر ضده... وبعد عشرة أيام أعيدت محاكمته، بتأكيد نفس الحكم السابق – الإعدام -.

س/ أين تعرفتم على ابن بولعيد؟

ج/ المجاهد: بزيان يسترسل في الحديث، وقد تم في أثناء ذلك نقلنا إلى القاعة المدرّعة التي تأوي جماعة قالمة (ويعني بهم المتّهمون بالتّحريض في أحداث الثامن ماي 1945) ونقلوا إلينا ابن بولعيد، حيث بلغ عددنا – 30 – شخصا كلّهم محكوم عليهم بالإعدام، وجميعهم من الشمال القسنطيني والأوراس (ويعني بذلك الولايتين التاريخيتين الأولى والثانية).

س/ من كان صاحب فكرة الهروب من السجن؟

ج/ المجاهد بزيان: ابن بولعيد هو من فكر في مسألة الهروب من السجن، فقد عقد معنا اجتماعا أوضح فيه بأن العهد الذي قطعناه مع المجاهدين، أنّنا سنواصل الكفاح ولو كان ذلك من السجون وطلب من كل فرد منّا أن يعطيه فكرة عن إمكانية الهروب أو القيام بعمل ما لصالح الثورة، وأضاف – ابن بولعيد – ولست أنا المسؤول وحدي فكلّكم مسؤولون.

... تعدّدت الآراء، واختلفت الأفكار والتصوّرات إلى أن فصل فيها «حجاج بشير» من الخروب – (نفذ فيه حكم الإعدام بتاريخ 3 – 1 – 1957) والذي كان قد سبق له أن دخل السجن – الكدية – بسبب نشاطاته السياسية قبل الثورة، وتعرّف على المرافق المحيطة به، حيث أوضح للجماعة أن القاعة التي يقيمون بها محاذية لمخزن للخردوات، وبابه (المخزن) مصنوع من الخشب وسقفها من الجبس... فعلق ابن بولعيد على كلامه قائلا: «سنحاول مهما يكن، فإن تمكنا من النجاة فذلك خير لنا، وإذا لم نتمكن من النّجاة، نكون قد سجلنا المحاولة، ودخلنا التاريخ...».

س/ كنتم لا تتوفرون على أية أداة تساعدكم على الحفر، فكيف تمكّنتم من إحداث ثغرة في الجدار؟

ج/ المجاهد بزيان: طبعا لم نكن نملك أية أداة أو وسيلة تساعدنا على الحفر، فرحنا نبحث داخل القاعة عن أي جسم أو أداة حادّة تسمح لنا بالقيام بأدنى محاولة فاهتدينا إلى

مزلاج النافذة، فانتزعناه، وسددنا مكانه بتراب مخلوط بالصابون، وكان لحسن حظنا أن باب القاعة مفتوح في اتجاه القبلة، فكان أحدنا يتظاهر بالصلاة دوما ليختلس النظر من تحت الباب في مراقبة حراس السجن.

ويضيف المجاهد: بزيان في كلام مسترسل يبدو أنه كان قد اعتاد عليه، فيقول: كنا نستعمل الخل في إذابة الخرسانة المسلحة، فيساعدنا ذلك على مواصلة الحفر، ويستطرد المجاهد بزيان، فيقول: بعد الانتهاء من عملية الحفر نسدّ الأخاديد الناتجة عن عملية الحفر بالتراب المخلوط بالصابون، ونخفي الأداة المستعملة بين ألياف المكنسة... وبعد 12 يوما تمكنّا من إحداث ثغرة باقتلاعنا لقطعة من الخرسانة، فاعترضتنا قضبان من الحديد الصلب، فانحرفنا قليلا عنها، وبعد 28 يوما من العمل المتواصل استطعنا أن نشق ثغرة في شكل نفق أوصلنا إلى الغرفة المجاورة، وكانت تحتوي على حطام للأسرة وبعض الحشايا... وقد صنعنا من هذه المهملات حبالا ربطنا بها حطام الأسرّة التي اتّخذناها سلالم لاستعمالها لتسلق السّور المحيط بالسجن، وبعد أن وفرنا بعض الشروط التي تسمح لنا بالقيام بمحاولة الفرار..

اقترح ابن بولعيد على كل مجموعة من المجموعتين (مجموعة الشمال القسنطيني ومجموعة الأوراس) حسب تعبير المجاهد: بزيان أن تقوم بإجراء القرعة بين عناصرها لضمان نوع من العدالة في الحظوظ بين المجموعتين عند الفرار، وقد أجمع كل المساجين على أن ابن بولعيد يُستثنى من القرعة، وكنا نحاول معه ذلك بهدف إقناعه، إلا أنه ظل مصرًّا على أن يدخل ضمن المجموعة فتجري عليه القرعة كغيره من المساجين... ولحسن نوايانا، فقد كان عدد الناجين من المجموعتين متساويا، فقد خرج من كل مجموعة خمسة عناصر، وذكر الناجين بالاسم.

س/ كم كان ترتيبكم بين الفارين عند تسلقكم للجدار؟

ج/ المجاهد: بزيان: كنت الثامن في الترتيب، وقد تسلقت السّلم قبل حدوث الزحام، وتدافع المساجين للخروج.

س/ أين توجهتم بعد خروجكم من السجن؟

ج/ المجاهد: بزيان: توجهت رفقة زميلي زايدي سليمان إلى جبل سيدي سليمان بناحية العثمانية، غير أن أحد المواطنين عدّل مسارنا ونصحنا بالتوجه إلى قرية: روفاك حيث وجدنا بعض المناضلين، فسألنا أحد المواطنين عن اسمينا، فلما أخبرناه أخرج من جيبه جريدة «لادبيش» كانت تصدر بقسنطينة، ثم راح من باب التأكّد من هويتنا يسألنا عن أسماء رفاقنا الفارين معنا من السجن..

توجهنا بعدها إلى ناحية «لقرارم»ومنها إلى ميلة ثم الميلية، حيث وجدنا ابن طوبال وبوبنيدر، ويضيف المجاهد بزيان: وكنت أعرف ابن طوبال خلال الفترة التي قضاها في الأوراس في مطلع الخمسينات.. فذكرّته ببعض الاجتماعات التي كنّا قد عقدناها في تكوت.

... وقد تهنا بعد أن تخلى عنّا الدليل، فعثر علينا بعض المناضلين، وظنوا أننا وشاة، فقاموا بتكبيلنا، وعندما وصل الجيش (المجاهدون) تعرفوا عنا إذ سبق لبعضهم أن شاهدنا عند ابن طوبال، فأطلقوا سراحنا.

تكفل زيروت يوسف بنقلنا إلى ناحية النّمامشة، ومنها إلى الأوراس حيث التقينا مع ابن بولعيد.

س/هل شعرتم بمعاملة متميّزة تسيء إلى سمعتكم التاريخية بعد اندماجكم في وحدات جيش التحرير الوطني؟

ج/ المجاهد بزيان: لا أبدا.

س/ هل اتصلتم بزملائكم الفارين معكم من سجن الكدية؟

ج/ المجاهد بزيان: نعم اتصلت ببعض الزملاء من بينهم: سليمان الزايدي ومحمد العيفة.

س/ وُجّهت تحذيرات من قبل بعض المسؤولين في قيادة الثورة في الأوراس تقول لا تثقوا في الفارين من سجن قسنطينة، فسجن الكدية ليس كرتونا، فما هو تعليقكم؟

ج/ المجاهد بزيان: رفض التعليق على السؤال، وظل صامتا، ففهمت أن السؤال غامض، فعاودت طرح السؤال بشكل آخر.

س/ ففي تصريح للمجاهد: مصطفى بوستة أمام جمعية أول نوفمبر لتخليد مآثر الثورة – بباتنة – قال فيه: لما أخبرت عاجل عجول بهروب ابن بولعيد من السّجن قال: أطلقته فرنسا جاسوسًا!.

ج/ المجاهد بزيان: اكتفى بالصمت ولم يعلق على السؤال كسابقه.

س/ حاولت أن أدفع المجاهد: بزيان للخوض في الموضوع، فكيّفت السؤال وضمّنته شيئا من الاستفزاز فقلت له: هناك أخبار تُروّج بين الناس في أوساط مختلفة (ذكرت بعضها) تقول بأنكم خرجتم من السجن بتواطؤ مع جهات رسمية استعمارية كعناصر اختراق قصد تخريب الثورة من الداخل، فكيف نستطيع الردّ على هؤلاء الذين يطعنون في شرف جهادكم؟

ج/ المجاهد بزيان: سكت قليلا، ثم قال: فرنسا كانت قد اتهمت الطاقم الإداري في السجن والحرّاس بنفس التهمة، فأحالتهم على العدالة، ولم تسفر التحقيقات التي أجرتها معهم في الموضوع على أي دليل يثبت تورّطهم في عملية الفرار التي جرت ليلة 10 – 11 نوفمبر 1955 من سجن الكدية – بقسنطينة -.

وقد حاولت أن أأكد العلاقة بين حديث المجاهد: محمد بزيان، بصفته شاهد على الحدث، وبين حديث أجراه الصّحفي: محمد عباس وأخرجه في كتابه «ثوار عظماء» نقلته جمعية أول نوفمبر لتخليد مآثر الثورة، في كتابها: مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية – الصفحة 804 – مع كل من العقيد: الزبيري ومحمد العيفة، كل على انفراد فاتضح لي أن السياق واحد مع وجود بعض الاختلافات في التركيب لا يضر بالمضمون. وهذا الاختلاف ممكن لطول المدة وتراكم الأحداث بعدها، مع تقدم سن المستجوبين، رغم أن الحدث يعد منعرجا حاسما في حياة سجين تعرّض لموت محقق، وقدّر له أن يعيش المغامرة الكبرى، وأن ينجو بحياته بعد اليأس.

فهل استطاع الطاعنون منع ابن بولعيد من محاولة إصلاح أوضاع الثورة المتردية؟

غير أن ما حصل هو أن ابن بولعيد، وبالرغم من الظّنون التي حامت حوله من قبل مسؤولين رسميين وقادة بارزين أمثال: عاجل عجول ومحمد بن المسعود بلقاسمي، والتي تقضي بأن يظل بعيدا عن التّسيير وأن يعتزل القيادة إلى أن تنتهي مدة الاختبار.

فبالرغم من هذه القيود التي لم تراع الظروف الاستثنائية التي تمرّ بها الثورة في المنطقة والتي هي في حاجة ماسّة إلى رجل إجماع يعيد لملمة الوحدات حول القيادة وإعطاء نفس جديد للثورة، وبالرغم من الاتفاق الحاصل بين عجول ولغرور أبرز قادة المنطقة في اجتماع جمعهما على أن لا يعود ابن بولعيد إلى المسؤولية إلاّ بعد التجربة المسطّرة في القانون الداخلي، ومحاولة عجول حمل بقية القادة على اتخاذ نفس الموقف من خلال مراسلات بعث بها إلى «على بن شائبة»، قائد ناحية يأمره فيها أن يبقي ابن بولعيد في الحياد[1]، وأخرى بعث بها إلى «أحمد نواورة» قائد ناحية – حسب رواية كاتبه محمود الواعيو – يقول فيها - حسب الراوي - «لا تثقوا في الجماعة التي هربت من سجن فرنسا لأنه ليس كرتونا حتى يخرجوا منه[2]».«غير أن أوامر عجول – حسب محمد عباس في خصومات تاريخية – لم تجد من ينفّذها غير مسؤول ناحية أمشونش! ومع ذلك يؤكد عجول أنه لم يبايع ابن بولعيد من جديد إلا بعد استشارة وموافقة خمسة من مسؤولي النواحي[3]» دون أن يذكر أسماءهم.

كان ابن بولعيد محوطا بفصيلة من المجاهدين جيّدة التسليح والانضباط والتكوين وقد صادف أثناء محاولة عبوره للوادي الأبيض جنوب قرية غوفي السياحية في 13 جانفي 1956 مع وحدة من المجاهدين أن اكتشف العدو هذه المحاولة، فاعترضها، وحاول تطويق المجاهدين، فاشتبك معهم فتحول الاشتباك إلى

---

1)- مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية إنتاج جمعية أول نوفمبر باتنة رواية عاجل عجول، ص: 411.

2)- مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين – العقيد: الطاهر الزبيري رواية الواعيو، ص: 141.

3)- خصومات تاريخية لـ/ محمد عباس ص: 352.

صدام ثم إلى معركة ضارية، أبلى فيها رفقاء ابن بولعيد بلاء حسنا، وبعد أربعة أيام فقط من هذه المعركة الضارية، دارت معركة أخرى في غار «غار علي بن عيسى» غير بعيد عن مكان وقوع المعركة الأولى في إيفري «البلح» بعد ترصد قوات العدو لمكان تمركز المجاهدين – وقد شارك في هذه المعركة ما لا يقل عن 150 جنديًّا من جنود جيش التحرير الوطني تحت قيادة ابن بولعيد الذي خاض المعركتين مقاتلا وقائدا مطاعا بالرغم من قانون الاختبار الذي يخضع له، وبمعيّة قادة نواحي ممن أصرّوا على رفض عودته إلى القيادة قبل استيفائه للمدة المنصوص عليها في القانون الداخلي، فقد كانوا يسيرون برفقته ويأتمرون بأمره ويتبادلون معه الآراء والأفكار حول الوضع السائد، ويرفضون في نفس الوقت عودته إلى القيادة!.

وقبل انقضاء المدة المنصوص عليها في القانون الداخلي والمحددة ب – 6 – أشهر أقاموا له احتفالا رائعا في حمام «شابورة»بقلب «كيمل» في 13 مارس 1956، ويحدد الرائد: هلايلي في كتابه: شاهد على الثورة في الأوراس المكان بدقة لمعرفته الجيدة بالمنطقة، فيقول بأن ذلك وقع في حاسي «مسلم» قرب «شابوره» وهو (حمام معدني) والذي تشرف بحضوره عن طريق الصدفة – حسب تعبيره –

وفي هذا الاحتفال أعيد له الاعتبار كقائد للمنطقة الأولى بعد فترة اختبار (بخضوعه للرقابة) دامت 4 أشهر بدل الستة المنصوص عليها، غير أن معظم الروايات التي وردت في كتاب: مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية عن مجاهدين قادة ميدانيين مقربين من ابن بولعيد تقول بأن الاحتفال الذي جرى في حمام «شابوره» وقع قبل هذا التاريخ، ولم يكن مبرمجا، إنّما وقع اللقاء بين مجموعة من القادة في أثناء تحركاتهم العادية يقول عجول في المرجع السابق (مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية) «وانتقل مصطفى إلى أحمر خدو حيث التقى بقائد الناحية: بلقاسمي محمد بن المسعود، وهناك لحق بهم علواني عبد الحفيظ رسول عجول وأعلمه باللقاء المنتظر في «سر الحمام» بكيمل شرق دشرة تاجموت إلا أن مصطفى عاجلهم والتقى بهم في «تاجين» جنوب كيمل مصحوبا بما بين 30 إلى 40 مجاهدا من «تاجموت» مع 30 كانوا مع عاجل عجول وبحضور حسين أمعافي وعلي بن شائبة

ومحمد بن المسعود بلقاسمي... وفرح المجاهدون بلقائه وراسلنا عثماني عبد الوهاب على أن يحضر العشاء معنا في حمام «شابوره» واستدعى أفواجا من المجاهدين من: برقة وطامزة وعالي الناس وبوجدار، ولما انتظم الجمع رفعنا العلم الوطني، وأقمنا احتفالا كبيرا، وألقينا خطبا بقدوم قائد الثورة[1]».

ولم يرد ذكر للتاريخ الذي جرى فيه حفل التكريم هذا ويستطرد الراوي فيقول: «ونظرا للظروف التي تعاني منها الناحية الغربية من الأوراس طلب مصطفى بن بولعيد من مركز القيادة بـ «بوجدار» أن يأذنوا له بالقيام بالجولة في الجهة الغربية لأن الوضع فيها يسوده الغموض، وأمدته القيادة بالسلاح والرجال، وفي أثناء طريقه إلى الناحية الغربية في جبل «أحمر خدو» وقعت له معركة كبرى في إيفري البلح يوم 14 - 01 -1956[2]».

هذه الرواية صدرت عن شخصية بارزة في قيادة المنطقة الأولى تُعد من أبرز العناصر التي اعترضت عودة ابن بولعيد للتسيير قبل أن يستوفي المدة المنصوص عليها في القانون الداخلي، وقد صدرت عنها أقوال في الموضوع اعتبرت إساءة وإهانة لابن بولعيد، وها هي تعترف بذلك صراحة دون التواء أو محاولة تنصل في أثناء الاجتماع الذي جمع قيادات المنطقة الأولى، فيما يوصف باجتماع إعادة الاعتبار، ففي مداخله للقائد عجول الذي تناول الكلمة خلال الاجتماع، قال بالصريح: «إنني يا سي مصطفى قد ساورتني الشكوك وخامرتني الظنون في هروبك من سجن العدو، وإنني أعلن لك وللحاضرين أني كنت قد أصدرت الأمر بإبقائك في حالة انتظار لا تمارس أية مسؤولية إلى أن تتبين حقيقة أمرك، وإنّني قد أصدرت هذا الأمر لأني كنت أرى فيه المصلحة العليا للثورة[3]».

---

1)- مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية رواية: عاجل عجول، ص: 411 – 412.

2)- المرجع نفسه، ص: 412 – 413.

3)- إشكالية القيادة في الثورة الجزائرية لـ/ محمد زروال عن مغربلي الرمل لمحمد مداسي، ص: 229.

إلا أنه هنا «القائد: عجول» يعترف في روايته بأنه أمدّ ابن بولعيد بالسلاح والرجال، وفي أثناء توجهه إلى الناحية الغربية لمعالجة أوضاع مستجدة خاض معركة ضارية في 13 جانفي 1956 في سفوح «أحمر خدو». حدث هذا قبل أن يستوفي نصف المدة التي ينصّ عليها قانون الاختبار الذي حاول عجول أن يلزمه به، والسؤال فكيف يُكلّف قائد خطير مشتبه في أمره بإصلاح الأوضاع في منطقة حساسة في غرب الأوراس، وأن تمدّه القيادة بالعتاد والرجال في مثل هذه الظروف. الحقيقة أننا كلما توغّلنا في البحث عن الحقيقة في ثورتنا ازدادت الأمور التباسا وغموضا وتأكد لدينا قول المؤرخ «باتريك إيفينيو» و«جان بلانشايس»في كتابهما: ملف وشهادات عن حرب الجزائر «بأن أحد العوامل الكارثية للثورة كان يكمن في نقص النضج السياسي لدى مجموعة كبيرة من إطارات المقاومة»[1].

والسؤال الثاني الذي ظل يخالج أذهاننا على الدوام هو. هل هذه الكوكبة من القادة التي كانت ترافق ابن بولعيد وتحيط به، تسير في ركابه، حيثما حل أو رحل، فهل كانت تحرسه أم تراقبه، فإذا كان هؤلاء القادة قد وضعوا أنفسهم رهن إشارته، فما معنى اجتيازه لفترة اختبار حسب ما ينص عليه القانون الداخلي... إن ما حصل هو أن القادة المتحمسين لإقصاء ابن بولعيد من التسيير لم يجدوا آذانا صاغية من قبل معظم القادة الميدانيين، وقد أثيرت حول الموضوع زوبعة أثارت حساسيات أطراف تنزّه ابن بولعيد عن كل ما من شأنه أن يسيء إلى سمعته وإلى شرف نضاله، وترى هذه الأطراف أن العظماء فوق القانون وأن ما حدث إهانة لقائد الثورة في الأوراس الذي احتفظ بالصّمت حول الموضوع، ولم يدل بأي حديث قد يثير الضغائن والأحقاد بين المجاهدين، عدا ما ورد في كتاب: آخر قادة الأوراس التاريخيين، للعقيد: الطاهر الزبيري، وكان قد سمع ذلك من العقيد: الحاج لخضر الذي قال: «كنت أتظلل أنا وسي مصطفى تحت جذع شجرة متكئين على جذعها، فتنهد سي مصطفى، فقلت له: سي مصطفى، هل أنت بخير؟ ماذا هناك؟ فقال لي: أتعلم ماذا

1)- حرب الجزائر ملف وشهادات لـ/ باتريك ايفينيو وجان بلا نشايس ص: 16.

قال لي عجول؟ النظام (الثورة) ستة أشهر لن يضع فيك الثقة»[1]، ويعلق على هذا الكلام بقوله: «وهذه الكلمات فاجأت ابن بولعيد فأثارت حفيظته وأزعجته كثيرا».

والراجح أنّ عجولا الطموح إلى تولي منصب قيادة المنطقة فوجئ بظهور ابن بولعيد مرة أخرى في الميدان فأفسد عليه مخططاته – حسب تعبير، محمد عباس – ويضيف الكاتب: محمد عباس «بأن عجولا خاصة لا يخفي طموحه، وهو طموح قديم يقول عنه المجاهد الكبير بوستة، أنه سبق أن عبّر عنه من خلال معاكساته القائد: مصطفى ابن بولعيد نفسه[2]». وقد امتلأت نفس عجول غيظا من تحديات عمر ابن بولعيد شقيق الزعيم: مصطفى بن بولعيد الذي ظل يرفض الاعتراف به وبلغرور كقائدين على الثورة في الأوراس، وراح يتصرّف بمفرده في القطاع الغربي من الأوراس الذي أمسى مفصولا عن الناحية الشرقية، فتكوّنت لديه حساسية اتجاه عمر الذي احتمى بمجموعة من القادة المحليين من عشيرته حسب الرائد: هلايلي، غير أن هذه الحساسية يفترض أن لا تتجاوزه إلى غيره «ولا تزر وازرة وزر أخرى» وهذه الحساسية شعر بها أكثر من كاتب، فقد أورد المجاهد: محمد زروال، في كتابه: إشكالية القيادة – الولاية الأولى يقول: «وإذا كان مصطفى بن بولعيد قد تم انتخابه من جديد بعد هروبه من السجن من طرف أغلب قادة جيش التحرير الوطني في منطقة: الأوراس – النمامشة، فإنه يعرف جيّدا أن عباسا وعجولا لم يعيدا إليه القيادة طائعين بقدر ما كانا مكرهين على ذلك مرغمين عليه» ويضيف المجاهد: زروال «وخلال المناقشات التي أجراها (ابن بولعيد) رأسا إلى رأس مع عاجل عجول، فإنه (عجول) اتخذ موقفا دعائيا زعم فيه أن الثورة إن كانت تعاني شيئا من الارتباك راجع إلى أن:

1) مصطفى بن بولعيد لم يحسن اختيار الرجال.

2) تحيّز لقبيلته «التّوابة» وأنصارهم.

---

1)- آخر قادة الأوراس التاريخيين للعقيد: الطاهر الزبيري، ص: 141.

2)- خصومات تاريخية لـ/ محمد عباس، ص: 350.

3) انحراف مسعود بن عيسى ومدور عزوي عن الخط الثوري، لأنهما يعولان على دعمه – ابن بولعيد – غير المحدود[1]».

وفي لقاء مثير يكشف العقيد: الزبيري عن جوهر الخلاف، وعن تداعياته، فيقول: «أثار عجول قضية عمر بن بولعيد... الذي انفرد بقيادة ناحية من نواحي المنطقة الأولى، ونصّب نفسه قائدا عليها في غياب أخيه ولم يعترف بعجول ولغرور كقائدين للأوراس، فرد عليه سي مصطفى: سأستدعي عمر وإن ثبتت عليه التهم التي وجهتها إليه، فأنا من سينفذ حكم الموت عليه بيدي.. فاستدعى سي مصطفى شقيقه بعد تجريده من المسؤولية[2]».

لا شك أن الصرامة المفرطة مع المتطوعين من المجاهدين من أعمار مختلفة ومن أوساط مختلفة كذلك، ومن قبائل ظلت الخلافات تمزّق كيانها من قرون خلت لا تجدي نفعا.

إن معاملة جنود متطوعين كجنود نظاميين في مراكز تدريب خاصة، سيدفع بهم حتما إلى إظهار التمرد والعصيان ورفض الخضوع للسلطة النظامية فيكون القائد بذلك قد جنى على نفسه وعلى الثورة، يعكس هذا حالة الجنود الذين أشار إليهم الرائد: عميروش في تقريره للجنة التنسيق والتنفيذ، والمسؤولون المباشرون عن هذا التمرد هم قادتهم الميدانيون، أمثال: عجول عاجل، وعايسي مسعود.

اجتماع وادي عطاف

يعتبر اجتماع وادي عطاف جنوب غابة بني ملول على حدود كيمل – المعقل الحصين للثورة – أهم اجتماع يعقده مصطفى بن بولعيد منذ هروبه من السجن، وقد ضم الاجتماع مسؤولي الأقسام والنّواحي لكل من: آريس، خنشلة، تبسة، سوق أهراس. حيث حضر ممثلوا هذه النواحي الاجتماع، بناء على دعوات وُجهت إليهم من قبل الإدارة – كما كانت توصف آنذاك– أذكر منهم – حسب روايتي: عاجل عجول، وعبد الوهاب عثماني – عبد الله أنواورية وموسى أحواسنية وعمر جبار عن سوق أهراس، عبد الوهاب عثماني عن كيمل، علي بن شائبة عن ناحية آريس، سيدي

1)- إشكالية القيادة في الثورة الجزائرية – الولاية الأولى نموذجا لمحمد زروال ص: 236.

2)- مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين للعقيد: الطاهر الزبيري، ص: 141 – 142.

حنّي (بشير ورتان) عن ناحية تبسة، وقد حضر كذلك التيجاني عثماني، ممثلا لعباس لغرور (الجريح) كما حضره حسب رواية عجول كل من: عزوي مدور وعمر بن بولعيد، وأحمد بن عبد الرزاق، ومصطفى بوستة.-.ويصف الراوي – عجول – في حديث مطول أجرته معه جمعية أول نوفمبر لتخليد مآثر الثورة بباتنة المشهد، فيقول: «لما وصل رؤساء المناطق واكتمل الجمع نزع مصطفى بن بولعيد اللّباس العسكري ووضع السلاح أمام المجتمعين الذين تجمعوا من أجله، على الساعة العاشرة ليلا، وأعادوا إليه الثقة من جديد... وأقسم أمامهم كيف خرج من السجن...واستثنى من القرعة... وحينئذ وافق الجميع على إعادة الاعتبار إليه، وإرجاع الثقة في شخصه[1]» إنه وبالرغم من أن الراوي قائد ومسؤول، وقد حضر الاجتماع بهذه الصفة، غير أن القارئ المتمعن من حقه أن يعمل عقله في الموضوع وأن يبدي بعض التحفظات على هذه الرّواية، فالاجتماع كان اجتماعا تقويميا للأوضاع السائدة، وتنظيميّا بهدف بعث النشاط الثوري ودعمه، دعي إليه أبرز القادة في المنطقة الأولى ومن نقاط مختلفة من تراب المنطقة، ولم يكن من أجل محاكمة ابن بولعيد الذي جعل من المنطقة شيئا مذكورا... فيتجرّد من لباسه العسكري مُتَذَلّلا ويلقي بسلاحه جانبا في شكل تمثيلية درامية ويحلف أمام جمع من القادة يمينا مُغلظا... ليبرئ نفسه من التهمة المنسوبة إليه، وهو القائد المحترم وسط المجاهدين، فينال بهاتين الحركتين الدراماتيكيتين عطف ورضا القادة المحليين من حوله فيعيدون له الاعتبار تكرّما أو تزلّفا، ويرفع عنه الحظر - على حد تعبير الراوي – وهو الذي قاد خلال شهر جانفي معركتي: إفري البلح وغار علي بن عيسى... ومما يثير الشكوك في نفس القارئ في صحة هذه الروايات الاختلاف بين الرواة في التواريخ وفي الأماكن وفي الشخصيات المدعوة للحضور وفي القرارات، وهذا الاختلاف يثير في نفوسنا نحن المهتمين بتاريخ ثورتنا الحيرة عندما نريد البحث عن الحقيقة – حقيقة ما جرى – لننقلها إلى الأجيال بأمانة.

وعندي أن الاجتماع الذي انعقد في وادي عطاف أيام: 11 – 12 – 13 – مارس 1956 كان اجتماعا رسميا تم التحضير له منذ مدّة بقرار من ابن بولعيد نفسه، إذ لو كان هذا الاجتماع لغرض إعادة الاعتبار للقائد ابن بولعيد لما استغرق مدة ثلاثة أيام كاملة،

---

1)- مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية – إنتاج جمعية أول نوفمبر – بباتنة، ص: 413 – 414.

وللقارئ أن يقدر المدة الزمنية التي يستطيع فيها حامل بريد الدّعوة إلى الاجتماع أن ينتقل من كيمل: مقر الإدارة إلى أقصى نقطة في سوق أهراس وفي ظروف أمنية صعبة، والمدة التي يقضيها المدعوون للحضور إلى الاجتماع لتلبية الدّعوة تمرّ بنفس الظروف هذا ما يؤكده الزبيري في مذكراته حيث يوضح ما يلي: «في 5 فيفري 1956 اتصلت قيادة المنطقة الأولى ب «الوردي قتال» - أحد قادة النمامشة – وطلبت منه حضور اجتماع سيعقد بالأوراس لتقييم الوضع وإحضار جبار عمر معه، وشكل هذا الأخير فوجا من...»[1].

وعليه فمن السّذاجة الاعتقاد بأن القادة المدعوين من سوق أهراس (المنطقة المضطربة آنذاك) ومن تبسة، إنّما دُعو للنظر في قضية ابن بولعيد وتجديد الثقة فيه أو سحبها منه، ومن الصعب التسليم بما جاء في كتاب: شاهد على الثورة في الأوراس للرائد: هلايلي عند قوله: «بأنه (ابن بولعيد) توسّط المجتمعين بعد أن وضع سلاحه جانبا معلنا لهم بأنه يمتثل لقرار إخضاع الأسرى لفترة رقابية (اختبار حسن النية) وأنه سوف لن يتسلم القيادة إلا بعد موافقة الجميع، فصاح الجميع كرجل واحد «أهلا بك قائدا منزها[2]» فإذا كانت مدة الاختبار أو الخضوع للرقابة قد انتهت ولم يثبت عن المشتبه فيه ما يثير الشك، فما الدّاعي إلى استقدام قادة من أماكن مختلفة للنظر في شأنه... فإما أن يكون الرّواة لا يحسنون اختيار الألفاظ والصيغ المناسبة التي تشخص المواقف وتعبّر عن الأحداث وتصفها وصفا حيّا لا يبعث على الرّيبة يجعل القارئ يسلّم بما جاء فيها عن قناعة، وإما أن تكون هذه الأحداث قد جرت في غيابهم ونقلت إليهم مشوهة من قبل أشخاص آخرين – والرواية مثل التيار الكهربائي تتأثر بالمعدن الناقل وبطول المسافة أو المدة – فكلما تعدّد الرواة أو كانوا ممّن يجيدون تهويل الأحداث وتضخيم المواقف اصطبغت الرّواية بلون آخر وفقدت إطارها الصحيح، ولعل أخطر ثغرة في تاريخ ثورتنا التحريرية، هي قلة السندات التاريخية وعدم إعطاء التدوين قيمة لتصبح فيما بعد – مرحلة الكتابات التاريخية – أهم مادة يستند إليها الكُتّاب – فلا تضطرهم الحاجة إلى اللجوء إلى الرّواية كمصدر

---

1)- مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين، العقيد: الزبيري ص: 131.

2)- شاهد على الثورة في الأوراس للرائد: هلايلي، ص: 230.

للمعلومة، والرواية كما نعلم تتأثر بمزاج صاحبها وبميولاته وعواطفه، وقل أن تجد راويان يتّفقان في سرد حادثة تاريخية كانا قد حضراها معا وشهدا وقائعها سويّا، وهذا ما لمسناه جليّا في الكتب التاريخية وفي مذكرات مجاهدين عاشوا هذه الوقائع، وكانوا شهود عيان في وقائع تاريخية تُعد منعرجا حاسما في تاريخ ثورتنا.

وقد اخترت وأنا بصدد إنجاز هذا العمل المتواضع الذي ينحصر في نطاق جغرافي معيّن، ويتعلق بمسار نضال شخصية ابن بولعيد خلال فترة زمنية معينة الاعتماد على آراء وأقوال وتصريحات لشخصيات بارزة خلال تلك الحقبة (عند – وبعد اندلاع الثورة) يفترض في أقوالها أن تكون مصادر حقيقية، نظرا لقربها من الشخصية المحورية (ابن بولعيد) كما يفترض فيها أن تكون على دراية كاملة بأهم الأحداث، وأن تتفق آراؤها أو تتقارب نظراتها اتجاه هذه الأحداث.

وهذه الشخصيات كانت مقرّبة من ابن بولعيد ومحل ثقته، وأبرزهم: عاجل عجول، عبد الوهاب عثماني، مصطفى بوستة، وقُدّر لهؤلاء الثلاثة أن يشهدوا الاستقلال وأن يطووا صفحة الحساسيات التي سادت تلك المرحلة، ويفترض فيهم أن يؤتوا بالحقيقة على وجهها، غير أن الروايات التي صدرت عن هؤلاء الثلاثة والمدوّنة في كتاب: مصطفى ابن بولعيد لـ/ جمعية أول نوفمبر لتخليد مآثر الثورة – الذي اعتمدناه كمرجع مهم – تحتوي على كثير من التناقضات سواء من حيث الإطار أو من حيث الجزئيات، بالرغم من أن هذه الأحداث تُعد منعرجا كان لها صدى خطيرا فيما بعد... ومفاصل هامة في تاريخ الثورة، ونقاط الاختلاف تشمل الأمكنة كما تشمل الأزمنة التي جرت فيها، وتشمل أيضا وبدرجات أقلّ القرارات والمواقف التي صدرت عن الشخصيات الفاعلة آنذاك.

وقد لا يجد القارئ صعوبة في أن يكتشف أن بعض الروايات هي مزيج من الحقيقة والخيال.

المستخلص من اجتماع وادي عطاف أيام: 11 – 12 – 13 – مارس 1956 لمسؤولي الناحية الشرقية من الأوراس – النمامشة جنوب غابة بني ملول، والذي حضره جميع

قادة الناحية الشرقية باستثناء: عباس لغرور – الجريح حسب بعض الروايات، – أنه كان قد انعقد من أجل:

أ) تقويم الوضع العام بعد ما يقارب من سنة ونصف سنة من اندلاع الثورة المسلحة.

ب) تقديم عروض حال عن الوضع السياسي والعسكري لكل ناحية لاختلاف في الخصوصيات بين النواحي.

ج) إعادة النظر في التقطيع الجغرافي للنواحي، وفي إسناد المهام لبعض المسؤولين ممن أظهروا التقاعس، فانعكس على المردود، قصد إعطاء نفس جديد للثورة.

د) نقاط متفرقة تتعلق بالتموين وبالتسليح، بالصحة والعلاج، وبالدعاية للثورة.

وقد تقرر في هذا الاجتماع إعادة الاعتبار وتجديد الثقة في شخص القائد: ابن بولعيد، وهاتان العبارتان اللّتان تَمُجُّهما الآذان ويكثر الرواة من استعمالهما في مختلف المناسبات تسيئان إلى القائد: ابن بولعيد أكثر مما تُعليان من شأنه، والسؤال المطروح: متى فقد ابن بولعيد اعتباره حتى يعاد إليه؟ ومن انتزع منه الثقة حتى يجددها في شخصه؟ ففقدان الاعتبار، وانتزاع الثقة إنما يأتيان بعد ثبوت التّهمة بالانحراف عن المبدإ أو بالنّكوص أو بالرّدة والخيانة ثم الإقرار والاعتراف بالخطإ من قبل الشخص، والعودة من جديد إلى الجادّة والنظام، وللقادة بعدها حقّ النظر وتجديد الثقة في الشخص المعني أو حجبها عنه (وقد علقنا على الموضوع بشيء من التفصيل والتوضيح، في كتابنا مصطفى بن بولعيد – مواقف وأحداث) الصفحتان: 184 – 185 الرجاء مراجعة الموضوع. ولي في الأخير مجموعة من الأسئلة لا شك أنها تخالج أفكار غيري من القراء والمهتمين بالموضوع، أختم بها الموضوع لأفنّد زيف هذه الادعاءات.

لعل أول سؤال يتبادر إلى الذهن هو: من ترأس هذا الاجتماع (اجتماع وادي عطاف) لا شك أن الإجابة على هذا السؤال لا تحتاج إلى تأمل أو تفكير.. فهو مصطفى بن بولعيد، والسؤال الذي يتولد عنه، فكيف يُسمح لمسؤول فقد ثقة المجاهدين في شخصه أن يرأس الاجتماع ويستمع إلى عروض حال عن أوضاع الثورة في كل ناحية من المنطقة... الكل يجمع على أن ابن بولعيد منذ أن حلّ بجبل

«أوستيلي» قرب باتنة، لم تتخل عنه فصيلة من المجاهدين ما بين 30 إلى 40 رجلا من خيرة المقاتلين كفاءة وتسليحا، فماذا كان دور هذه الفصيلة التي لم يحظ بها غيره من القادة، هل كانت تحرسه في أثناء تنقلاته من مركز إلى مركز ومن وحدة إلى أخرى؟ أم كانت تراقبه، ولم لا يتم حجزه – مع الاحترام – إلى أن تنتهي مدة الرقابة أو الاختبار؟ والسؤال الثالث، وهو في الحقيقة إجابة عن سؤال متضمن في الإجابة وهو أن الذين أرادوا سحب الثقة من ابن بولعيد لحاجة أفسدت عليهم مخططاتهم، أذهلتهم مفاجأة عودته، فراحوا يبحثون عن ذرائع مستساغة لإقصائه، ولو كان بوسعهم أن يفعلوا ذلك لفعلوا، فلما مات انكشفت الحقائق جلية.

فجميع المراجع التي بحوزتنا تؤكد أن ابن بولعيد كان يمارس سلطته ويتنقل من مكان إلى آخر لاستطلاع الأوضاع في النواحي المحيطة بمركز القيادة ويبعث برسل إلى المناطق المجاورة، ولم يتجرأ أحد من أن يمنعه من الاتصال بالوحدات وإعطاء التعليمات وإصدار الأوامر، والقيام بتفقد المراكز، وكان بإمكان مناوئيه أن يفعلوا ذلك، لولا أنه كان محوطا بنواة صلبة وحراسة قوية، وما كان يتمتع به من ثقة وتقدير وسط المجاهدين، سمعة طيبة ورصيد نضالي ضخم لا ينافسه فيه منافس، ولا نعلم أن في الرّعيل الأول من المجاهدين ممن تعلموا أبجدية النضال على يديه أن ينسب إليه الخيانة أو يناله بسوء، وهو الذي قال لـ/ «فانساي مونتاي» الموفد من قبل «سوستيل» لاستنطاقه في تونس بعد الأسر، وهو في لحظة من لحظات اليأس وذل الأسر، عندما سأله «مونتاي» كيف تنساق يا ابن بولعيد مع هؤلاء الرّعاة الصعاليك، وأنت رجل محترم وذكي وتتمتع بمكانة اجتماعية بين قومك؟.

فأجابه ابن بولعيد في كبرياء «إن الهيمنة المسلطة علينا من قبل حكومتكم لا تسمح لنا بالانتظار إلى أن يصير هؤلاء الرعاة علماء! لو أستطيع أن أعيدها (يعني الثورة) لأعدتها» – سبقت الإشارة إلى المرجع – وقد أظهر ابن بولعيد خلال هذه التنقلات مرونة كبيرة، وتحلى بالحكمة والصّبر مراعاة لمصلحة الثورة أولا وأخيرا، فلم يؤنب ولم يقل ولم يفصل ولم يُحول أحدا في انتظار استقرار الأوضاع وعودة النظام إلى المنطقة التي كانت توصف ببؤرة التوتر

الكبرى «وظل خلال كلّ زيارة يلمّح إلى الصراعات الخطيرة التي يمكن أن تعصف بالثورة نتيجة الإفراط في حب الرئاسة ومخاطرها على الثورة كلها[1]». يقول محمد عباس في نصر بلا ثمن: «لم يبق (ابن بولعيد) مكتوف الأيدي، فقد أخذ بعد استراحة قصيرة واستعادة أنفاسه يقوم بجولات تفقدية للتّعرف على مستجدات الثورة بالمنطقة... بدأ جولته من جبل أوستلي حيث التقى بالمجاهدين.- هناك -.. وعرّج على عين التوتة حين خطب في ثوار الناحية، معبّرا عن ارتياحه «لأن بذرة الثورة نبتت ومدت جذورها في أعماق الشعب[2]...».

خمدت فجأة بظهور ابن بولعيد على مسرح الأحداث حدّة الصّراع على السلطة التي هزّت جميع نواحي المنطقة الأولى عدا ناحية باتنة التي كان على رأسها: الحاج لخضر.

بالرغم من أن ابن بولعيد كان قد التزم من الناحية الشكلية بالفترة الاختبارية التي نصّ عليها القانون الداخلي، فاستعادت المنطقة عافيّتها بمجرّد ظهوره وانطفأت جذوة الصراع في قلوب المتنافسين على السلطة.

قرارات وتوصيات اجتماع وادي عطاف

أنهى ابن بولعيد اجتماع وادي عطاف يوم 13 مارس 1956 بسلسلة من التوصيات والقرارات وُضعت موضع التنفيذ، كان من أهمها:

1) التحضير لاجتماع يضم قادة المناطق الخمسة بالإضافة إلى الوفد الخارجي لبحث مستجدات وآفاق الكفاح المسلّح ضدّ الهيمنة الاستعمارية، وقد أرسل في هذا الشأن: محمد لعموري رفقة الشيخ: يوسف اليعلاوي إلى المنطقة الثالثة حاملين معهم رسالة إلى قائدها «كريم بلقاسم[3]»، كما أرسل لجنة من ثلاثة مجاهدين إلى ناحية سوق أهراس بهدف البحث عن مكان مناسب لاستضافة الاجتماع، والقيام بالتحضيرات اللازمة من الناحية الأمنية والتموين[4]، وهذا ما أكده المجاهد: عبد الوهاب عثماني أحد

---

1)- نصر بلا ثمن لـ/ محمد عباس، ص: 165.

2)- نصر بلا ثمن لـ/ محمد عباس، نفس المرجع السابق.

3)- نفس المرجع، ص: 167.

4)- نفس المرجع.

أعضاء هذه اللجنة بمعية كل من: محمد العيفة – وعمار دونا – يقول المجاهد: عبد الوهاب عثماني في استجواب أجرته معه جمعية أول نوفمبر، وتقرّر في نهاية الاجتماع:

2)- تعيين لجنة تقوم بالصّلح بين المجاهدين في سوق أهراس.

3)- التفكير في عقد مؤتمر عام للثورة في سوق أهراس... وهذا ما وقع فيما بعد بالصومام حيث أعطيت لأعضاء الوفد (اللجنة) الأوامر بأن يتصلوا بعبد المجيد رافع في سوق أهراس وبـ/ السعيد عبد الحي وعمارة بوقلازة في تونس[1] لتنسيق المواقف.

وفي رواية أخرى لعجول يقول: «بأن ابن بولعيد أمره بالبقاء في المركز إلى حين عودته من المنطقة الثالثة، وهذا يعني حسب عجول أن ابن بولعيد كان ينوي الذهاب بنفسه لمقابلة كريم في نفس الموضوع[2]».

هناك تضارب في الأقوال، واختلاف في الرّوايات يصعب التمييز بينها إلا من خلال الربط بين التصريحات وبين الأحداث التي جرت لتأكيد مدى مطابقة هذه التصريحات للوقائع والأحداث التي ترتبت عنها ووضعت موضع التنفيذ.

4)- وقصد إحداث نوع من البلبلة داخل معسكرات العدو، أمر ابن بولعيد مسؤولي النواحي بتكثيف مراسلات الجنود المغاربة المتطوعين في صفوف القوات الفرنسية، والجنود الألمان العاملين ضمن وحدات اللّفيف الأجنبي وإعطائهم وعودا بشتى المغريات في حالة التحاقهم بالثورة، ولهم الخيار بعد ذلك في أن يواصلوا العمل وسط وحدات جيش التحرير الوطني أو العودة إلى بلدانهم، وقد استطاعت الثورة عن طريق الدعاية أن تستميل عددا لا بأس به من الجنود الألمان خاصة فانضموا إلى الثورة، فاستشهد بعضهم خلال الثورة، وعاش آخرون إلى أن شهدوا الاستقلال، وعن طريق العمل الدعائي أيضا تم تحييد الطابور المغربي بإعلانه الإضراب ورفضه القتال في الجزائر، فأعيد إلى المغرب.

وبالإضافة إلى هذه النقاط الأربعة، فقد أسديت للقادة مجموعة من التوصيات تتعلق بالانضباط والنظام، واحترام السلاليم التصاعدية والعمل دوما ضمن إطار الجماعة.

---

1)- مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية/ جمعية أول نوفمبر، ص: 505.

2)- المرجع نفسه، ص: 415.

الفصل السادس

اجتماع وداع

وقد أعلن ابن بولعيد عقب الاجتماع نيّته في عقد اجتماع مماثل لقادة المنطقة الغربية في الجبل الأزرق بتاريخ 22 مارس 1956، وأوفد على جناح السرعة رسلا إلى جميع مسؤولي الجهة الغربية للأوراس لحضور الاجتماع المزمع عقده بالتاريخ المذكور... وهكذا هبّ لتلبية دعوة قائد الثورة كل من: محمد بن مسعود بلقاسمي، قائد ناحية: أمشونش، عمار أمعاش – عن ناحية: شلية، الطاهر نويشي – عن ناحية: بوعريف، الحاج لخضر.ـ عن ناحية: باتنة، محمد الشريف بن عكشة – عن ناحية: عين التوتة، عبد الحفيظ طورش – عن ناحية: بريكة، مصطفى رعايلي – عن ناحية: سطيف، عاشور زيان – عن ناحية: الزيبان، أحمد بن عبد الرزاق – شمال الصحراء، على بن شائية – عن ناحية: آريس، علي بعزي – عن ناحية: الجبل الأزرق، بالإضافة إلى بعض المسؤولين كأعضاء شرفيين مثل: مصطفى بوستة، عمر بن بولعيد، عمار بلعقون.

حيث وصل عدد المجاهدين المرافقين لهؤلاء القادة ما يزيد عن 300 مجاهد، ولو قدر لهذا الاجتماع أن ينعقد لكان مؤتمرا محليا شاملا، نظرا للعدد الكبير من المسؤولين الذين توافدوا على المكان، وقد اتخذت القيادة المحليّة بقيادة: علي بعزي مسؤول الناحية كل الإجراءات الأمنية والتنظيمية التي تسمح بانعقاد الاجتماع في ظروف أمنية جيدة ، بتوزيع المجاهدين على التضاريس الجبلية المحيطة بمكان الاجتماع في شكل حزام أمني واق يؤمّن سير الجلسات في ظروف طبيعيّة مريحة.

وقد اختلف الرواة فيما إذا كان الاجتماع قد انعقد فعلا أو انعقدت منه بعض الجلسات التمهيدية فقط، غير أن هناك عدّة مؤشرات توحي بأن الاجتماع العام لم ينعقد، إذ لو انعقد لتحدث الرواة عن بعض القضايا المطروحة، وعن القرارات التي

اتخذت بشأنها، غير أن المجمع عليه أن بعض الجلسات الانفرادية مع بعض مسؤولي النواحي تكون قد انعقدت لغرض تقديم عروض حال للقائد، قصد الاطلاع على أمّهات القضايا والتعرف على الخصوصيات التي تميّز كل ناحية، يُستشف ذلك من حديث عمار (علي) بن شائبة مسؤول: ناحية أريس الذي حضر بعض هذه الجلسات، حيث يقول بأن ابن بولعيد قال عند استقباله لـ/ عاشور زيان: «ها قد وجدنا من يريحنا من مشكل الصحراء[1]».

وقد ظلت الصحراء منطقة شاغرة خارج الأطر النظامية – حسب التقطيع الذي قام به مفجرو الثورة، لاعتبارات لم يفصح عنها أحد من هؤلاء القادة، مما سمح للقادة المحليين ولبعض الكتاب بإعطاء المسألة تأويلات لا تمتّ للواقع بصلة. فقد ذهب بعضهم إلى أن ترك الصحراء خارج الهيكلة النظامية للتراب الوطني عند اندلاع الثورة، لتظل معبرا للأسلحة عبر الصحراء الشرقية – حسب الكاتب: محمد عباس، وهذه كانت حقيقة قبل اندلاع العمل المسلح، فعن طريقها كانت الأوراس خاصة تتموّن بالأسلحة والذخيرة من مخلفات الحرب العالمية الثانية، غير أن المعطيات سوف تتغير بالتأكيد بعد اندلاع الثورة وستخضع الصحراء الشرقية خاصة لنفس الإجراءات الأمنية، وهذا ما حدث.

فقد أوفد ابن بولعيد أربعة أفواج كاملة بمهاجمة ثكنات العدوّ ومنشآته في بسكرة ليلة أول نوفمبر بقيادة كل من: 1) حسين برحايل، 2) عبد القادر عبد السلام، 3) أحمد قادة، 4) عبد الرحمان عبد السلام، حيث تتمركز قوات عسكرية من القناصة السنغال.

ولم يكن ابن بولعيد ليفعل ذلك لو كان هناك أدنى اتفاق بين الستة مفجّري الثورة للإبقاء على المنطقة شاغرة، ولم يلبث القادة بعده أن أرسلوا سرايا إلى مختلف الجهات من الصّحراء لإيقاظ الحسّ الوطني في نفوس السكان ولمناوشة القوات الاستعمارية، وصلت إلى تُخوم الجلفة.

1)- نصر بلا ثمن لـ/ محمد عباس، ص: 168.

ومهما يكن، فقد اختلفت الروايات حول مجريات الحدث وتداعياته في الجبل الأزرق، رغم ضخامة هول الكارثة، وقوة الصدمة فيما بعد، المؤكد أن ابن بولعيد مع بعض العناصر المقربين منه كانوا قد سبقوا الوفود، وفي انتظار وصول القادة المدعوين إلى مكان الاجتماع، ونظرا للآمال المعلقة على النتائج التي سيسفر عنها، راح ابن بولعيد يُعد للاجتماع باستقباله لرؤساء الوفود من قيادات النواحي، وغيرهم للاستماع إلى عروض حال عن النواحي التي يشرفون عليها.

من جاء بالجهاز اللغم؟

وفي أثناء ذلك أشعر علي بعزي – نائب مسؤول الناحية – القائد: ابن بولعيد بوجود جهاز إرسال، ملفوف في بطانية، ألقت به طائرة عسكرية في قمم جبال تامشط، عثر عليه الرّعاة وسلّموه إلى المناضل «علي أوباشا» في قرية ناره، وما لبث هذا الأخير أن حمل الجهاز – اللغم – إلى قيادة الناحية بـ/ الجبل الأزرق، وأضاف بأن القيادة المحلية احتفظت بالجهاز وأحاطته بعناية خاصة في انتظار تسليمه إلى القيادة، واعتبرته غنيمة ساقتها الأقدار إلى قيادة الثورة بالمنطقة، انطلت الحيلة على المناضل «علي أوباشا» لقلة الخبرة وعدم المعرفة فحمل الجهاز وسلّمه إلى قائد الناحية بالنيابة والذي احتفظ به وسلّمه للقائد: ابن بولعيد الذي ظل طوال مشواره النّضالي يوصي القادة والجنود بالحذر والحيطة من كل جسم غريب يجدونه ملقى في الطريق أو في الغابة، فقد يكون ملغما، ولو كان ذلك علبة سردين أو علبة سجائر، غير أن السيف قد يسبق العذل – كما يقول في المثل... ولكل أجل كتاب.

أحضر علي بعزي نائب مسؤول الناحية الجهاز ملفوفا في بطانية، ومعه مجموعة من الرّسائل عثر عليها مع الجهاز وضعت للتمويه والإيغال في التضليل، مرسلة إلى الجنود الفرنسيين المتمركزين في قمم «تامشط» الجبلية لتمويه سيناريو المكيدة المدبرة من قبل جهاز الاستخبارات الفرنسية، لأنهم يعرفون جيدا مستوى تفكيرنا، وسذاجة عقولنا، فأرادوا أن يوهموا جنودنا بأن تلك الرسائل الموجودة مع الجهاز هي رسائل عاجلة مرسلة إلى الجنود من ذويهم، فأرادت القيادة نقلها إليهم على عجل للتخفيف من معاناتهم وهم متمركزون في القمم لترصد عدوٍّ يعترف قادتهم بتطاوله.

إذ لا شيء على العموم يوحي بوجود أدنى قدر من الفطنة ومن الحيطة والحذر لدى معظم مقاتلينا قادة وجنودا. فمن السذاجة أن يُرسل البريد إلى جنود في مواقع متقدّمة، وأمام عدو يعترف قادتهم بشراسته، بما يحمله هذا البريد من مفاجآت سارة أو غير سارة تشغل الجنود عن المهمة التي هم بصدد تنفيذها، فينشغلون بالقراءة وأصابعهم على الزناد، فهذه ليست من أخلاقيات الجند في أثناء الحرب... تساؤلات كثيرة تطرح نفسها في هذا السياق تثير شكوك من لا يعرف الحقيقة أولا يريد معرفة الحقيقة أو يريد صرف الحقيقة عن وجهتها لحاجة في نفسه... ولا شك أن العدو كان يعرف عنا أكثر مما نعتقد، وهو يتعامل معنا على ضوء تلك المعطيات... ومع أن الطعم (الجهاز اللاسلكي) كان مناسبا للحاجة إذ أنّ القادة والجنود على السواء كانوا يتلهفون للحصول عليه بهدف الدخول إلى عالم الاتصال بواسطة وسائل حديثة تسمح لهم بإرسال واستقبال المعلومات بسرعة.

كيف وصل الجهاز إلى ابن بولعيد؟

معظم الرّوايات تتحدث على أن الشهيد: علي بعزي، هو الذي أشعر ابن بولعيد بوجود جهاز ألقت به طائرة من السّماء، وهو الآن محفوظ في مكان ما، غير بعيد عن مكان الاجتماع، وهذا الجهاز كان قد تسلمه من لدن المناضل: «علي أوباشا» وعندئذ طلب منه ابن بولعيد أن يحضر الجهاز إلى مركز القيادة.

وهناك رواية أخرى تتفق مع هذه الرواية في بعض النقاط وردت في كتاب: إشكالية القيادة لـ/ محد زروال... مصدرها (الرواية) محمود الواعيو من سكان المنطقة ومثقف واع بمجريات الحدث حسب اعتقادنا... وملخص هذه الرواية «أن الجهاز كان قد تسلمه (علي بعزي) من لدن المناضل آنذاك المسمى، «علي أوباشا» رئيس لجنة شعبية بقرية نارة (مدفن الشهيد: ابن بولعيد، فيما بعد» الذي أخذ جهاز الإرسال وما كان معه من حاجات أخرى وسلّمها إلى مسعودي بوبكر الذي كان يعمل في تلك الوقت بالذات كاتبا لدى مسؤول ناحية أمشونش: محمد بن مسعود بلقاسمي، ونائبه: علي بعزي مسؤول التنظيم[1]»، (ملخص حوار أجراه الكاتب: محمد زروال مع المجاهد: محمود الواعيو بتاريخ: 8 نوفمبر 1997).

---

1)- إشكالية القيادة... الولاية الأولى نموذجا لـ/ محمد زروال، الصفحة: 246.

وقد تخيل المجاهد: الكاتب، محمد زروال حوارًا جرى بين علي بعزي، والقائد: ابن بولعيد أثبته في كتابه، إشكالية القيادة جاء فيه: «خاطب (علي بعزي) مصطفى قائلا: الأخبار سارة جدًّا إن رجال العدو قد أعطونا جهاز إرسال واستقبال جديد وبلا مقابل مادي، فقال مصطفى: اشرح لي هذا الكلام قليلا، عندئذ، قال (بعزي) إن طائرة العدو قد أنزلت طردا بريديا فوق مركز«أوركا» ويعني (ورقة – اسم قرية من قرى الجهة) ولكنهم أخطأوا الهدف فسقط الطرد بعيدا عن المركز وأن أحد المناضلين، قد أخذه وجاء به إليّ ففتحته فوجدت فيه رسائل وجهازا رائعا جديدا للإرسال والاستقبال، عندئذ ضحك مصطفى وقال خبئه ولا تتكلم بذلك لأحد[1]»...

فهذا السرد الروائي الذي أورده الكاتب مجرد تصوّر شخصي ولا يعكس بالضرورة ما جرى من حديث بين ابن بولعيد وعلي بعزي، فالكاتب لم يحضر الاجتماع ولم يسند الرواية إلى أحد من الحضور، وبالتالي فالأفضل تجاوز مثل هذه الأهتار الدّاعية إلى المغالطة والكذب على الأجيال التي تنتظر من الجيل الذي صنع الحدث أن يأتي بالحقيقة على وجهها... وعندما جيء بالجهاز إلى مكان تواجد القيادة ووجد أنه يشتغل بالبطاريات، دعا القائد علي بعزي إلى إحضار البطاريات، وسواء جيء بها من نارة أقرب القرى إلى مكان الحادث حوالي – 5كلم – أو من أمشونش حسب بعض الروايات أو عثر عليها لدى بعض المجاهدين أو انتزعت من مصباح يدويّ كان بحوزة أحد المجاهدين، فقد أدّت وظيفتها حسب ما كان مخطّطا لها من قبل مخابرات العدو التي تعمل على تيسير الأمر قصد تحقيق الهدف، فكانت الجزء الناقص المتمّم للجهاز ليحدث الصدمة، ولا بدّ للمصالح الخاصة أن تجعل البطارية في متناول المجاهدين لتحقيق غايتها...

تتحدث بعض الروايات بأن ابن بولعيد اشتغل بقراءة الرسائل التي عثر عليها داخل الطرد مع الجهاز فراح سي مصطفى يقرأها وهو متكئ، وكان يبتسم من حين

1)- إشكالية القيادة لـ/ محمد زروال، الصفحة: 246.

لآخر عندما تستوقفه عبارة طريفة، وفجأة تبادر إلى ذهنه أن ينتزع البطاريتين من المصباح لتجريب جهاز الإشارة، ركب مصطفى البطاريتين وأمسك سماعة الجهاز باليسرى وأخذ يدير الأزرار باليمنى... بينما كان بقية الرفاق يمسكون أنفاسهم في انتظار النتيجة السّارة.

قد لا يكون من حقنا أن نطعن في روايات بعض المجاهدين ممن شهدوا الحدث غير أننا نتحفظ من بعضها ونحتفظ بحقنا في نقد هذا الوصف التمثيلي الذي يتعارض مع الموقف ويتنافى مع تقنيات استغلال الجهاز كجهاز إرسال.

«وتؤكد المصادر (حسب محمد عباس، في نضال متعدد الأبعاد) بأن الجهاز وهو من نوع: (694) لا يعمل بالبطاريات، بل بالكهرباء فقط اعتقادا من هذه المصالح بأن المولد الكهربائي لا يمكن أن يوجد في الجبال إلا بمركز القيادة[1]».

وهذا نوع آخر من التضليل لتعتيم الحقيقة وطمس معالمها، إذ أن جميع الأجهزة التي ألقت بها طائرات العدو أو عثر عليها من هذا القبيل كانت تشتغل بالبطاريات، وما علمنا أن قيادة في الداخل كانت تتوفر على محركات لتوليد الطاقة الكهربائية، وهذا يناقض ما ورد عند «إيف كوريير» الذي يصف الجهاز بأنه لغم بكامله في شكل جهاز إرسال بهدف التضليل، ولم يكن الجهاز مفخّخا أو به لغم، بل كان هو نفسه اللغم، فبمجرّد أن يسري فيه التيار الكهربائي ينفجر – وهو ما حدث.

ومهما تكن طبيعة الحيلة التي ابتدعتها مصالح الاستخبارات الفرنسية، فقد انطلت بسهولة على المجاهدين وأودت بحياة خمسة من رجال الثورة الأخيار وعلى رأسهم الشهيد: مصطفى بن بولعيد الذي يصعب تعويضه، فكانت الصدمة عنيفة والفاجعة أليمة والموقف صعبا للغاية، فكانت تلك الليلة أشأم ليلة عرفتها الأوراس منذ اندلاع الثورة المسلحة إذ سقط فيها قائد من قادة الثورة البارزين وركيزة من ركائزها الأساسية، وركن من أركانها المعتمد عليهم، ويعترف بذلك مدبرو المكيدة وأنصار الظلامية أحباب الفناء بأن «ابن بولعيد أحد أركان الثورة، وهو القائد

1)- مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية لجمعية أول نوفمبر – بباتنة – الصفحة: 838.

الوحيد الذي استطاع أن يوحد أصعب المناطق توحيدا، لقد كان الناس في منطقة الأوراس أعراشا متناحرة تتقاتل فيما بينها، فجاء ابن بولعيد ونجح في توحيدها وأكثر من ذلك في توحيدها ضدنا[1]».

هل كان جهاز المخابرات الفرنسية يعلم بوجود ابن بولعيد في الجبل الأزرق؟

لم تشر المصادر الفرنسية إلى الجهة التي استقت منها المعلومات بوجود ابن بولعيد في الجبل الأزرق أو باحتمال عقد اجتماع عام في ذات المكان، ونعتقد أنها لو علمت بذلك لاتخذت إجراءات أخرى بدلا من أن تلجأ إلى الخديعة، كما أن الرّواة من المجاهدين لم يشيروا إلى احتمال تسرّب معلومات إلى الفرق الإدارية المتخصصة، مع أن ذلك ممكن عن طريق تسريب أخبار بواسطة حملة البريد إلى المسؤولين في الجهة الغربية من الأوراس، غير أن الدلائل التي تنفي أو تثبت هذا الاحتمال غير متوفرة، ولا بد من التسليم باحتمال وجود عناصر اختراق بين الصفوف تؤدي مهامها بدقة متناهية، ويصعب التعرف عليها وهي ظاهرة شائعة في كل العصور وفي كل الحروب تمارس مهمات مزدوجة، بحيث تقوم بالدور المنوط بها ضمن الوحدة التي تنتظم بين صفوفها بكلّ تفان، وتسعى للاتصال بالجهات التي تكن لها الولاء لتقديم المعلومات المطلوبة بكل إخلاص، وفي تاريخنا القديم والحديث أمثلة عديدة.

فقصة «سيمون دانسر» الضابط الفلاماني البلجيكي اليهودي الذي أعلن إسلامه، وجاء إلى الجزائر سنة 1606 م وسمى نفسه «مراد رايس» - وتعني رايس (أمير البحر) ليعمل 3 سنوات في البحرية الجزائرية ذات السّطوة والغلبة يومئذ، ولما واتته الفرصة بعد أن ألمّ بجميع أسرارها، فرّ إلى فرنسا ومعه مدفعين برونزيين، فكانت بداية الأزمة بين الجزائر وفرنسا، كما أن قصة «ليون روش» الذي أوفدته الحكومة الفرنسية تحت غطاء الإسلام، فقرّبه الأمير عبد القادر منه، وزوجه بنت وزيره للبحرية وجعله أمين سرّه زار خلالها عدة بلدان مشرقية، واستصدر فتاوى تخدم

---

1)- مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية لجمعية أول نوفمبر – بباتنة – الصفحة: 838.

عن «نضال متعدد الأبعاد» لمحمد عباس.

الاستعمار على غرار تلك العبارة القاسية التي تضمنتها رسالة «محمد علي باشا» إلى الداي «حسين» عند بداية الغزو، حيث خاطب الداي بلهجة الآمر قائلا: «استسلم فإنك لا تقدر» وقصة «مبروك كوارة» الذي كان يعمل في ديوان كريم عندما كان وزيرا للتسليح في الحكومة المؤقتة وبعد أن أدى مهمته بنجاح فرَّ إلى القاعدة الفرنسية ببنزرت – تونس – والأمثلة كثيرة.

وإنما أردنا أن نؤكد من خلال هذا الاستطراد أن عملية الاختراق وإن لم تثبت فهي ممكنة بالرغم من عدم ظهور دلائل ومؤشرات ترجّح هذه الفرضية. ويظل السؤال مطروحا، لماذا يقع الاختيار على الجبل الأزرق بالذات، إذا كان المستهدف من العملية هو أحد القادة الرئيسيين – عجول، شيحاني، لغرور – حسب ما تشير إلى ذلك المصادر الفرنسية، وهي تعلم جيدا عن طريق جواسيسها ومخبريها وبواسطة المرتدين من المجاهدين بأن مركز القيادة في كيمل أو في القلعة – ففي مركز القيادة أو في محيطه عادة يتواجد القادة.. فرنسا تعلم بذلك وترمي بالجهاز بعيدا عن مقر القيادة... وأسئلة أخرى كثيرة تخالج فكر القارئ، وكل من يريد البحث عن الحقيقة من أجل الوصول إلى الحقيقة الناصعة - التي لا يشوبها غموض - سلسلة طويلة من الأسئلة تبحث عن الإجابة وكل إجابة تخفي وراءها سؤالا يبقى بدون إجابة.

1) لماذا ألقي الجهاز فوق قمم جبال تامشط بالذات وهي سلسلة – متفرعة عن الجبل الأزرق –.

أ) هل كان ذلك لقربها من مقر القيادة – قيادة النّاحية – بالجبل الأزرق.

ب) أم أن ذلك كان لقرب المكان من مصرع النقيب «كروتوف» الضابط الأسطوري.

ج) أم أن ذلك بناء على معلومات استخباراتية كانت مصالح الفرق الإدارية تستقيها بانتظام من طرف عملائها أو من طرف فرق للرّصد أو عن طريق طائرات الاستكشاف تؤكد وجود حركة غير عادية.

د) أم أن ذلك كان بناء على معلومات بلغت مكاتب الشؤون الأهلية باحتمال عقد اجتماع موسّع لقيادات الثورة في الجبل الأزرق، فكانت الفرصة مناسبة لتنفيذ مخططها.

هـ) أم أن ذلك لأنه المكان الذي تم الاتفاق عليه مع العنصر العميل الذي سيتولى إتمام المهمّة بنقل الجهاز إلى المجاهدين.

2) الكاتب المؤرخ «إيف كوريير» يقول: بأن الجهاز ألقي يوم 15 مارس1956 والضابط الأسطوري النقيب: «كروتوف» لقي مصرعه قبل هذا التاريخ بستة أيام، فهل خلال الأيام الستة التي تلت مصرعه يتم التفكير في الثأر له من القتلة، وإصدار أمر إلى المركز المختص في «سيركوت» بفرنسا ليصنع الجهاز على المقاس ثم ينقل الجهاز على الفور من فرنسا إلى الجزائر في غضون الأيام الستة، ومن الجزائر يُحول إلى منعه حيث تتمركز الوحدة المعنية بتنفيذ المهمة، فتخرج على الفور فرقة عسكرية لتمثيل السيناريو – حسب ما سيأتي فيما بعد – وتتم العملية هكذا كأنها تمثيلية هزلية تجري عل خشبة المسرح في خلال الأيام الستة التي تلت مقتل النّقيب: كروتوف.فالسرعة في الإعداد وفي التمثيل والتّنفيذ تدعونا إلى التساؤل عن مدى صحة الإدعاء.

3) أنهى ابن بولعيد اجتماعه بوادي عطاف بكيمل يوم 13 مارس 1956، وبعث على الفور سعاة بريد لإخبار قادة النواحي، بالناحية الغربية من الأوراس وبعض المسؤولين الشرفيين – بدون مهام معينة – بقرار القائد: ابن بولعيد عقد اجتماع لقادة الناحية الغربية لمنطقة أوراس - النمامشة، وبعدها بيومين فقط تلقى الطائرة – حسب «إيف كوريير» الجهاز – القنبلة – فهل كان هذا العمل كله اتفاقا وسوء صدفة؟.

4) عاجل عجول أحد الثلاثة الذين أوكل إليهم ابن بولعيد مهمّة الإشراف على شؤون الثورة إلى حين عودته،عندما كان يتأهب للسفر إلى المشرق، وطني ممتاز ومثقف بارز، صارم حازم مقارنة مع بقية العناصر في القيادة، صدرت عنه أقوال حسب بعض الروّاة من المجاهدين: بوستة، الواعيو، الحاج لخضر... تسيء إلى شرف جهاد ابن بولعيد بعد هروبه من السجن، فهل كان غيابه عن الاجتماع مبرّرا ومقنعا؟ وقد صرفت إليه تهمة الاغتيال فيما بعد.

5) هل كان غياب أبرز القادة المدعوين للاجتماع ساعة وقوع الانفجار مجرّد صدفة؟.

6) كان ابن بولعيد طوال مشواره النضالي حذرا تعرض لعدة محاولات اغتيال قبل الثورة فأنجاه الله منها، تلقى تكوينا عسكريا خاصا كضابط صف، دعي إلى الخدمة العسكرية، كاحتياطي في أشد الحروب هولا – الحرب العالمية الثانية – ظل يوصي أصحابه باليقظة القصوى من احتمال ملامسة أجسام صلبة ملقاة على الأرض قد تكون مفخخة... وهذه شهادة مجاهد مسؤول أوردها العقيد الزبيري في مذكراته: آخر قادة الأوراس التاريخيين، تؤكد حرص ابن بولعيد على التزام الحيطة والحذر، حيث يقول المجاهد: «موسى أحواسنية» الذي كان في مركز ابن بولعيد قبل استشهاده «تحصل المجاهدون خلال كمين نصبوه لفرقة من جيش الاحتلال على جهاز إشارة، وغنموا بعض قطع السلاح وعندما أحضر المجاهدون جهاز الإشارة الصغير هذا قال لهم سي مصطفى «ضعوا جهاز الإشارة هذا جانبا حتى يفحصه خبير في المتفجرات لعلّ فيه لغم[1]»...

فيؤتى إليه بجهاز ألقته طائرة عسكرية من السّماء، فيعبث به كما يفعل الصبية بالدمى فينفجر الجهاز ويموت البطل وتحل الكارثة بالمنطقة.

كل سؤال يدفعنا إلى سؤال مثله وكلّ إجابة تخفي وراءها سؤالا يبحث عن إجابة أكثر واقعية وأكثر صرامة ووضوحا وانسجاما مع بقية الأحداث، لأن ما حدث كان عظيما، وما ترتّب عنه من أحداث وويلات بعد وفاة القائد، كان أعظم!.

إذ لاشيء يوحي بتسرّب معلومات إلى مصالح الاستخبارات الفرنسية بنية قيادة الثورة في الأوراس بعقد اجتماع في الجبل الأزرق يوم 22 مارس 1956، فلو تسرّبت لها معلومات بوجود قادة عسكريين بارزين في حيّز جغرافي يمكن محاصرته أو قنبلته لما توانت في حشد قوات ضخمة وشنّ حملة عنيفة تسمح لها بإبادة أكبر عدد ممكن من العناصر القيادية على وجه الخصوص، وبالرغم من أن ما جاء به «إيف كوريير» صادر عن طرف غير محايد، لكنه يحتمل قدرا من الصواب، فقد يكون لعامل الصّدفة بانتقال ابن بولعيد إلى عين المكان، والذي تزامن مع مخطط المكيدة دور في حدوث الفاجعة.

1)- مذكرات آخر قادة الأوراس التّاريخيين للعقيد الزبيري، الصفحة: 143.

من المستفيد من موت ابن بولعيد؟

المستفيد الأكبر من موت ابن بولعيد هو الاستعمار الفرنسي الذي حالفه الحظ هذه المرة وتمكّن من تحييد ابن بولعيد بسهولة، انتقل ابن بولعيد بمحض إرادته إلى المنطقة التي أرادتها قوات الاحتلال أن تكون مسرحا لعملية انتقام مدبّرة ومخطط لها بعناية، فساقته الأقدار لأن يلقى حتفه عن طريق الصّدفة وأن يكون ضحيّة لهذه المكيدة حتى وإن لم يكن الشخص المستهدف منها.

ابن بولعيد كان يدرك تماما بأن مخابرات العدوّ تلاحقه، حيثما وُجد، فكان يحاول المناورة دوما للإفلات منها، وقد نقل عنه المجاهد: مصطفى بوستة، قوله: «إن قوات الاحتلال إذا أحسّت بوجودي في المنطقة، فسوف تقلب الأرض للقضاء عليّ[1]»، وقد اعترفت قوات الاحتلال بقوة إصراره وعزمه وتصميمه على مواصلة الكفاح، مهما تكن التضحيات، وبموت ابن بولعيد، يكون الاستعمار قد حقق مجموعة أهداف دفعة واحدة.

الهدف الأول: محاولة إماتة الروح الوطنية في قلوب أنصار الكفاح المسلح بموت القائد القدوة الذي كانت الأعناق تشرئب للاستماع إلى توجيهاته.

الهدف الثاني: أنه أوجد أوضاعا خاصة وسط العناصر القيادية التي راحت تتبادل التهم حول من قتل مصطفى بن بولعيد، واتخذت هذه العناصر من الغموض الذي يكتنف موته ذريعة للتمرد على القيادة التي كان قد استخلفها عندما غادر مركز القيادة، متوجها إلى تونس في الثالث والعشرين أو الرابع والعشرين من شهر جانفي 1955 على اختلاف في الروايات، واستعادت هذه العناصر شرعية الاستخلاف تلقائيا بعد استشهاده بشغور منصب القيادة، بعض هذه العناصر تنزع إلى التمرد ليس لهدف الكشف عمن قتل ابن بولعيد، لكنها تسعى لأن تحل محله في قيادة الثورة.

---

1)- مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية إنتاج: جمعية أول نوفمبر، الصفحة: 839.

الهدف الثالث: تمكنت قوات الاحتلال من تحييد رجل كانت تعتبره الدّعامة الأساسية للثورة حسب وصف رفيقه في النضال: محمد بوضياف الذي يقول عنه: «كان ابن بولعيد بمثابة الركيزة والضمان المعنوي الذي جعلنا نقوم بثورة أول نوفمبر وكانت ثقتنا فيه كبيرة[1]». وكانت قيادة الاحتلال التي أصيبت بالصّدمة بعد فراره من سجن قسنطينة تعتقد تماما أنها بتصفيتها له ستحدث شرخا عميقا بين القيادات المحلية، وسوف ينعكس أثر ذلك سلبا على المقاومة.

الهدف الرابع: إضعاف روح المقاومة في نفوس المقاتلين، سيما عندما لا تتمكن القيادات المحلية من تعيين قائد إجماع بديل يتمتع بثقة الجميع أو بثقة الأغلبية على الأقل ليكون قائدا قدوةً مثالا في الوطنية وفي الإخلاص والتضحية كما كان ابن بولعيد، والأخطر من ذلك أن يتبادل بعض القادة التهم حول: من قتل ابن بولعيد، ولم تلبث هذه التهم أن تحوّلت إلى قناعة عند الجنود وصغار الضباط أدت إلى حدوث تشنّج في العلاقات بين الوحدات حسب الولاء أو الانتماء ثم إلى تجريد لبعض العناصر من السلاح وإلى تبادل للاغتيالات وإلى اقتتال ضار بين الوحدات، سيما في المنطقة الثانية – بؤرة التوتر – ثم السادسة بعدها وصلت من حيث الخطورة أن طلب الرائد: الحاج لخضر قائد الولاية بالنيابة في اجتماع لعقداء الداخل – قادة الولايات – المنعقد بالميلية من 6 إلى 12 ديسمبر 1958 من الولايات الأخرى تقديم الدّعم والمساندة للولاية التي كانت رائدة في التنظيم والانضباط للتخلص من ظاهرة المشوشين، كما كانوا يوصفون، فكان له ما أراد حيث أرسلت الولاية الثالثة فيلقا من ثلاث كتائب قبل أن يغادر الحاج لخضر تراب الولاية تلبية لدعوة قيادة الثورة لحضور اجتماع دعت إليه هذه القيادة في تونس، وحول هذه النقطة يتحدث الرائد: «مصطفى أمراردة»، حيث يقول: «الكتائب التي وصلت أثناء وجود الحاج لخضر، كانت عبارة عن فيلق متكوّن من ثلاث كتائب من الولاية الثالثة، والذين شرعوا فور وصولهم في عمليات محاربة المنشقين، وتغيير المواقع، وكان قائد الفيلق هو: محمد جلفاوي[2]».

---

1)- مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية إنتاج جمعية أول نوفمبر، الصفحة: 839 عن/ نضال متعدد الأبعاد لـ/ محمد عباس.

2)- مذكرات الرائد: مصطفى مراردة، الصفحة: 107.

ويضيف الرائد: أمراردة «أما وحدات الولاية الرابعة، فقد وصلوا إلى المنطقة الأولى (غربي باتنة) ثم رجعوا... المهم أنهم لم يصلوا إلى مركز القيادة[1]».

الهدف الخامس: وتهدف قوات الاحتلال من ورائه إلى تكريس الخلافات بين المقاتلين وإلحاق أضرار بالغة بالمردود العسكري للوحدات المقاتلة فيتحول عناصرها من مقاتلين أشاوس يبحثون عن عدوّهم إلى جنود مهزومين يستترون خوفا من ملاحقة خصومهم لهم، وهذه الخلافات غذّتها مكاتب الشؤون الأهلية (sas) وأجهزة الاستخبارات بواسطة عملائها، التي راحت تُشيع أخبارا مفادها أن وحدات – جبهة التحرير – تتلقى الدّعم من القوات الفرنسية فيعتقد كل طرف من أطراف الصّراع – المفتعل – بصحة الشائعة فيحقد على قادة وجنود هذه الوحدات فيستحل دماءهم ويتطوّع لقتالهم... وهذا كله نتيجة انسداد قنوات الحوار وضعف في التحليل وإدراك للأبعاد التي يُخطط لها الاستعمار، وهكذا تشتد الضغائن والأحقاد ويحتدم الصّراع بين أطراف عدوها واحد ومصيرها مشترك.

الهدف السادس: ولا شك أن عدوى هذه الخلافات سوف ينتقل بسرعة إلى قواعد الإمداد وإلى العناصر المكلّفة بالدّعم والتموين والاتصال من المدنيين، ليجدوا أنفسهم بين نارين، فكم من مناضل سخّر نفسه لخدمة الثورة عن طواعية، ولم يكن يميّز بين الجنود، تعرّض لعملية التصفية من قبل المنشقين، وكم مركز خرب أو أتلف...

وكم من مسبل اغتيل أو عذب عذابا نكرا، وهكذا تمتد يد الاستعمار بعد أن أذكت نار الفتنة بين الوحدات إلى تخريب القواعد الخلفية للثورة التي تمثل الدّعم القوي للكفاح المسلح.

يصف الرائد أمراردة في مذكراته نشاطات حركة المنشقين فيما يلي:

- إحداث الشلل الكلّي للاتصالات بين مناطقنا.

---

1)- المرجع السابق: ص: 108.

❖ القيام بهجمات على مجموعاتنا ودورياتنا.

❖ تجريد جنودنا من الأسلحة.

❖ هجمات على مكاتب المناطق والولايات.

❖ إرسال عناصر منهم يزعمون الانضمام إلينا، وهؤلاء بمجرد أن يحصلوا على ثقتنا بهم يسرقون أسلحة الوحدات التي ينتمون إليها ويرتدون عائدين إلى أماكنهم السابقة.

❖ إرهاق الشعب واغتصاب النساء، وقتل المناضلين المتواجدين ضمن مناطق تحركهم والذين كانوا مجبرين على تلبية رغبات المنشقين.. وقد تم القيام بتصرّفات لم يكن يصدر مثلها إلاّ من العسكر الأكثر فضاعة وغلظة أو القومية الأكثر قسوة[1]».

فبالرغم من ضعف الاتصال وانعدام وسائل الإعلام غير أن الأخبار كانت تصل إلى المواطنين، وتنتقل من مكان إلى آخر، وقد تطوّرت الخلافات بعد موت ابن بولعيد بسرعة وأخذت بعدًا دراماتيكيا، فأمست المنطقة الأولى – الولاية الأولى بعد مؤتمر الصومام – التي تعهد قائدها ابن بولعيد بأن تتحمل أعباء الثورة وحدها إلى حين استكمال المناطق الأخرى في الوطن لإجراءاتها التنظيمية عرضة للتفكك والانهيار بعد أن غاب فيها التعقل وساد فيها منطق «أنا وبعدي الطوفان» فاهتزت الثقة بين المسؤولين، وظهرت عدة تكتلات توحي جميعها بأن أوراس المجد والكرامة مهدّد بالسقوط، ورؤساء هذه الكتل لا يحملون أفكارا ثورية يريدون الترويج لها أو إجراءات تنظيمية تساهم في دعم المردود العسكري ضد الحملات العنيفة التي كانت تشنها القوات الاستعمارية على المنطقة، ولو أدركوا المخاطر التي سوف تترتب عن هذه الانقسامات والتطاحن على السّلطة، لعزفوا عن أي منصب يسند إليهم وتجرّدوا من كل التشريفات ودخلوا وسط الوحدات كمقاتلين من أجل الجزائر وحدها.

1)- مذكرات الرائد: مصطفى أمراردة، ص: 125.

الفصل السابع

مرحلة التكتلات

الانزلاق الخطير الذي أعقب استشهاد القائد: ابن بولعيد، كشف بسرعة عن ظهور عدة تكتلات، كان من أبرزها:

1) كتلة: عباس لغرور – عاجل عجول، وتمثل الامتداد الطبيعي للسلطة الشرعية التي استخلفها ابن بولعيد، عندما همّ بالسفر إلى المشرق، بمعية بشير شيحاني، وقد ظل مركزها يتضعضع باستمرار، ومجال نفوذها يتقلص إلى أن ضعفت سلطتها واقتصرت على ناحيتي خنشلة وكيمل، وعجزت عن الامتداد إلى غيرها من النواحي، وتُمثل هاتان الناحيتان الانتماء الإقليمي لكل من عباس لغرور (خنشلة)، وعاجل عجول (كيمل).

2) كتلة: باتنة – آريس، وتمتد إلى أقصى حدود المنطقة الأولى مع المنطقة الثالثة وتضم مجموعة من العناصر القيادية المحلية مثل: عمر بن بولعيد، محمد الشريف بن عكشة، أحمد عزوي، مصطفى أرعايلي، الطاهر أنويشي. وقد بلغ عددهم حسب محمد عباس في «نصر بلا ثمن» – 12 عضوا[1] –

ترفض هذه العناصر الاعتراف بالسلطة الشرعية وتتهم عجول بالضلوع في اغتيال ابن بولعيد، وقد استغل عمر بن بولعيد ذلك وحاول أن يفرض نفسه كوصي على الثورة بعد استشهاد أخيه قائد المنطقة، سيما بعد أن تمكن من ربط الاتصال بقادة المنطقة الثالثة (الولاية) الثالثة وبالعاصمة.

3) كتلة: النمامشة، وتضم المنطقة السادسة – تبسة – بقيادة: أشريط لزهر وترفض بدورها الاعتراف بسلطة عباس لغرور، بل «وتحاصره في جبال النمامشة بنيّة تصفيته

1)- نصر بلا ثمن لـ/ محمد عباس، ص: 170.

لولا تدخل عجول لفك الحصار عنه، ولم يتمكن من إنقاذه إلا بعد قتال ضار دام يومين كاملين[1]»، وخلفية هذا الصراع، خلافات ظاهرها الصراع على النّفوذ واتهام الأوراسيين باحتكار السلطة وباطنها عودة للعصبية القبلية الممقوتة التي أحيتها بعض العناصر الملحقة بالوطنيين، تقاتل كون القتال عندها هواية تجد فيه المتعة والنّشوة عند حصول الغلبة ولا يهم أن يكون المقتول عدوا عدوا أم أخا عدوا.

فإذا كان عباس مصرّا على بسط سلطة القيادة الشرعية على ناحية تبسة، فذلك لأنه ممثل لهذه السلطة، وخصومه من جيش النمامشة يرون فيه عَمّاريّا (من العمامرة) متطاولا يجب تقزيمه بالرغم من مظاهر الورع والتّدين والشجاعة لحد التهور التي كانت تطبع شخصيته، وقد قال عنه الوردي قتال أحد قادة النمامشة: «كان عباس إذا مرت علينا ثلاثة أيام دون قتال العدو يقول: خنّا الجزائر».

4) كتلة الحراكتة: وهذه الكتلة حديثة النشأة، ولم تكن تمثل وجها من وجوه الصراع على السلطة وعناصرها كانوا مغمورين، وتشمل النّاحية الخامسة من الولاية (المنطقة) الأولى بقيادة كل من: عبد الله بلهوشات وعلي الحركاتي، وتضم منطقة الحراكتة الموزعة على المدن التالية: عين البيضاء، سدراته، عين أمليلة، أمّ البواقي وقد سبق أن أشرنا إلي نيّة عبد الله بلهوشات في استحداث ولاية جديدة في هذه المنطقة وطلبه من الطاهر الزبيري الالتحاق به ومساعدته في ذلك، يقول الزبيري: «وأراد عبد الله بلهوشات تشكيل ولاية جديدة في: أم البواقي وعين البيضاء وسدراته ومسكانة...وأرسل بلهوشات مبعوثا إليّ لكي التحق به...(كلانا من عرش الحراكتة) فرددت عليه ساخرا، هل تريد تشكيل الولايات المتحدة...[2]».

غير أن بلهوشات رضي عوضا عن ذلك بالترقية التي حظي بها من قبل لجنة التنسيق والتنفيذ برتبة رائد عضو مجلس قيادة الولاية الأولى، فسحب مشروعه.

وقد تعرض الرائد: أمراردة لهذه المحاولة وحصول «اجتماع ضم عد شخصيات من المنطقة من بينهم: عبد الله بلهوشات، بوقلازه عماره، عمار راجعي، الطاهر

1)- مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين، ص: 152.

2)- المرجع نفسه، ص: 177.

سعيداني، لكن بأفكار وحيثيات غير الذي ذكرها الزبيري ويعود سبب فشلها حسب أمراردة إلى إغراء بوقلازة برتبة: عقيد على رأس القاعدة الشرقية[1]» وما ورد في مذكرات الزبيري أقرب إلى العقل والموضوعية.

وقد لا يجد القارئ المتمعن صعوبة في تحديد طبيعة هذه التنظيمات المحلية المنافية تماما للأهداف الثورية التي عمل من أجلها ابن بولعيد الذي سعى إلى إذابة مفهوم العصبية القبلية الممقوتة وتجاوز منطق «أنا أو خويا على ابن عمي» الذي تجاوزته الأحداث من أجل بناء مجتمع مدني وتحقيق الوحدة الكاملة بين الطوائف التي يتشكل منها المجتمع الأوراسي والمجتمعات المحيطة به والتي تعاني من وضع مشابه. غير أن الحنين إلى الماضي ظل ملازما لبعض القادة المحليين لأن الظهور في نظرهم لا يتحقق إلا في ظل نظام العشيرة، لذا فبمجرد أن غاب القائد المرجع عاودهم الحنين إلى إحياء تلك النّعرات البغيضة والسّباحة عكس التيار الذي يحقق الوحدة ويضمن للمجتمع الأمن.

انعكاسات هذا الصراع على مجريات الأحداث في المنطقة

من الطبيعي أن ينعكس هذا الصراع حول السلطة واللهفة إلى القيادة سلبا على الوحدات التابعة لهذه القيادات، وأن تتطور هذه الأفكار لدى فئة من القادة الأكثر تطرفا، ممّن يعتقدون أنهم أولُوا قوة وأولوا بأس شديد، وأن يشقوا عصا الطاعة ويظهروا تمردا معلنا وصريحا على القيادة الشرعية.

وعندما حاولت القيادة إخضاعهم لقواعد النظام والانضباط المنصوص عليها في مواثيق الجبهة أو كتقاليد تخضع لها العصابات المسلحة وجوبا اصطدمت بهم، وهذه الوحدات بدورها اتخذت من النظام العشائري إطارا لها، وراحت تقاتل باسم القائد الذي يشرف عليها أو باسم القبيلة التي تنتمي إليها، فكان نظام حياتها أشبه ما يكون بنظام اللفيف الأجنبي الذي يقاتل من أجل شرف الفيلق، وليس من أجل السّلطة التي يخضع لها وهذه المجموعات – حسب محمد عباس – في نصر بلا ثمن ص: 495 تتمركز في المنطقتين الثانية، نواحي آريس، والسادسة، نواحي: تبسة، ومن أهمها:

---

1)- مذكرات مصطفى امراردة ص: 62 – 63.

❖ كتائب: أحمد عزوي والشريف رابحي من عرش التوابة وقد بلغ عدد جنودها 300 جندي.

❖ كتيبة: محمد أمزيان أملولي، أغتيل فيما بعد من طرف أحد جنوده وقد بلغ عدد جنودها 100 جندي.

❖ فصيلة: محمد الصغير تيغرة من عرش بني بوسليمان، استسلم للعدو بعد أن أدركه الضعف بلغ عدد جنودها 50 جنديا.

❖ كتيبة: مسعود بن عيسى (عايسي) تمت تصفيته من قبل بعض أعوانه وقد بلغ عدد جنودها 210 جندي.

❖ كتيبة: الصالح شنخلوفي من عرش السّراحنة، استسلم للعدو بعد أن نال منه التعب وقد بلغ عدد جنودها 70 جنديا.

❖ فصيلة: محمد عبدلي ومصطفى بن عمر، تعرف في غسيرة باسم «الثوار» وتتخذ من جبل أحمر خدو قاعدة لها، وقد بلغ عدد جنودها 50 جنديا.

معظم جنود هذه الفصائل المنشقة ينتمون إلى نفس القبيلة التي ينتمي إليها قائدهم، ومجال نشاطها ينحصر في الغالب في المناطق التي تتمركز فيها القبائل التي ينحدرون منها، وقد ورد ذكرها في بعض المراجع الأجنبية منها: حرب الجزائر لـ/ «هنري علاق»، ج الثالث، ص: 133 بشيء من التوسع والتفصيل، ونضيف إلى هذه الجماعات التي كانت تعرف في المناطق التي تسيطر عليها الجبهة بـ (المشوشون) وشاعت عنهم هذه التسمية التي يرفضونها، وقد تصل العقوبة بقائلها حدّ الموت نضيف لها منطقة – تبسة – بكاملها التي تمردت على قيادة الثورة في الأوراس منذ جويلية 1956 وكانت في خريف سنة 1958 موزعة بين المشوشين والولاء للرائد: صالح بن علي إسماعيلي من مجلس الولاية، ويضيف محمد عباس في تعليق له عن نشاط هذه الجماعة، فيقول: «كانت هذه الجماعات من الخارجين على طاعة الولاية ونظامها تستنزف طاقاتها وتصرفها عن مواجهة العدوّ بالفعالية المطلوبة[1]».

وقد تناول الرائد هلايلي في كتابه: شاهد على الثورة في الأوراس الموضوع تحت عنوان «الأعراش التي تأوي المشوشين»، واعتبر هذا الموقف منها بمثابة ردّ فعل

---

1)- نصر بلا ثمن لـ/ محمد عباس ص: 496.

للتّعسفات التي مورست ضد أبنائها في تونس خاصة من قبل بعض الإطارات، ومن قبل أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ ذاتها، وذكر أسماء بعض القبائل التي جاهر أبناؤها (كمجاهدين) بالتمرد والعصيان نتيجة ما لحق بقادتهم من الإهانات والإعدامات والمطاردة والسجن.

وقد خص كل قبيلة بحديث يتفق مع طبيعة التعسف والجور الذي لحق بها وذكر أسماء بعض القادة ممّن تعرّضوا للأذى من قبل قيادة الثورة في تونس خاصة، نقتطف منه ما يلي: «وعندما يطارد المسعود عايسي الذي فرّ من الموت متسلّلا لجبل الأوراس، وهو يقسم بأغلظ الإيمان بأنه سيقاتل حتى الطيور القادمة من منطقة القبائل نتيجة ما تعرض له من طرف عميروش وأوعمران وقاسي من إهانات ثم يدفعه ذلك التعسف المُهين إلى اقتراف أشنع جريمة في حق شباب أبرياء ذنبهم الوحيد أنهم ينتمون لمنطقة القادة الذين أهانوه وقهروه، فهل يلام أهله الذين تبرأوا من جريمته، لكنهم اضطروا لإطعامه وحمايته من الموت[1]» وبعد أن تناول بالحديث الموقف السّلبي للقبائل التي تمرّد بعض قادتها وانشقوا عن الجبهة يسجل في الأخير إجابة عن سؤال كان قد وُجه لابن طوبال ويتعلق بالإعدامات التي تعرض لها قادة الولاية الأولى، بقوله (ابن طوبال) «كنا ندافع عن نفوذنا ولست نادما عما فعلت[2]» وهذه الإجابة الصريحة من ابن طوبال تنسجم تماما مع إجابة له عن سؤال مماثل كان قد طرح عليه في ندوة للإطارات بتونس يوم: 5 فيفري 1961، وقد أوردها محمد حربي في كتابه «حياة تحد وصمود» حين قال: «من أراد أن ينتزع السلطة ما عليه سوى أخذ بندقية لانتزاعها منا[3]».

فهذه التعسفات في نظر الرائد هلايلي، تعد الدّافع الأساسي لعمليات التمرّد، قد يكون هذا القول صحيحا إذا اعتبرنا مقولة شمشوم اليهودي «عليّ وعلى أعدائي يا رب» هي القاعدة المثالية، لأن ما صدر عن هذه الفصائل المنشقة من تعسفات في حق مواطنين أبرياء يساوي أو يفوق بكثير التعسفات التي كانت تمارسها قيادة الثورة ضد المنطقة كلها انتهى بها الأمر في الأخير إلى قطع الإمدادات والتموين على الولاية

1)- شاهد على الثورة في الأوراس للرائد هلايلي، ص: 357.

2)- المرجع نفسه.

3)- حياة تحد وصمود لـ/ محمد حربي، ص: 377.

الأولى طوال سنوات الثورة تقريبا، وقد أسهب الرائد هلايلي في كتابه – المرجع السابق – في ذكر أسماء العناصر التي تعرضت للإعدام أو النفي أو الإهانة داخل تونس خاصة والقبائل التي تنتمي إليها مبرّرا من خلالها الأسباب التي حملت هذه القبائل على إظهار التأسف والتأفف والتذمر وعدم الارتياح...وما علمناه ونعلمه أن رد فعل هؤلاء القادة الذين أوذوا ولعنوا وأهينوا جراء رفضهم للطاعة بواسطة الوحدات التي كانوا يشرفون عليها كان عنيفا وجميع ضحاياهم أبرياء لا ناقة لهم فيما حصل ولا جمل، وظل أولئك الذين ساموهم سوء العذاب ينعمون بالدّفء خارج الحدود أولئك الذين يقول عنهم أحمد عزوي ومسعود عائسي «إن الذين يأكلون اللحم لا يقودون الذين يأكلون تلاغودة[1]» وهذا المنطق أيضا غير سليم ويعبر عن نزعة فطرية للتمرد.

فضائع هذه الوحدات يندى لها الجبين، وكلمات الأسف والأسى والتأفف وعدم الارتياح التي عبّر بها الرائد هلائلي عن موقف القبائل التي احتضنت بشكل أو بآخر هذه التنظيمات لا تبرر الجرائم الشنيعة التي اقترفها المنشقون، ولكي نثبت للقارئ صحّة ما نعتقده ننقل إليه فقرات مما جاء في كتاب: «اشكالية القيادة لـ/ محمد زروال»، استنادا إلى حديث أدلى به العقيد الحاج لخضر الذي كانت له صولات وجولات مع هؤلاء المنشقين يقول العقيد الحاج لخضر: «إلا أنني أحيانا وبسبب ظروف معيّنة كنت مخطئا مع منشقي بني ملول الذين يقودهم مسعود عايسي ومحمد أمزيان، فلقد اقترف هذان الكثير من الأعمال الإجرامية، وكان أكثر هذا الأعمال فظاعة وشناعة الإعدام بالشنق لزهاء المائة من المجاهدين الشباب المجندين حديثا الذين وجدناهم جثثا هامدة على هذه الصورة في ملجإ فأمرت ثلاث كتائب بتعقب آثار المشوشين الذين توغلوا في الشرق أي في جبال النمامشة بعد أن ذبحوا قائدهم محمد أمزيان، ولكنهم وقعوا بعد ذلك تحت سيطرة قائد لموشي هو المسمى عمار الرّفال[2]» ويتحدث المجاهد حمّة هنين أحد المقبوض عليهم في وصف المأساة،

---

1)- إشكالية القيادة لـ/ محمد زروال، ص: 352.

2)- إشكالية القيادة الولاية الأولى نموذجا لـ/ محمد زروال، ص: 339.

فيقول: «وكنت قد فككت القيد عني وعن صاحبي سالم، وفررت وكان الرصاص ينهال علي كنت أعدو كما يعدو الجواد القارح، وأخيرا...فقد أمكنني أن أتخلص من قبضة هؤلاء الخونة، فالتحقت بصفوف الجيش النظامي، بعد أن ودّعت ذلك المكان الذي استشهد فيه 117 مجاهدا من أبناء الجزائر[1]».

الطعن في قرارات مؤتمر الصومام

ولم تكتف قيادات هذه الجماعات (الوحدات) بالتمرد على القيادة التي استمدت شرعيتها من امتداد حكم القائد ابن بولعيد ومن وصيته عندما سافر إلى تونس، فقد حاولت هذه القيادة الاستمرار في أداء مهامها بعد استشهاد ابن بولعيد، غير أنها لم تتمكن من السّيطرة على الموقف، عندما اصطدمت بطموح بعض العناصر التي راحت بدورها تتطلع إلى القيادة، وتبحث عن سند سيّاسي يعطي لعصيانها الشرعية الثورية فوجدت ذلك في اعتراض عناصر من الوفد الخارجي التي لم تتمكن من حضور المؤتمر على هذه القرارات والطعن فيها، وكان من أبرزهم السيد: أحمد بن بله وكذا علي محساس ما يسوغ لها الاعتراض ويوفر لها التغطية السيّاسية، فانضمت إلى المعارضة (معارضة قرارات الصومام) وتجاوبت مع طموحات أحمد بن بله وعلي محساس اللذان راحا بدورهما يبحثان عن أنصار ومؤيدين في الداخل بهدف التأثير على القيادة الثورية المنبثقة عن المؤتمر لمراجعة موقفها، فكان أن تنقل السيّد: علي محساس إلى القاعدة الشرقية (سوق أهراس) وإلى الحدود الشرقية للولاية الأولى، وراح يُشيعُ أخبارا بأن الثورة استولى عليها القبائل (بتوظيف النعرة القومية والجهوية)، ودعا إلى عقد اجتماع بالحدود الشرقية للقادة المعارضين، وقد انعقد هذا الاجتماع فعلا بتاريخ 15 ديسمبر 1956، شارك فيه عن الولاية الأولى، كل من:

1) عمر بن بولعيد. 2) مسعود عايسي. 3) الأزهر أشريط. 4) الباهي شوشان. 5) عبد الله بلهوشات. 6) بلعيد حوحه. 7) عماره بوقلازة.

---

1)- المرجع نفسه، ص: 340.



ARMEE ET FRONT DE LIBERATION NATIONALE ALGERIENNE

جبهة التحرير الوطني الجزائري

ولاية أوراس

رسالة موجهة من مسؤولي الشرق وأوراس

إلى المسؤولين [illegible] المركز

[illegible] الجبهة الوطنية - والشؤون العسكرية [illegible]

وبعد؛

[illegible] الإخوان نعلمكم أننا قابلنا مع السيد بن بولعيد داخل [illegible] مع الأخ الباهي

[illegible] التي [illegible] المؤتمر [illegible] داخل الجزائر

[illegible] القيادة [illegible] الشرق [illegible]

[illegible]

[illegible] العالم العربي [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] هذا المؤتمر [illegible]

[illegible]

[illegible] من إخوانكم السادة :

1) [illegible] مسؤول عن منطقة سوق اهراس

2) عبد الله بولبيشات = = = سدراتة

3) الأزهر الشريط = = = = تبسة

4) المسعود بن عيسى = = = = أوراس

5) عمر بن بولعيد = = = = =

6) الباهي شوشان = = = = خنشلة

7) بلعيد [illegible] = = = = =

أمضاء اللجنة [illegible]

محضر اجتماع القادة المحليين المعارضين لمؤتمر الصومام
بتاريخ 15 ديسمبر 1956

ولاية الأوراس

رسالة موجهة من مسؤولي الشرق وأوراس

إلى المسؤولين... خنشلة (   ) المبروك

بعد التحية الوطنية والتحية العسكرية الخالصة

وبعد:

أيها الإخوان ننبئكم أننا تلاقينا مع السيد: ابن بولعيد (عمر) داخل تونس وتحادثنا على الأمور الهامة بعدما وجدنا الشيء الذي استطاع المؤتمر المنعقد داخل الجزائر.

على أنه ضد للقيادة العليا الموجودة في الشرق (أي ضد النظام الثوري وضد الأخ ابن بله) وأن أعينهم بأن ينزعوه ولم يعترفوا به وبأن يمحوا أثره لم يوجد بعدما سمع به العالم، وسمعت الجزائر جميعها أمام العالم العربي والأوروبي واليوم هيّنوا ذلك الشرف فعلى هذا كل مسؤول أن ينتبه للنظام الثوري وأن يقف كل مواقفه الخاصة.

وأن يحارب كل مشوش داخل النظام وخارجه.

ومن أيّد هذا المؤتمر وتبعه ألقوا عليه القبض حينا.

ومن أنذر فقد أعذر

ولكم التحية من إخوانكم السادة:

1) عمارة بوقلازة مسؤول عن منطقة سوق أهراس.

2) عبد الله بلهوشات مسؤول عن منطقة.صدراتة.

3) الأزهر أشريط مسؤول عن منطقة تبسة.

4) المسعود بن عيسى مسؤول عن منطقة أوراس.

5) عمر بن بولعيد مسؤول عن منطقة أوراس.

6) الباهي شوشان مسؤول عن منطقة خنشلة.

7) بلعيد حوحة مسؤول عن منطقة خنشلة.

وأعضاء اللجنة التونسية كافة.

الخاتم والتوقيعات

هؤلاء يمثلون النواحي التالية: باتنة، تبسة، عين البيضاء، وسدراتة، وسوق أهراس وخنشلة.

هذا الدّعم السياسي الصادر عن عناصر غير مُخولة من الوفد الخارجي للجماعات المنشقة في المنطقتين الثانية والسادسة والخامسة ساهم في تعميق الأزمة وإطالة أمدها.

وفي اعتقادنا أنه من غير المعقول ومن غير المنطقي أن يملي قادة أفواج وفصائل أو حتى قادة نواحي، مهما تكن مراتبهم إرادتهم وأفكارهم على قادة دهاة تشرّبوا القيم الوطنية من منابعها وأظهروا من الشجاعة ما كان مضرب أمثال، ومن الدهاء والحنكة في التسيير ما هو جدير بالاحترام والتقدير مثل: العربي بن مهيدي، يوسف زيروت، رمضان عبان، لخضر طوبال...وآخرين ممن شاركوا في صياغة قرارات الصومام.

ولا شك أن بعض القادة وجدوا في الهيكلة الجديدة التي تبنّاها المؤتمر ما يتعارض مع طموحاتهم التي لا تنتهي إلى حدود، فاختاروا المعارضة لإظهار التحدي بدل المطاوعة والطاعة لخدمة الصالح العام، وإلا كيف نفسر قول عايسي وأحمد عزوي: «إن الذين يأكلون اللحم لا يقودون الذين يأكلون تلغودة[1]»، وعندما أصّرت هذه العناصر قادة وجنودا على مواقفها، حاولت لجنة التنسيق والتنفيذ محاورتها في الموضوع وإرغامها على الانضباط، والتخلي عن مواقفها المتصلبة، فاستدعت قادتها إلى تونس، وهكذا تنقل من الولاية الأولى – المنطقة الثانية – كل من: 1) مسعود عايسي. 2) عمر بن بولعيد. 3) أحمد عزوي، وبغض النظر عن أسلوب الحوار الذي ساد جلسات ممثلي لجنة التنسيق والتنفيذ مع هؤلاء القادة، فإن ممثلي لجنة التنسيق والتنفيذ يكونون قد لمسوا لدى هؤلاء القادة نزعة التمرد وقلة الانضباط والانقياد لأوامر السّلطة المنبثقة عن مؤتمر الصومام، ففي شهادة أدلى بها المجاهد الطيب بغامي المدعو الطيب زلماطي يقول: «كنت كاتبا شخصيا لـ/ سي المسعود عايسي، وقد خرجت معه إلى تونس للتفاهم مع جماعة (c c e) لجنة التنسيق والتنفيذ، وقد وصلنا إلى تونس يوم 20 مارس 1957، بعد وصولنا إلى تونس اتصل سي مسعود بن عيسى بعبد الحي والرائد: قاسي، والرائد: نوار، ومحمد لخضر سيرين، وأحمد دراية...كما اتصلنا بـ/ سي علي محساس الذي جاء من ليبيا ممثلا لابن بله في الحدود...عقدنا مع

1)- سبق أن أشرنا إلى المرجع – وتلغودة: من النباتات الدّرنية البرية.

ممثلي (c c e) لجنة التنسيق والتنفيذ ومنهم: أوعمران وابن عودة ثلاثة اجتماعات صرّح خلالها سي مسعود بن عيسى برفضه بروز جبهة التحرير الوطني وتوليها القيادة على حساب جيش التحرير الوطني الذي كان هو أول من فجر الثورة، وهو الأولى بإمساك زمام القيادة والاحتفاظ بها[1]».

فهذه النقطة بالذات هي منطق المنشقين على الدوام الذين لا يعلمون أن جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني وجهان لعملة واحدة اسمها: الثورة التحريرية، وأن الذين أسسوا جبهة التحرير الوطني هم من أسّسوا نواة جيش التحرير الوطني. فقد ظهر لهم أن أولوية السيّاسي على العسكري طعن للثورة من الخلف يبيح للطبقة السياسية المحترفة السيطرة على مقاليد السلطة...والسؤال الذي لا يحتاج إلى إجابة توضحه، لماذا كان عناصر المعارضة من الولاية الأولى وحدها؟ وهل من حق هذه العناصر أن تملي إرادتها على أعلى قيادة انبثقت عن المؤتمر، وبغض النظر عن الجفاء والفظاظة التي قوبلوا بها، ولنفرض أنهم عذبوا وسجنوا ولعنوا وشرّدوا، وشاء لهم القدر أن ينجو بأرواحهم. فهل يبيح لهم هذا أن يصنعوا فيما بعد ما صنعوا، وإذا كان ما صنعوه واجبا أملته الضرورة حسب فهمهم، ففيم ندرج تلك العملية الحمقاء التي اغتيل فيها أزيد من 124 طالبا بقيادة: سامع رابح شرقي قرية «لمصارة» بني ملول في المكان المسمى «هامليظوت» - والأدهى والأمر أن تظل أجداث هؤلاء الشهداء، حيث ماتوا بعد مرور خمسين سنة من الاستقلال، ولا تنقل من قبل الجهات المعنية إلى مقابر الشهداء، فقد قتل هؤلاء الطلبة من قبل كتيبة منشقة يقودها: مسعود عائسي.

...أحمد عزوي قائد وحدات المتطوعين كان قد تلقى بدوره استدعاء بالسفر إلى تونس، حيث يدرس هناك بعض القضايا مع موفدي لجنة التنسيق والتنفيذ، وقد أدّت الخلافات مع هذه القيادات أن أدخل إلى السجن، فلما تمكن من الفرار عاد إلى الجزائر وإلى عين القصر بالمنطقة الثانية – الولاية الأولى – مقر نشاطه (قيادته)، وعلى الفور بعث برسائل إلى مسؤولي الجيش النظامي – الممتثل لقرارات الصومام – أو

1)- مذكرات الرائد: مصطفى أمراردة، ص: 79 – 80.

الجبهويين كما يصطلح عليهم في الأوساط الشعبية، ومما جاء في هذا الرسائل «إن كانت حركتكم يمثلها أمثال هؤلاء الذين تحادثت معهم في مدينة تونس، فإنّنا لن نلتقي بعد اليوم إلاّ على قمم الجبال وأن الحوار بيننا لن يكون إلا بلغة الرصاص تردّد أصداؤه جبال الأوراس[1]».إلى هذا الحد وصل الانسداد بين فصائل المنشقين والقيادة الشرعية، فغاب التعقل، وساد منطق القوة وأنا الأعلى، وتجدر الإشارة إلى أن ردود فعل كل من أحمد بن بله وعلي محساس كانت من جملة العوامل التي عمقت الخلاف بين القياديين في الأوراس، عندما وجدوا سندا قويا في الوفد الخارجي الذي كان يُعد الهيئة العليا الممثلة للثورة قبل المؤتمر، لا سيما ما يتعلق بنظام الأولويات، أولوية السياسي على العسكري وأولوية الدّاخل على الخارج...وبالرغم من أن لهذا الترتيب أكثر من قراءة سيّاسية، غير أن هؤلاء الطّاعنين في قرارات مؤتمر الصومام لهم وجهة نظر واحدة، وهي أن قرارات الصومام تُعد مساسا بكرامتهم وإجحافا في حقهم وهم قادة حرب وسادة معارك، والمعول عليهم في تحقيق النصر فأصروا واستكبروا استكبارا.. فافتقدت الولاية الرائدة صفة التمثيل من الداخل في الهيآت الشرعية العليا للثورة، بعد أن عجز قادتها عن تعيين قائد يحصل على الإجماع لقيادة الولاية، مما أعطى فرصة لقيادة الثورة في الخارج بسدّ الشغور وتعيين من تراه أهلا لقيادة الولاية أو من يتجاوب مع سياستها، وقد لا أتفق هنا مع الرائد هلائلي الذي اعتبر ذلك تدخلا في شؤون الولاية الدّاخلية – فالوطن واحد – ويرى في تكليف الرائد: عميروش بمحاولة إصلاح ذات البين بين المسؤولين عن الثورة في الأوراس محاولة من عبان لبسط نفوذه على منطقة الأوراس، فهذه وجهة نظر. ومن الخطل الاعتقاد بصحتها. إن عميروش، عندما التقى بوفدين قدما إلى الولاية الثالثة للمشاركة أو الإطلاع على مقررات الصومام، لو وجد لدى الوفد الذي يقوده عمر بن بولعيد خاصة نوعا من المطاوعة وقدرا من التجاوب مع مقررات الصومام، وتغليب العقل على الهوى والمصلحة العليا للثورة على المصلحة الذاتية والنزعة الفردية، والاستماع إلى الرأي الآخر والعمل به عند اللزوم، فلو وجد ذلك لأمكن جمعهم منذ الوهلة الأولى وسعي إلى مخاطبة ضمائرهم بدل أهوائهم ودعاهم إلى

1)- إشكالية القيادة لـ/ محمد زروال، ص: 395.

التحلي بالعزيمة الصادقة والوطنية الخالصة، والتخلي عن الأنانية والإنيّة، ونبذ العنف والتصلب في المواقف والتجند لقضية هي قضية الجميع...وقد تكون الاستجوابات التي أجراها مع أعضاء الوفدين الموفدين إلى الصومام، والتي أشار إليها في تقريره قد كونت لديه انطباعات خاصة عن مجريات الأحداث في الأوراس، وعلى ضوئها حاول أن يعالج الوضع بعد أن جمع بين معظم القادة في أكثر من اجتماع، كان من أبرزهم: عاجل عجول، غير أن الأمور أخذت بعدا دراماتيكيا في الأخير (تجري الرياح بما لا تشتهي السفن).. وأنا هنا لا أتهم عميروش بمحاولة تعميق الخلافات بين الأوراسيين، كما أني لا أتهم عبان بمحاولة بسط نفوذه على المنطقة، فليس لدى الذين يزعمون ذلك أي دليل ملموس فلو أظهر القادة في الأوراس قدرا من المطاوعة وتخلو عن الأنانية والتزموا بالخط الثوري الذي رسمه الشهيد ابن بولعيد لما وجدوا أنفسهم تحت الوصاية.

من اغتال ابن بولعيد؟

الموت الغامض للشهيد: مصطفى بن بولعيد والشكوك التي حامت حول عدة أطراف عمّقت الأزمة أكثر وزادت من حدّة الصّراع على السلطة بين عدة أقطاب كانت تتطلع للصّعود إلى مركز القرار، ظهر منها ذلك خلال مدة وجوده في السجن، فلما مات خلالها الجو، فراحت تبحث عن ذرائع ترتكز عليها للوصول إلى السّلطة، ولعل أهم حدث استغله القادة المتلهفون للمسؤولية، قصد تحييد الخصوم هو: اغتيال ابن بولعيد؟ وأهم وسيلة استند إليها هؤلاء الخصوم هي: الدّعاية بواسطة الاتهامات المتبادلة حول من اغتال مصطفى بن بولعيد... المتّهمون من القادة المحليين ثلاثة بالرغم من أن التهم المنسوبة إليهم من الناحية الموضوعية هي مجرد فرضيات لا تستند إلى دلائل مادية ملموسة يمكن الاعتماد عليها، إلا أن التهم تظل قائمة في حق هؤلاء وسط مجتمع لا يميل إلى ترجيح العقل والمنطق لتأكيد أو نفي التهمة.

المتهمون الثلاثة هم:

1) عاجل عجول 2) عمر بن بولعيد 3) محمد بن مسعود بلقاسمي.

الشخصية الأولى: عاجل عجول، فقد صرفت التهمة باغتيال ابن بولعيد إلى عاجل عجول لعدة أسباب أهمها:

1) أنه القائد الذي كان يطمح إلى تولي منصب القيادة منذ أن غادر ابن بولعيد الإدارة متجها إلى تونس.

2) أنه المسؤول الذي تجرأ وحاول منع ابن بولعيد من ممارسة مهامه كمسؤول للمنطقة الأولى بعد فراره من السّجن متّهما إياه بالجوسسة حسب (بوستة والواعيو والحاج لخضر) سبقت الإشارة إلى مصادرها متذرعا بالقانون الداخلي الذي لم ينكره ابن بولعيد، رغم الظروف الصعبة التي كانت تمر بها الثورة في الأوراس.

3) اعتراف الرائد: هلايلي، صاحب كتاب شاهد على الثورة في الأوراس بأن عجولا كان يتوفر في (سِكتورة) - حسب تعبيره - على ورشة كان يديرها «على الألماني» (عسكري ألماني فرّ من الجيش الفرنسي وانضم إلى جيش التحرير) مختص في الهندسة العسكرية كان يصنع فيها الألغام، وقد صرح علي الألماني أمام لجنة كان ابن بولعيد قد أوفدها إلى «سوق أهراس» ثم دخلت إلى تونس، حيث التقت بعلي الألماني وأخبرهم بأنه (عجول) كلفه بوضع القنبلة في المذياع، ولا يعلم بأنه سيقتل به ابن بولعيد[1].

حديث الرائد هلايلي لا يرفع اللّبس عن الموضوع بقدر ما يؤكد التهمة في شخص عجول، يقول الرائد هلايلي: «وأول ورشة لصناعة الألغام أنشأها عجول داخل سكتورة – يعني قطاعه الذي يشرف عليه – حيث استغل عسكريا ألمانيا فرّ من الجيش الفرنسي وأطلق عليه اسم (علي الألماني)، ومن سوء حظ عجول أن تلك الورشة كانت السبب في اتهامه بقتل مصطفى بن بولعيد[2]».

4) غيابه (عجول) عن حضور اجتماع الجبل الأزرق الذي يضم قيادي الناحية الغربية من الأوراس، وهو عنصر من العناصر التي لا يستغني عنها، بصفته قائدا

---

1)- مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية إنتاج جمعية أول نوفمبر – باتنة – ص: 515.

2)- شاهد على الثورة في الأوراس للرائد هلايلي، ص: 152.

بالنيابة مكلّفا بالملف السياسي مَحوطًا بقضايا ومشاكل الثورة وتبعاتها خلال فترة غياب ابن بولعيد، حريص على النظام والانضباط، يُفترض فيه أن يكون أبرز عنصر في الاجتماع ليقوم بتقديم عرض حال عن سير الثورة خلال مرحلة غياب ابن بولعيد، كما يساهم بأرائه وأفكاره في تنوير الرأي العام وسط قادة يفتقرون إلى التكوين السياسي غير أن غيابه أثار الشكوك حوله واعتقد الكثير من المجاهدين أنه المدبر لعملية الاغتيال.

فهذه الأسباب هي التي أدت إلى اتهام عجول بتدبير عملية الاغتيال، بعض هذه الأسباب، كما نرى لا يحتاج إلى سند يدعمه مثل: التصريح الذي أدلى به المجاهد: محمد العيفة الذي رافق ابن بولعيد في رحلتهما من قسنطينة إلى الأوراس عند فرارهما من السجن، فقد أدلى بهذا التصريح أمام لجنة تتألف من ثلاثة مجاهدين في الولاية الأولى لدى دخولهم إلى تونس في مهمة والتقائهم بعلي الألماني الذي قال: حسب محمد العيفة – المرجع السابق، أن عجولا هو الذي أمره بوضع القنبلة في الجهاز، ويؤكد الرائد: هلايلي هذه التهمة دون إرادة منه حيث يقول: ولما شاعت تهمة قتل مصطفى من طرف عجول اتصلت أطراف بالألماني ودفعوه تحت التهديد ليعترف بأنه هو من صنع اللغم الذي قتل مصطفى[1]» إن مسألة كهذه تعد في منتهى الخطورة، والأجدر بالرائد: هلايلي أن يشير إلى هذه الأطراف صراحة حتى يُمَكِّن القارئ من ترجيح النفي على الإثبات في صحة التهمة والجهاز حسب تعبيره هنا هو مذياع وليس جهاز اللاسلكي حسب معظم الروايات.

فهذه التهمة وحدها كفيلة بأن تصرف شبهة الاغتيال اتجاه عجول دون أن تتأكد ومن باب الإنصاف التوضيح بأن هذه المعلومات التي يمكن أن يعتبرها القارئ دامغة تؤكد الرأي القائل بأن عاجل عجول كان وراء عملية الاغتيال لم تكن معروفة لدى عموم المجاهدين، ولا شك أن حدّة الرجل وصرامته المفرطة أحيانا كانت وراء كثير من المتاعب التي عانى منها. فقد جاء في كتاب «عميروش حياة موتتان» وصية للدكتور: سعيد سعدي في حديث قصير عن المجاهد عجول يقول فيه: «كان حتى في

1)- شاهد على الثورة في الأوراس للرائد هلايلي، ص: 152.

حياة ابن بولعيد يتجرأ على إظهار نوع من التحدي الذي سيصبح جليّا أكثر بعد رحيله، ووصل به الأمر أن روّج لإشاعات تقول: «إن فرار ابن بولعيد من سجن قسنطينة المرعب مشتبه فيه[1]» وقد انتقل صدى هذه الاتهامات إلى ناحية النّمامشة شرق الأوراس فمما جاء في كتاب: إشكالية القيادة لـ/ محمد زروال، قول الكاتب: «والذي يظهر لنا أن عاجل عجول يكن حقدا دفينا لكل من بشير شيحاني وخاصة مصطفى بن بولعيد المسئولين في نظره على الإفلاس الذي أصاب منطقة الأوراس»، وينهي محمد زروال حديثه هذا فيقول: «إن عباس لغرور طُرد من جبال الأوراس، فاختار جبال النمامشة مقرا له، كما أن عمر بن بولعيد ومسعود بن عيسى لا ينفكان يقطعان طرق المواصلات ويحدثان الفتنة في آريس[2]». وعندي أن الحقد والكراهية والعداوة والبغضاء، والعواطف النبيلة، كالحب والصداقة والولاء...هي أفعال باطنية لا يمكن المجازفة بالحكم على الشخص إلا من خلال الأفعال التي يبديها الشخص ذاته، فكل التهم الموجهة إلى عجول غير مؤكدة لكنها أثيرت بسبب ما كان يبديه من سلوكات ومن تحديات لشخص ابن بولعيد نفسه، سيما بعد هروبه من سجن قسنطينة ذكرنا بعضها في أكثر من موضع وقد لقيت هذه التهم رواجا وسط قادة همّهم الوحيد إزاحته من السلطة كخصم عنيد قصد الوصول إلى مركز القرار، وكذا وسط شرائح من المجاهدين ممن لا يستخدمون عقولهم في تحليل المعطيات، والبحث عن الخلفيات، وإدراك الأسباب الحقيقية التي تكمن وراء الصراع يقول اللواء: حسين بن معلم في مذكراته – الجزء الأول - «معظم من التقينا بهم من المسؤولين في الأوراس كانوا يمقتونه وينتقدونه، كانوا يؤاخذونه على تصفية بشير شيحاني، نائب مصطفى بن بولعيد... وكانوا يعتقدون أيضا أنه المحرّض على قضية جهاز اللاسلكي المفخخ الذي كلف حياة مصطفى بن بولعيد، وهو ما ثبت خطأه بعد ذلك[3]»، وستظل هذه التهم مجرد أقوال وظنون لا ترقى إلى مرتبة اليقين، ويظل السّذج من الناس يلوكون هذه الأحاديث دون اعتبار لعواقبها وقد ظل عاجل عجول – حسب كثير من الرواة – خلال الثورة وبعد استسلامه يبحث عن طريق

1)- عمروش حياة موتتان، وصية للدكتور سعيد سعدي، ص: 99.

2)- إشكالية القيادة لمحمد زروال/ ص: 283.

3)- مذكرات اللواء: حسين بن معلم الجزء الأول ص: 84.

آمن يوصله إلى لجنة التنسيق والتنفيذ أو إلى الحكومة المؤقتة ليبرئ نفسه مما نسب إليه وليثبت لقيادة الثورة أنه كان ضحية مؤامرة حيكت ضده. غير أنه لم يجد آذانا صاغية، ومسؤولين يتفهمون موقفه فعاش منكسر النفس ومات والحسرة تملأ قلبه.

الشخصية الثانية: أما الشخصية الثانية التي اتجهت إليها الأنظار على أنها كانت وراء تدبير عملية الاغتيال، فهو أخوه عمر بن بولعيد، مجاهد من الرعيل الأول، عضو شرفي في قيادة أركان (المنطقة) لم يسند إليه أخوه أية مهمة واضحة، ولا شك أن لهذا الإقصاء أسباب يعرفها عنه، فأخلص النصيحة لمن استخلفه من بعده في شكل تحذير صريح، جاء ذكره في كتاب: إشكالية القيادة لـ/ محمد زروال... يقول المجاهد: محمد زروال وعندما رجع إلى الهارة (يعني مصطفى بن بولعيد)، فإنه اختلى بعباس، وقال له: إنّني سأكلفك تنفيذ أمرين: أن تبقى أخي بعيدا عن ممارسة أية مسؤولية في الثورة، فلا يغادر الجبل الأزرق أبدا، وأما ثانيهما: فحذّر مسعود بن عيسى أنني لن أسمح له أبدا بما يقوم به من عمل ليس في مصلحة الثورة[1]». تمركز عمر في جبل أوستيلي قرب باتنة وسط أتباع له ينتمون لقبيلته – حسب تعبير الرائد هلايلي – وذكر أسماء أشخاص كانوا قادة للنواحي أو للوحدات مثل: محمد الشريف بن عكشة، عبد الحفيظ طورش، مصطفى رعايلي، أحمد عزوي[2]. غير أن هلايلي لم يذكر أسماء أخرى كانت تعمل بالتنسيق معه ولا تنتمي إلى نفس القبيلة، مثل: الطاهر أنويشيى، الحاج لخضر، أحمد قادة، عايسي مسعود... بعض هذه العناصر جمعتهم المصالح، فاستهانوا بالمبادئ.

ظهر مؤشر الرغبة في اعتيلاء قيادة المنطقة الأولى لدى عمر بمجرد أن علم بوقوع أخيه في الأسر في تونس، فاعتقد أنه أحق الناس بخلافة أخيه، لأن خلاص مصطفى من الأسر في نظره وفي نظر غيره كان أبعد من نجوم السماء، فراح يتطلع إلى السلطة ويتحين الفرص للانقضاض على القيادة المستخلفة من قبل مصطفى أخيه. وعندما وجد الدعم والتأييد من قبل بعض القادة ممن كانت لديهم حساسية خاصة اتجاه

---

1)- إشكالية القيادة للمجاهد: محمد زروال، ص: 133.

2)- شاهد على الثورة في الأوراس للرائد هلايلي، ص: 213.

عجول خاصة، مثل: عائسي مسعود، والطاهر أنويشي، وحسين برحايل، لأسباب لا علاقة لها بنمط التسيير، راح يبحث عن الأسباب والذرائع التي تكشف عن أخطاء القيادة أو عن ضعفها... فاتهم هذه القيادة بأنها أهملت الناحية الغربية من الأوراس التي تمثل العمق الاستراتيجي للمنطقة التي تجاوزت طلائعها جبل: بوكحيل ببوسعادة، وجبال المعاضيد المتاخمة للمنطقة (الولاية) الثالثة، كما اتهم بشير شيحاني بالجبن واللجوء إلى المغارات خلال المعارك، ولم يكن عمر بن بولعيد يحظى بالتقدير والاحترام الذي كان يتمتع به أخوه مصطفى، فكان معظم القادة يتحفظون عن ولايته.

ولما لم يكن بإمكان شيحاني – القائد بالنيابة – الرّضوخ لإرادة عمر والتنازل له عن القيادة اعتبارا لمكانته من أخيه... راح يراوده بتعيينه في مناصب شرفية اعتقد أنها كفيلة بأن تغريه، فعيّنه في اجتماع عام جرى بالوسطية بكيمل أواخر مارس 1955 رئيسا للجمهورية، حسب رواية عجول، حيث يقول: «وكوّن شيحاني بشير السكريتيرية (الطاقم الإداري) من مجاهدي خنشلة... وارتكب غلطة كبرى فعيّن عمر بن بولعيد رئيسا للجمهورية... حيث أيده الحسين برحايل، ومسعود عايسي، والطاهر أنويشي[1]»... وفي إشكالية القيادة لـ/ المجاهد زروال فإن بشير شيحاني قد عينه مسؤولا شرفيا للولاية، غير أن عمر لم يرض بكليهما.

وعندما لم تتفهم القيادة المستخلفة على المنطقة طموحات عمر أو أحقيته – حسب فهمه – أعلن عن انفراده بقيادة جلّ أجزاء غرب الأوراس، ثم راح يطالب بالقيادة الفعلية على كل الأوراس مكان أخيه السجين عوضا عن شيحاني[2].

فكان هذا أول تمرّد معلن من طرف مسؤول يطمح لقيادة الثورة في الأوراس خارج الأطر النظامية، ولم تكن قيادة الثورة الممثلة في الثلاثي (شيحاني، عجول، لغرور) قادرة على فرض سلطتها وإملاء إرادتها بالإقناع أو بالقوة على رجل تحصن بوحدات مسلحة تدعمه من حيث الظاهر في المنطقة الغربية من الأوراس محوطا بمجموعة من القادة

1)- مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية/ إنتاج: جمعية أول نوفمبر، ص: 374 – 395.

2)- شاهد على الثورة في الأوراس للرائد: هلايلي، ص: 213 – 214 – 215.

أظهروا له التأييد والمساندة... راح عمر بمعية مسعود عائسي يعمل على كسب مزيد من الأنصار وتأليب الجيوش على العناصر القيادية بتوزيع مناشير تحريضية ضد القيادة الشرعية، وحول هذه النقطة يقول عجول في استجواب أجرته معه جمعية أول نوفمبر «كما يضاف إلى ذلك قيام مسعود عايسي بتوزيع المنشورات مع عمر بن بولعيد في الجهة الغربية (من الأوراس) ضد القيادة التي تتولى تسيير الثورة[1]».

وقد بلغ السيل الزبى عندما تآمرا على (شيحاني) بتكليف الثنائي «عمار أمعاش ومحمد غبروري» بالقيام باغتيال (شيحاني) القائد العام ونوابه بحجة تخليهم عن الأوراس... وارتكابهم أخطاء باسم السلطة[2]».«وقد فشلت محاولة الاغتيال واعترف المكلفان بتنفيذها في استجواب لهما من قبل القائد: عباس لغرور، بعد أن كانا قد زعما في البداية أنهما جاءا إلى مقر القيادة لإجراء فحوصات طبية في المركز إلا أنّهما ما لبثا أن اعترفا، بعد أن أكّد الممرض الذي قام بفحصهما أنهما يتمتعان بصحة جيدة... وقد اقتيد الرجلان إلى مقر قيادة القطاع وأفرغ جراب كل منهما من المنشورات المكتوبة باللغة العربية فنادى عباس بعض المجاهدين ففتشوهما وقيّدوهما، فراح غبروري يهدّد عباس بإنزال أشد العقوبة عليه... أودع عمار أمعاش السجن وظل تحت الحراسة، أما غبروري فقد نقل إلى القلعة (مقر القيادة) حيث تم استجوابه ثم نفذ فيه حكم الإعدام[3]».

أُعدم غبروري، غير أن شيحاني رضخ لإرادة نائبيه وأجّل إعدام عمار أمعاش بدعوى أن إعدامه سيثير الفتنة لا محالة، في انتظار حضور المحرضين على عملية الاغتيال، وعندما رفضا الحضور أمام القيادة أصدر شيحاني في حقهما الحكم بالإعدام وأمر بضرورة إحضارهما بالقوة، ولكنه لم يتمكن من ذلك[4]».

أوشك التشنج الذي ساد العلاقات بين عمر والقيادة العامة بسبب إلحاح عمر على تولي القيادة أن يؤدي إلى كارثة، فقد تطور من طموح شخصي من قبل عمر إلى

---

1)- مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية/ إنتاج: جمعية أول نوفمبر، ص: 374 – 395.

2)- شاهد على الثورة في الأوراس للرائد: هلايلي، ص: 213 – 214 – 215.

3)- إشكالية القيادة لـ/ محمد زروال، ص: 183.

4)- شاهد على الثورة في الأوراس، للرائد هلايلي، ص: 216.

تشنج في العلاقات لعدم حصول الاستجابة إلى إعلان للقطيعة والتنديد بسياسة السّلطة بواسطة المناشير إلى محاولات للتصفية الجسدية باستعمال وسائل الغدر، مما أدى إلى إصدار الحكم بالإعدام في حق المحرضين. عمر بن بولعيد وعائسي مسعود بعد أن رفضا المثول أمام القيادة. فلم تعد المسألة بعد الآن قابلة للحل الودي.

غير أنه وقبل أن يتم تنفيذ حكم الإعدام في كل منهما اتّهم شيحاني نفسه بممارسات لا أخلاقية تتنافى مع العقيدة الإسلامية وشرف المهمة، فصدر الحكم ضده بالإعدام ونُفّذ فيه يوم 30 أكتوبر 1955... فازدادت الأمور تعقيدا على الثنائي (عجول ولغرور) بظهور فراغ في السّلطة مما يغري المتلهفين في الوصول إليها بمضاعفة الضغوط الممارسة ضد العناصر المتبقية من السلطة الشّرعية.

ولم تكن مسألة عودة ابن بولعيد وظهوره من جديد على مسرح الأحداث واردة عند الطرفين إلا أن هذه القيادات فوجئت به عندما حلّ بجبل «أوستيلي» جنوب باتنة حيث يتمركز أخاه عمر وسط مجموعة من القادة المحليين...

ومن الطبيعي أن يثير عجول قضية عمر الذي انفرد بقيادة الناحية الغربية للأوراس ونصّب نفسه قائدا عليها في غياب أخيه ولم يعترف بالقيادة المستخلفة من قبل القائد الشرعي للثورة في الأوراس مصطفى بن بولعيد أمام القائد ابن بولعيد في أول لقاء جمعهما، فكان رد مصطفى حازما وواضحا حين قال: «سأستدعي عمر وإن ثبتت عليه هذه التهم التي وجهتها إليه، فأنا من سينفذ حكم الموت فيه بيدي واستدعي مصطفى شقيقه بعد تجريده من المسؤولية[1].

خمد الصراع على السلطة طوال فترة تواجد مصطفى بن بولعيد رغم الإجراءات الاستثنائية الشكلية التي طبقت عليه، وتم التّسليم بالأمر من كلا الطرفين، بالرغم من التحفظات التي كان يظهرها عجول اتجاه مصطفى، مما حدابـ/ ابن بن بولعيد إلى تحذير قادة الثورة في الأوراس في اجتماع موسع قائلا: «الثورة في خطر وسنعمل على تصحيحها[2]» دون أن يشير إلى مصدر الخطر، ويعلق الزّبيري على هذا التحذير

1)- مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين العقيد الطاهر الزبيري ص: 141 – 142.

2)- المرجع نفسه، ص: 143.

الصادر عن ابن بولعيد قائلا: «سي مصطفى كان متخوفا من أثر الدعايات التي كان يطلقها عجول ضده من خلال مراسلات لبعض القادة بعدم الثقة في الفارين من السجن[1]»...وشكك في وطنية ابن بولعيد ونزاهته عندما قال لبعض أصحابه: «سجن الكدية ليس كرتونا ليتمكنوا من الهروب منه[2]».

لم يعد عمر يظهر على مسرح الأحداث كمنافس لعجول بظهور النجم الساطع، غير أنه كان الهدوء الذي يسبق العاصفة، وقد تهب بدون مقدمات وبلا سابق إنذار فيستشهد ابن بولعيد فجأة، عندما كان يحاول تشغيل جهاز اتصال مفخخ ليلة: 23 – 3 – 1956، لتعود المنطقة إلى سابق عهدها، بل إلى ما هو أعنف من ذلك!.

عمر...عودة إلى الظهور

بسقوط الزعيم ابن بولعيد يتأزم الموقف من جديد ويحتدم الصراع بين القيادتين، كل يدّعي أنه الأحق بالإشراف والأجدر على التسيير والتمثيل، بعد أن اطمأن الجميع هذه المرة بأن القائد: ابن بولعيد لن يعود للظهور أبدا، واستغل موته الغامض كورقة من قبل المتنافسين على الخلافة، وكل طرف يتهم الطرف الآخر أنه كان وراء عملية الإغتيال الغادر، واتهم عمر من قبل بعض الأطراف، ولازالوا يعتقدون بأنه المصمم للعملية والمنفذ لها ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾[3] بهدف الاستيلاء على السلطة غير أن ذلك لم يثبت عليه بالدليل القاطع، وليس لدى القائلين بذلك أي دليل ملموس تجعل القارئ يصدق بصحة الرواية وتأكيد الشبهة، معتمدين في ذلك على المبدأ «الميكيافيلي» الغاية تبرر الوسيلة، وبالرغم من انتفاء الشبهة من حيث الدلائل العملية، ومن حيث المنطق التصوري، ومن صعوبة التصديق بإمكانية قيام أخ بقتل أخيه هذه القتلة الشنيعة لاعتلاء منصب القيادة...غير أن تصرفات عمر وسلوكاته عقب موت أخيه مباشرة صرفت إليه الأنظار، وجعلت الناس يعتقدون أنه الذي صنع مأساة الأوراس فيما بعد، فقد عاد إلى الظهور بعد موت شقيقه مباشرة

1)- مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين المرجع السابق، ص: 143.

2)- المرجع نفسه، ص: 128.

3)- سورة المائدة، الآية: (30).

يطالب بقيادة الثورة في الأوراس، بالرغم من أنه كان يعلم أنه لا يحظى بثقة الجميع، كما كان مصطفى القائد الرائد الخالد أبا ومعلما وقائدا للجميع.

ولأمر ما شد الرحال بعد أن قام بعدة ترتيبات محلية إلى الولاية الثالثة المجاورة والمتصلة بالمنطقة الأولى عبر سلسلة جبال المعاضيد، يصف الدكتور: سعدي في كتابه: عميروش، حياة موتتان وصية – الوضع في الأوراس، عشية سقوط ابن بولعيد، فيقول: «ففي شهر مارس 1956 سقط سي مصطفى بن بولعيد في ميدان الشرف، وقد انجر عن هذا الرحيل المفجع كارثة حقيقية في الولاية الأولى، أوراس – النمامشة، بحيث أن فور الإعلان عن هذا المصاب الجلل اندلعت حرب حقيقية على الخلافة بين مختلف المسؤولين، وكان من بين المتنازعين عمر بن بولعيد شقيق مصطفى، إلاّ أن هذا الأخير لم يكن له ما كان لأخيه من وقار واقتدار[1]» ويستطرد الدكتور: سعدي فيقول: «قام عمر بن بولعيد في ربيع 1956 (أفريل – ماي) على رأس وفد هام من أتباعه بزيارة إلى الولاية الثالثة (القبائل) التقى فيها بعض المسؤولين من بينهم: كريم بلقاسم، وعميروش...لم ينبس بكلمة واحدة عن استشهاد أخيه، بل جاء خصيصا ليوهم الآخرين بأنه تحصل على تزكية من كريم لخلافة شقيقه، لأنه يعلم جيّدا أن سي مصطفى أوصى منذ اندلاع الثورة بالتوجه إلى كريم بلقاسم إذا ما حدث له(مصطفى) مكروه.قبل مغادرة الولاية الثالثة سُلمت لعمر بن بولعيد الشارات الخاصة برتبة عقيد، وكذا دعوة لحضور المؤتمر كان عليه أن يسلمها لأخيه، وبمجرد دخوله الولاية الأولى أسدى لنفسه الأوسمة، معلنا أنه عُيّن من طرف قيادة النّظام خليفة لسي مصطفى هذا التصرف لم يزد سوى في تعفين الوضع السائد، وأصبح كل من الذين كانوا ضده شخصيا ناقمين عليه وعلى قرار القيادة معا[2]».

قد لا يتوقف عمر عند هذا الحدّ لأنه يعلم أن معظم القياديين المحليين لا يقبلون به قائدا على الثورة في منطقة مصنفة في الدوائر الاستعمارية كبؤرة للتوتر رقم واحد، حتى وإن تم تعيينه من قبل الهيئة العليا للثورة... ومهما يكن الأمر تبقى الشارات التي عاد بها من المنطقة الثالثة «كعقيد» تخوله تقلد منصب قائد ولاية إلى حين ظهور مستجدات أخرى تعيد كل متطاول إلى حجمه الأصلي، ويعلق عاجل عجول في استجواب أجرته معه جمعية

---

1)- عميروش حياة موتتان وصية للدكتور سعيد سعدي ص: 98 – 99.

2)- المرجع نفسه.

أول نوفمبر لتخليد مآثر الثورة فيقول: «ووجهت الاستدعاءات إلى قيادة المناطق للحضور إلى المؤتمر، وجاء الاستدعاء إلى عاجل عجول وعباس لغرور ومسعود بلعقون والطاهر أنويشي في الأوراس، كتب عليه التاريخ: 20 جويلية 1956، وكان قائد المنطقة الأولى (الولاية الأولى) يومها كعقيد عمر بن بولعيد الذي كان يقوم مع مسعود عائسي بإطلاق المنشورات وتوزيعها في كافة المناطق بالمنطقة الأولى ضد عاجل وعباس متهما إياهما بقتل مصطفى بن بولعيد وشيحاني بشير[1]».

والملاحظ هنا أن تواريخ الدعوات، غير التي أشار إليها الدكتور سعدي - المرجع السابق - كما يلاحظ أن عمر الذي تقلد رتبة عقيد - قائدا للولاية - لم يتلق الدعوة ممّا يؤكد زيف الرتبة التي يحملها.. ويُستدل من عدم توجيه الدّعوة إلى القائد مصطفى بن بولعيد أن قيادة المنطقة الثالثة كانت قد علمت بموته أثناء كتابتها لهذه الدعوات، مع أن الدكتور سعدي يشير في كتابه - المرجع - إلى أن أعضاء المؤتمر علموا باستشهاده خلال أشغال المؤتمر[2].

محاولات بل مناورات عمر قد لا تنتهي عند هذا الحد، إذا لم يصطدم بحاجز صلد يعيده إلى خط الانطلاق، فقد ظل بعد موت أخيه مصطفى يناور على أكثر من صعيد لافتكاك السّلطة من القائدين (عجول ولغرور)، وكان عجول أكثر تأثرا بالموقف من عباس وأكثر تحديا لعمر لأسباب يبدو أن لا علاقة لها بالتسيير والإشراف، بينما كان لغرور لا يولي لمناورات عمر كبير اهتمام. ومن الطبيعي أن ينعكس هذا الصراع على الاستقرار في المنطقة الرائدة، وأن يؤثر سلبا على مردود الوحدات المسلحة ضد القوات الاستعمارية، وأن تمتد مؤشرات الصّراع إلى مسؤولي الوحدات وإلى قواعد الإمداد لتنذر باحتمال انهيار القلعة الشامخة، حيث بدأت بالتصفيات وبقطع الإمدادات والمواصلات، وانتهت بمعارك طاحنة بين الأخوة الأعداء، فأثمر هذا الصراع الضغائن والأحقاد بين المسؤولين وبين المواطنين أنفسهم - حسب الولاء - وحسب القناعات وتحول موت القائد: ابن بولعيد إلى قميص عثمان... فالكل يبكي فمن سرق المصحف.

---

1)- مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية، ص: 418.

2)- عميروش حياة موتتان وصية للدكتور سعيد سعدي، ص: 97.

حاول عمر أن يتقمص شخصية أخيه وأن يتزعم الثورة في الأوراس، غير أن ذلك لم يجلب له سوى نقمة المجاهدين وعموم المواطنين وتهمة القتل والتصفية لأخيه القائد الرمز الشهيد: مصطفى بن بولعيد، حتى وإن لم تتأكد فيه شبهة الاتهام، لأسباب عاطفية قبل كل شيء، دون اعتبار للطموح المفرط الذي قد يدفع بعمر إلى ارتكاب مثل هذه الجريمة.

وسوف يظل عمر مُصرا على انتزاع السّلطة من عجول ولغرور، شهورا أخرى بعد مؤتمر الصومام، وسيكون ذلك سببا في تدهور الأوضاع أكثر ليستمر هذا الصراع حتى بعد أن غادر عمر الأوراس ليستقر في تونس، بل أخذ منحى آخر بتدخل الرائد: عميروش الموفد من قبل لجنة التنسيق والتنفيذ لتقويم وإصلاح الأوضاع في الأوراس، غير أن مهمة عميروش لم تحقق ما كان منتظرا منها، فقفل راجعا ليحتدم الصراع بصورة أكثر حدّة إلى مطلع سنة 1960.

وسنتناول الموضوع بشيء من التوسع في فصل لاحق.

والذي يعنينا هنا هو أن تهمة القتل غير المؤكدة ظلت قائمة في حق عمر، وليس هناك ما يبرّرها سوى الطموح المفرط الذي كان يبديه من أجل الوصول إلى السلطة، فاعتقد العامة من المجاهدين أن ذلك كان بالنسبة إليه مبرّرا لارتكاب جريمة الاغتيال ضد أخيه، واستغل ذلك خصومه في تشويه شخصيته، وإلصاق التهمة به.

الشخصية الثالثة التي حامت حولها شبهة الاغتيال

محمد بن مسعود بلقاسمي

محمد بن مسعود بلقاسمي، مجاهد من الرّعيل الأول، أسندت إليه عند تنظيم تراب المنطقة الأولى مسؤولية الإشراف على ناحية أمشونش المتاخمة للمنطقة الصحراوية التي ظل بها على رأس الناحية طوال سنتي: 1954 – 1955، وعندما فرّ ابن بولعيد من السجن في الحادي عشر من نوفمبر 1955 مرّ بقاعدته «أحمر خدو» (جبل منيع)، فاستقبله بفتور، بل دعاه إلى الذهاب إلى الإدارة في «كيمل» للنظر في شأنه تطبيقا للقانون الذي كان قد سنَّه بنفسه على أن «كلّ مسؤول يفر من سجون العدو يخضع للرقابة لمدة – 6 – أشهر» فتناقل المجاهدون هذا الخبر واعتبروه تحديا

واستهزاءا بالقائد ذي المكانة المحترمة بين المجاهدين وتجاوزا للمهام المسندة إليه كمسؤول للناحية.

غير أن ابن بولعيد لم يقابل هذا الجفاء الصّادر من قائد ناحية أمشونش بما يسيء إليه فتركه وشأنه، ومرّ إلى ناحية: كيمل وفي أثناء تنقلات ابن بولعيد بين جبل «أحمر خدو، والجبل الأزرق» القلعتين الحصينين في جنوب جبال الأوراس، وعندما كان يحاول عبور الوادي الأبيض انطلاقا من قاعدة أحمر خدو في اتجاه الجبل الأزرق، وبتاريخ 13 من شهر جانفي 1956، تتمكن أبراج المراقبة في القرى المقابلة من رصدحركة عدد كبير من المجاهدين (ما يقارب 280 مجاهدا) عبر السفوح الجبلية لأحمر خدو، فأشعرت بذلك مراكز قيادتها، لتتحرك وحداتها من عدة مراكز مدعومة بالدبابات وبمدفعية الميدان، فخاضا معا: ابن بولعيد ومحمد بن مسعود معركة الشرف بـ/ إيفري البلح بين بانيان وغوفي السيّاحيتين، وبعد أربعة أيام من ذلك التاريخ، وبالذات في 18 جانفي 1956، تتم ملاحقة هؤلاء المجاهدين من قبل القوات الاستعمارية لتدركهما في «غار علي بن عيسى» غير بعيد عن «إيفري البلح» فخاضا معا مرة أخرى المعركة ضد القوات الاستعمارية، ولم يشفع ذلك لابن بولعيد لدى القائدين عجول ومحمد بلقاسمي لرفع الحرج عنه... فلم يصدر خلال خوضهما للمعركتين معا من قبل محمد بن المسعود ما يريب ابن بولعيد أو يبعث على الشك في نواياه،غير أن تلك العبارة الجافة التي تلفظ بها ظلت تلقي بظلالها على النفوس في أوساط القادة المحليين وفي أوساط المجاهدين، وعندما قرر ابن بولعيد عقد اجتماع لقادة الناحية الغربية للأوراس، كان محمد بن المسعود أحد المدعوين، ونظرا لقرب تمركزه من المكان الذي سينعقد فيه الاجتماع كان من السابقين الأوّلين في الوصول إلى المكان عند قاعدة الجبل الأزرق.

وقد اختلف الرواة في أسماء القادة الذين وصلوا إلى مكان الاجتماع، وفيم إذا كانت بعض الجلسات أو اللقاءات الانفرادية مع قادة النواحي قد جرت... في انتظار وصول بقية القادة، غير أن بعض العبارات التي تناقلها المجاهدون فيما بعد والمنسوبة إلى ابن بولعيد في أثناء الاستقبالات الفردية مثل: العبارة التي استقبل بها المجاهد

زيان عاشور، عندما قال، نقلا عن المجاهد علي بن شائبه: (ها قد وجدنا من يريحنا من مشكل الصحراء) تؤكد حصول بعض اللقاءات... وليس لدينا أي إثبات يؤكد حصول لقاء مع محمد بن مسعود قائد ناحية أمشونش المتهم باغتيال ابن بولعيد. غير أن الشبهة، كما سبق أن ذكرنا أثيرت حوله بسبب موقفه المتصلب من ابن بولعيد عند مروره بمركز قيادته «بأحمر خدو»... وتتحدث بعض الروايات التي لا تستند إلى بيانات رسمية أو حجج ثابتة أن «محمد بن مسعود»هو الذي أحضر الجهاز اللغم الذي انفجر وأودى بحياة ابن بولعيد، وقد تعرض لهذه الرواية صاحب كتاب: اشكالية القيادة في الثورة الجزائرية/ محمد زروال، على الهامش من الصفحة: 246 نقلا عن محمود الواعيو من مجاهدي المنطقة... وتتحدث بعض الروايات على أن البطاريات التي أحضرت لتشغيل الجهاز جيء بها من أمشونش منطقة نشاط محمد بن مسعود وهي بعيدة نسبيا مقارنة بقرية نارة التي لا تبعد بأكثر من – 5كم – عن مكان الاجتماع، وهذا ما يصرف التهمة إليه... غير أن هذه الشائعات التي سبق أن خصّصنا لها فصلا كاملا في بداية هذا الكتاب تفعل فعلها، عندما لا تجد قلوبا واعية وعقولا نيرة تجيد تحليل الأحداث وإعادة تركيب مثل هذه العمليات بحكمة وتبصر، وبعد نظر، لتدرك الأهداف الحقيقية من وراء زرع هذه الشائعات في أوساط المجاهدين خاصة... إذ لم يرق بعد مستوى النظر والتفكير وإعمال العقل عند كثير من المجاهدين وعند بعض القادة أنفسهم إلى المستوى الذي يسمح لهم بمواجهة الشائعات التي تبثها أجهزة الاستخبارات الفرنسية ولا حتى معرفة النوايا الخفية للقادة المحليين الذين راحوا يروّجون لشائعات ابتدعوها لأغراض لا تخدم مصلحة الثورة مفادها أن ابن بولعيد اغتاله عجول أو عمر أو محمد بن المسعود، ليظل مرتكبو هذا الفعل الإجرامي خارج دائرة الاتهام.

ولم يرد ذكر اسم محمد بن المسعود بعدها سوى في المحضر الذي أعدّه الرائد: عميروش الموفد من قبل لجنة التنسيق والتنفيذ لحسم مسألة الصراع على الزعامة في الأوراس بعد استشهاد قائدها مصطفى بن بولعيد، فقد ورد ذكره في الاجتماع الذي انعقد لدراسة حالة عجول يوم 2 أكتوبر 1956، وحالات أخرى قليلة منها: «دراسة

حالة بن مسعود (قاسمي) – حسب منطوق التقرير – مسؤول ناحية أمشونش الذي أمر عائسي بإحضاره مقيدا[1]» وقد دفعتني الرغبة بنية الاطلاع لمعرفة حقيقة من كان وراء سجن محمد بن المسعود وتاريخ سجنه خارج نطاق منطقة نشاطه، فاتصلت ببعض المجاهدين من قرابته ومن الذين عملوا معه في منطقة نشاطه – ناحية أمشونش – فأنكر بعضهم أن يكون قد ألقي عليه القبض تماما.. غير أن أحد المجاهدين من الثقات قال بأن جنوده هم الذين ألقوا القبض عليه، وقاموا بتسليمه إلى عائسي، وقد تكون التهمة المنسوبة إليه هي جلبه لجهاز الإرسال الذي أودى بحياة ابن بولعيد حسب بعض المراجع، وقد حاولت تحديد تاريخ توقيفه بالتقريب وحبسه، وخلال تحرياتي عثرت على مراسلتين صدرتا عنه وبتوقيعه الخاص في الواحد والعشرين من شهر جويلية 1956 في مذكرات الشيخ محمد خير الدين – الجزء الثاني – الصفحتان: 228 – 240.

وهذا يعني أن توقيفه قد تم بعد هذا التاريخ، لكن بدون تحديد دقيق.

وقد جاء ذكره أيضا في الصفحة الأخيرة من التقرير (المحضر) بقوله (عميروش): «أرسلت إلى القبائل، محمد بن المسعود (قاسمي) – بلقاسمي – مسؤول أمشونش المتهم بجلبه للجهاز الذي استعمل في موت سي مصطفى للتحرّي معه، وقد مات على إثر قصف للطيران بالقبائل[2]».

أمّا عن الظروف التي تم فيها القبض عن محمد بن المسعود من طرف عائسي وجنوده والاحتفاظ به في السّجن إلى حين وصول عميروش – الذي لم يكن منتظرا – والأمر الصادر من عائسي بإحضاره إلى مكان الاجتماع مقيدا بالتّهمة المنسوبة إليه وإحالته للتحقيق معه في الولاية الثالثة بالقبائل، فتظل الروايات بشأنها متضاربة.

المؤكد أن محمد بن المسعود بلقاسمي استشهد في ناحية أعزازقة (أنزات بني يعلى) بالقبائل الصغرى على إثر قصف للطيران حسب الرائد: عميروش في تقريره الموجه للجنة التنسيق والتنفيذ.

---

1)- شهداء الأوراس الجزء الرابع، ص: 648.

2)- شهداء الأوراس الجزء الرابع، ص: 651.

... فبموت ابن بولعيد يكون الاستعمار قد حقق أكبر انتصار له في المنطقة الأولى أوراس – النمامشة – حيث اهتزت الثقة بين المسؤولين المحليين واختلت الأوضاع الأمنية بسرعة، وراح كل طرف يكيل التّهم للطرف الآخر، فانعدم التنسيق بين القيادات وبين الوحدات وساءت أحوال الجند في بعض النواحي وبدأ تشكيل الوحدات يأخذ طابع العصبية القبلية والولاء للعصبة، فظهرت جماعات ترفض الانصياع لأوامر القيادة العامة، بل وتجاهر بعدائها لها، «فقد جاء في تقرير عميروش أن عائسي أعطى أمرا لجنوده بمقاتلة عجول بلا هوادة[1]».

كما جاء في مذكرات العقيد الزبيري، قائد الولاية الأولى أنه سمع في أثناء حوار له مع جنود من جيش «أشريط لزهر» في النمامشة، عندما كان يمر بالناحية قول أحدهم: «عجول لو يقع بأيدينا سنقتله[2]»

فظهرت في الأوراس جماعات من المجاهدين تشبعت بأفكار متطرفة تقاتل العناصر النظامية من المجاهدين، كما تقاتل الجنود الفرنسيين، وتدافع عن شرف الوحدة أو الفصيلة التي يجب أن لا تنهزم على غرار القناعة التي يتمتع بها جنود فيالق «جوق الشرف» عند القوات الاستعمارية الذين يدافعون عن شرف الفيلق، وقد وجدت هذه الوحدات من يبرر أفعالها حتى وإن لم يكن منها، ففي سلسلة طويلة من التبريرات الواهية لجرائم الجماعات المنشقة عن النظام، يقول الرائد هلايلي: «فعندما يدركون حقيقة تعرض عجول لمحاولة الاغتيال... فماذا ينتظرون من قبيلته غير التأسف والتأفف وتفويض أمره إلى الله وعندما يهان عمر بن بولعيد... ويهدّد بالقتل، ويُفرض عليه النفي ويُحرم من شرف الجهاد، ويسجن نائبه: أحمد عزوي ويُطارد الشريف رابحي، ويُسجن عمار بلعقون فماذا ينتظرون من قبيلة «التوابة» التي ضحت بكل ما تملك من أجل الجزائر غير التذمر وعدم الارتياح وحماية المظلومين... وعندما يعدم السوفي عبد الحفيظ قائد قبيلة بني أملول القبيلة المتمردة على الاستعمار أبا عن جدّ، فماذا ينتظرون من أبنائها غير محاولة الاقتصاص

1)- شهداء الأوراس الجزء الرابع، المرجع السابق، ص: 644.

2)- مذكرات العقيد: الطاهر الزبيري آخر قادة الأوراس التاريخيين ص: 155.

من الأطراف التي تعمدت سفك دم قائدهم، وعندما يعدم كل من: التيجاني عثماني من مدينة خنشلة الثائرة، فماذا ينتظرون من قبائل محيط خنشلة»؟.

ويستطرد الرائد هلايلي في ذكر ضحايا المأساة المحلية وما حلّ ببعض القادة، وإذا سلّمنا جدلا بصحة ما ذهب إليه بأن هؤلاء القادة قد أوذنوا وشرّدوا وطردوا وسامهم سوء العذاب خارج الحدود قادة أجلاف غلاظ شداد... فهل يعد ذلك مبرّرا كافيا ليعيدوا تمثيل هذه اللعنات بأضعاف مضاعفة ضد مواطنين أبرياء أو جنود عُزل، فيأسرون ويقتلون ويسجنون ويعرقلون ويعلنونها حربا بلا هوادة ضد فصائل جيش التحرير الوطني الموصوفين بالجبهويين وضد مراكز ومُموني الجبهة... إنها حقائق لا بد من ذكرها بل جرائم لا يجب إخفاؤها.

عرفت هذه العناصر في المنطقة الثانية باسم المشوشين، واشتهروا بهذه التسمية كما عرفت في أحمر خدو بتراب الولاية السادسة باسم: الثوار، وهذه الجماعات شبيهة بالخوارج في صدر الإسلام تقاتل بشراسة وبأس شديد، وتؤمن إيمانا مطلقا بعدالة قضيتها وسلامة منهجها وتقاتل بعناد من أجلها... وعندما أدرك عناصرها الضعف انقلبوا على قادتهم بالتصفيات الجسدية، وارتمى بعضهم في أحضان عدوهم –الاستعمار–

ويبقى القاتل الحقيقي ضميرا مستترا

اشتد الصراع بين عناصر من قوى مختلفة ظهرت بعد تفكك الكتلة الوطنية الصلبة التي أنشأها الشهيد: مصطفى بن بولعيد، وراحت كل مجموعة تدّعي أنها أكثر وطنية وأقوم سلوكا وأجدر على القيادة، فلما مات ابن بولعيد اتخذوا من موته قميص عثمان، وراحوا يتبادلون التّهم حول من قتل ابن بولعيد، مع أن الكثير منهم كان يعلم أن الطريقة التي تم بها حبك المكيدة ليست في متناول قادة وجنود جيش التحرير الوطني، إذا لم يكن ذلك بتواطؤ مع أجهزة المخابرات الفرنسية، وفي مثل هذه الحالة، فإن عناصر اختراق محتملة تكون قد اندست وسط المجاهدين، وتمكنت من إيصال جهاز لا يشك أحد أنه صنع في مخابر متطورة في فن التضليل إلى القائد ابن

بولعيد، وأوهمته بسلامة الجهاز ومع أنه – مصطفى – عسكري سابق عرف عنه أنه شديد الحيطة بالغ الحذر، فانطلت عليه الحيلة، فحدث ما حدث.

والذي يهمنا هنا هو أن الصراع الذي احتدم بين القادة من أجل تبوإ مركز القيادة بعد ابن بولعيد يُفترض أن يصرف في البحث عن الجناة الحقيقيين وعن كيفية القصاص منهم ولا ينتظرن هؤلاء القادة من الصّحفي الكاتب: «إيف كوريير» أن يكشف عن ذلك في كتابه: «حرب الجزائر» بعد عقد من الزّمن من ذلك التاريخ ليطلع القراء والمهتمين والمجاهدين أنفسهم بأن هؤلاء القادة كانوا يمارون الناس دون علم، وأن استغلالهم للحادثة من أجل الحصول على الامتياز جريمة ضد الوطن، أصابت الثورة في الأوراس الأشم في الصّميم، وقد ظل مسلسل السيناريو الذي أعدّته مصالح الاستخبارات الفرنسية يلفه الغموض والتعتيم إلى أن كشف عنه «كوريير»، وعلى القارئ أن يمعن النظر في كل عبارة ترد عن الكاتب وأن يتناول الموضوع بحذر، لأن الكاتب يفتقر إلى صفة الحياد التي يجب أن يتحلى بها المؤرخ فهو ينظر إلى قضايانا من وجهة نظر فرنسية بحتة، بالإضافة إلى أن بعض الأحداث التي جرت بمعزل عنه إنما توصل إليها عن طريق الحدس والتخمين والتقدير، وليس بالملاحظة والنظر أو البحث والاستقصاء والاستنتاج أو بالاعتماد على الوثائق السرية لمصالح الاستخبارات الفرنسية التي لا تكشف عنها عادة إلا بعد مرور وقت قد يطول على وقوع الحادثة لإخفاء أثر الجريمة.

فعن منشورات «إيستوريا مقازين»

وتحت عنوان: ابن بولعيد «عملية صاعقة» يقول «إيف كوريير»

«في الخامس عشر من شهر مارس قامت طائرة من نوع – د – س – 3 – (D C 3) بإلقاء مؤونة بالمظلات فوق قمة جبل بنارة، على بعد بضع كيلومترات جنوب شرق منعة على الأرض. وكان الرجال التابعون لـ/ (G.L.11) إحدى وحدات الفيلق: 11 «شوك» صدام الشهير فيلق عمل «أكسيون» التابع لـ/ (S. D. E. C. E) يتابعون العملية، وحدث قبل ذلك بستة أيام أن لقي النّقيب «كروتوف» العنصر الأسطوري حتفه في معركة، وهو تابع للفيلق... » فحسب «إيف كوريير» فإن الفيلق: 11 كان

متمركزا بضواحي «منعه» وأن النّقيب: كروتوف لقي مصرعه في تلك الضواحي بتاريخ 9 مارس، غير أن صاحب كتاب: شاهد على الثورة في الأوراس الرائد: هلايلي، يقول: بأن كروتوف كان من ضمن الضباط الثمانية الذين قتلهم عباس لغرور... ومن أجله يقول الرائد هلايلي أعدّوا اللّغم للقائد ابن بولعيد[1]». حديث غير منسجم مع مجريات الأحداث في الميدان، فإذا كانت فرنسا تستهدف القيادة العليا للثورة في المنطقة، فهي تعرف بالتقريب مواقعها عن طريق جواسيسها أو عن طريق الأسرى والمرتدين، والجبل الأزرق ليس من ضمنها، ولا يصح أن يقتل النقيب «كروتوف» في تبسه، ويلقي بجهاز مفخخ على بعد مائتي كيلومتر بهدف الانتقام من قتلته أو من قادتهم.

عملية اغتيال ابن بولعيد

ويواصل «إيف كوريير» حديثه، فيقول: ولذلك وخلال اشتباكات بقيادة: (G.L.11) فإن عملية الإلقاء بالمظلات التي شرعت فيها لـ/ (D.C.3) كانت انتقاما من المظليين لفقدان قائدهم المحبوب، حيث ألقت الطائرة في البداية حملتين من الأرز سقطتا عند أقدام رجال الفيلق الصاعقة: 11، لكن عند المحاولة الثالثة وقع الحادث (المفتعل) حيث تعلقت المظلة الحاملة للطرد الثالث بمؤخرة الطائرة، ومن ثمة أخفقت عملية الإنزال... وهي عملية مفتعلة بهدف جلب الأنظار للجسم المعلق بالطائرة... ويسترسل الكاتب في وصف فصول السيناريو، فيقول: «والحقيقة أن بداخل الطائرة شخصا عميلا يشد إليه المظلة بخيط رفيع ليحول دون سقوطها.. » وظلت الطائرة تحلق فوق مجال تواجد عناصر الفرقة (G.L.11) أحيانا وخارج مجالها أحيانا أخرى لتستلفت أنظار المتمردين (المجاهدين) المفترض وجودهم هناك للطرد المعلق، فلما تأكد الشخص العميل من تحقق الهدف قام بقطع الخيط... ومما يزيد من قيمة هذا الطرد هو أنه كان جهاز «راديو» متطور ويعتبر غنيمة ضخمة للمحاربين (الشاوية) بقيادة ابن بولعيد... » وعلى نفس الوتيرة يواصل «كوريير» وصف بقية مراحل السيناريو ويقول: «وهذه الفرضية يبدو أنها لم تحرّك ساكنا عند ضباط أو جنود الفيلق (G.L.11) الذين كانوا يراقبون العملية بفضول».

---

1)- شاهد على الثورة في الأوراس للرائد هلايلي، ص: 221.

والسبب هو أن تلك العملية كانت ثمرة محاولة محبوكة بإحكام من طرف المصالح الفرنسية الخاصة، وذلك لضرب رأس القيادة المستعصية في المنطقة المتمردة على فرنسا في الأوراس – وهذا يعني حسب كوريير أن هذه المصالح كانت على علم بانتقال ابن بولعيد إلى الجبل الأزرق - لأن مصلحة اكسيون التابعة لـ/ (S.D.E.S.E) اعتبرتها عملية خاصة جدّا، وقد قام النقيب القائد لـ/ (G.L.11) بشرحها لرجاله بمخيم منعة، ويواصل الكاتب سرد وقائع العملية بأسلوب قصصي مثير فيقول: «وسنتخيل ذلك ولأول مرة بأننا لن نذهب إلى المناوشة، وربما يكون ذلك أفضل وسنغادر منعة، كما لو كنا سنذهب في عملية لعدة أيام... سنكون مراقبين من قبل عيونهم (المتعاطفين مع الثورة)، وذلك ما يهمنا ولن يتجرؤوا على مهاجمتنا، وستتسلق إلى قمة جبل «تامشط»».وفي هذه العملية ستلقي إلينا الطائرة بثلاثة طرود اثنان من الأرز، أما الطرد الثالث فيوجد به جهاز «راديو» لكنه سيسقط خارج نطاقنا فهذا مخطط العملية.

استيلاء الفلاقة على الجهاز

ويتخيل الكاتب سير بقية العملية فيقول: «وسيستولي عليه الفلاقة (المجاهدون) وبما أنه جهاز متطور فسيحملونه من قبيل احترام النظام العسكري إلى أكبر قائد منطقة، ربّما يكون شيحاني – اغتيل يوم 30 أكتوبر 1955 – وربّما عجول، وربما ابن بولعيد، لم يرد عند «إيف كوريير» اسم القائد: عبّاس لغرور، وهذا يؤكد عملية سقوط النقيب «كروتوف» في جبال «تامشط» أو ضواحيها، ويواصل الكاتب: وتمويها للعملية ستنطلق دورية من طرفنا كأنها تبحث لأجل استرجاع الجهاز «الراديو» ولكن بدون تعجيل وفي الطريق عند عودتهم سيقولون للفلاحين إنه جهاز «راديو» مهم جدّا بالنسبة إلينا وستمنح جائزة لمن سيمكننا من استرجاعه وإعادته إلينا، وهذا سيكون في شكل حافز قوي يدفعهم لأخذه إلى قائدهم، وحينئذ تكون هناك رغبة ملحة لدى قائدهم على أن يجربه، وعندما...» وهنا يمسك كوريير أنفاسه لأنه شعر بلذة الفوز ونشوة النصر، ويواصل كوريير قائلا: «إن هذا الجهاز (جهاز راديو) يصلح للإرسال والاستقبال، وقد وضع بمركز «سيركوت» أين كان يتم تدريب الاحتياطيين التابعين لفيلق أكسيون من: (S.D.E.C.E) وكذلك صنعت به أدوات وآلات لا تحصى، مما يجد فيها الجيش منفعته، وهذا الجهاز كان ملغمّا، وينفجر

بمجرد أن يربط بمصدر كهربائي، وصنع خصيصا لأن يشتغل بالبطارية وبشكل عادي جدا.أما عن التيار الكهربائي، فلن يكون ذلك متاحا إلا لقائد كبير له مخبأ تحت تصرفه!وأخيرا فإن أكثر المتمردين ريبة لن يشك في الفخ، وحتى لو فتح وأشغل إرساله، فإن القنبلة المعتادة لم تكن موجودة بالشكل المعروف (كروية الشكل) في الجهاز من الداخل، بل هو الجهاز ذاته، حيث أن هيكله المستطيل الذي يرى من الداخل ومن الخارج هو المتفجر بعينه، وذلك بمجرد أن تلمسه شرارة من الكهرباء المنطلقة من البطارية!».

كيف وصل الجهاز إلى الفلاقة؟ (المجاهدون)

يكشف « كوريير» عن خيوط المؤامرة، وعن الطريقة التي تم بها تضليل المجاهدين واستدراجهم للاستيلاء على الجهاز، فيقول: «وفي المساء كانت طائرة (D.C.3) تدور بلا كلل، وأخيرا انفصلت عنها المظلة التي تبدو من الأرض كأنها صدفة، أما في الواقع، فإنه كان هناك أحد عملاء مركز «سيركوت» والذي قام بقطع الخيط الرفيع الذي كان يصل المظلة بالطائرة، فانتهت عملية الإنزال بالنجاح التام، ومن ثمة أبلغ قائد الطائرة بالراديو رجال الـ (G.L.11) بنجاح الخطة – بقوله – إني أراهم وصاح: الفلاقة يخرجون من الغابة، يتسابقون مسرعين نحو الغنيمة التي تتمثل في جهاز الراديو والذي ألقي من الطائرة، وقد أخذوه فعلا». فهذا الكلام يتناقض مع ما جاء في الفقرة السابقة، حيث يقول كوريير بأن عناصر من الفرقة أسرعت إلى المكان وتظاهرت بالبحث عن الطرد وعند عودتهم أخبروا الفلاحين – بهدف تحفيزهم على البحث عن الراديو وإبلاغه إلى الثوار – بأنهم أضاعوا جهاز راديو وستمنح جائزة لمن سيمكنهم من استرجاعه.

ويضيف «كوريير» وكما كان متوقعا، فقد وصلت دورية الاسترداد متأخرة، وعند عودتنا أمر النقيب قائد (G.L.11) سنبتعد عن العدو، لأن الجولة قد انتهت...ندخل منعة... وأعتقد أننا لعبنا التمثيلية بشكل جيد، وأديناها كما ينبغي، ولم يبق لنا سوى أن ننتظر النتيجة...

وفي الصفحات اللاحقة من الكتاب يعود الكاتب كوريير إلى ما سبق أن أشار إليه من قبل لكن بعبارات أخرى سوف نعمل على نقلها دون مساس بالمحتوى أو تهذيب أو شرح للألفاظ ليتأكد القارئ، مما كنا قد ألمحنا إليه من أن الكاتب كان حقيقة أقرب إلى المصادر التي تُستقى منها المعلومات والحيثيات التي تتصل بالقضية، إلا أنه لم يلتزم الحياد الإيجابي، ككاتب، وسوف يلاحظ القارئ ذلك واضحا من خلال التعابير التي يستخدمها فهو يشير «كوريير» أنه «وفي خلال إحدى الاشتباكات العنيفة جدا لقي النقيب كروتوف حتفه يوم 9 مارس 1956، وهو قائد: (G.L.11)».

وأمام سلسلة النّكبات هذه، وخاصة أمام عجز الجيش على الصعود إلى غابة هؤلاء القادة المستعصيين، والذين ينشرون عُدوانهم يوما بعد يوم على الأوراس، قامت المصالح الخاصة بوضع «عملية الجهاز الملغم»، والذي حضرنا وقائعها، ومضت شهور عديدة قبل أن تعلم المصالح الخاصة ورجال الفيلق: (choir 11) بالنجاح التام للعملية، وقد تم هذا نتيجة التعتيم الإعلامي المقصود الذي دعت إليه القيادات بعد استشهاد ابن بولعيد حفاظا على معنويات المجاهدين.

ويستطرد الكاتب قائلا: «وكما كان متوقعا خرج المتمردون من الغابة جنوب تامشط واستولوا على الجهاز، وأبلغوا ذلك إلى القيادة العليا للناحية حيث ابن بولعيد، وعندما قام هذا الأخير بتوصيل الجهاز ببطارية وحاول تشغيله (وحينئذ انفجر) لم يبق شيء من جثة ابن بولعيد ونائبه أشليحي لخضر واثنين من الجنود ماتوا معه[1]» وتم بذلك الانتقام للنقيب: كروتوف، وحقق الفيلق: (choir 11) واختصاصيو «سيركوت» بذلك أجمل انتصار لهم، لأن بعد موت ابن بولعيد سقط الأوراس مهد الثورة في دوّامة من الفوضى، ووجب الانتظار سنة 1958 وأكثر حتى يجد الأوراس قائدا حقيقيا وشبه وحدة[2].

لا شك أن المصادر التي استند إليها الكاتب في هذا السرد هي مصادر رسمية أو شبه رسمية بالنسبة لإدارة الاحتلال التي كانت تمده – بصفته أحد المروّجين

---

1)- مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية إنتاج جمعية أول نوفمبر، ص: 934 – 935.

2)- المرجع نفسه.

لأفكارها – بأخبار هي مزيج من معلومات بعضها حقائق توحي من خلالها لقادة الثورة بجدية السلطة الاستعمارية في القضاء على الثورة، والبعض الآخر شائعات تساهم في تضليل الرأي العام بأخبار مزيفة تساهم في ضرب الاستقرار في المنطقة واهتزاز الثقة بين المجاهدين. بعض الأخبار عند «إيف كوريير» لا تحتاج إلى قراءة متأنية أو تحليل عميق للكشف عن زيفها مثل:

1) الطريقة التي تم بواسطتها الاستيلاء على الجهاز «اللغم» فهي من وحي خيال الكاتب وتتناقض مع الرّوايات التي تعرضت للموضوع، والشائع أن رعاة عثروا على الجهاز، وقاموا بتسليمه إلى مناضل اسمه: «علي أوباشا» التحق بالثورة فيما بعد وعاش حتى شهد الاستقلال، وهذا ينفي فرضية وجود شخص عميل قام بنقل الجهاز وتسليمه لقيادة الناحية.

2) قوله «بأن ابن بولعيد فرّ من السجن ليلة 11 – 11 – 1955، ووجد الأوراس في غاية الفوضى البربرية التي تجعل من كل أجنبي عدوّا ومن ليس من القبيلة فهو كذلك عدوا[1]» فهذا الكلام لو صدر عن السيدة «جيرمان تيون» التي عاشت بين الأوراسيين 6 سنوات كاملة كباحثة حتى صارت تكنّى بالأوراسية، لكان محل نظر، لكنه صدر عن كاتب صحفي اهتم بالثورة الجزائرية وكتب عنها الكثير، غير أن مثل هذا الكلام يكشف لنا عن حساسية مفرطة اتجاه الأوراسيين خاصة من طرف كاتب كان أولى أن يلزم نفسه الحياد الإيجابي حتى يعطي لكتاباته المصداقية، ولو كان فرنسيا. حقيقة لا أحد يستطيع أن ينكر الصراع الذي احتدم بين القادة ممن عجزوا عن تغليب العقل على العاطفة، مما أدى إلى بروز عناصر قيادية كانت مغمورة أرادت الظهور برفضها الانصياع لقرارات القيادة العامة، وكانت تحت قيادتها وحدات مقاتلة مشكلة من مختلف العشائر تمارس القتال جنبا إلى جنب ضد القوات الاستعمارية... غير أن بعض الأفواج، أو بعض الفصائل انشقت بعد وفاة ابن بولعيد

1)- المرجع نفسه، ص: 932.

على أساس الولاء للقائد ثم القبيلة، ذكرنا قادتها من قبل، وهؤلاء القادة على العموم لا يمثلون نخبة المجتمع، وانتهى مصير بعضهم بالاستسلام لعدوّهم بدل الرجوع إلى الجادّة والالتزام بالنظام والانضباط.

3) يذكر الكاتب من بين ضحايا جهاز الإرسال الملغم – مصطفى بن بولعيد – واشليحي لخضر – والاسم الشائع للمعنى الحاج لخضر – وقد نسبه إلى القبيلة التي ينحدر منها، وهذا دليل على أن بعض المعلومات كان يستقيها من الشارع، وذكر من بين الأموات أيضا اثنين لم يتمكن من معرفة اسميهما، مما يدل على أن الكاتب لم يكن يتحرى دقة المعلومة وصحة الخبر، فالحاج لخضر الذي ذكره بنسبه اشليحي نسبة إلى قبيلته «أولاد أشليح»، كان حاضرا في المكان لكنه لم يمت وواصل جهاده، وكان له شرف قيادة الولاية الأولى - بالنيابة – سنتي 1958 – 1959، وعاش وشهد الاستقلال. اعتزل السياسة وتفرغ للمشاريع الخيرية إلى أو وافاه الأجل المحتوم خلال شهر فيفري 1998، ولا شك أن الكاتب كان يستقي هذه المعلومات من مصادر شفوية لا تخضع للتّمحيص أو الرقابة، وهي في الغالب شائعات مقصودة يروج لها لإشاعة البلبلة والفوضى وعدم الاستقرار في أوساط المجاهدين، أما الذين استشهدوا مع ابن بولعيد فهم:

1) محمود بن عكشة 2) علي بعزي

3) عبد الحميد عمراني 4) محمد فضيل المعروف بأحمد القبائلي.

4) لم يذكر الكاتب طوال حديثه بل وصفه لمجريات العملية المصادر التي استقى مها هذه المعلومات، كمؤرخ، وليس كصحفي – حتى يطمئن القارئ إلى صحة الخبر – فقد اكتفى خلال السرد أن سجل حضوره بقوله: «قامت المصالح الخاصة بوضع (الجهاز الملغم)والتي حضرنا وقائعها» وهذه العبارة أدخلت إلى نفوسنا الحيرة، وجعلتنا نتساءل، هل «إيف كوريير» كان صحفيّا، أم كاتبا، أم مؤرخا، أم عسكريا محترفا، أم كان يمارس مهام خاصة؟.

5) تعتبر كتب «إيف كوريير» مرجعا هاما بالنسبة للثورة الجزائرية، وتحظى بثقة الكثير من القرّاء، فقد أتيحت له الفرصة أن يقترب أكثر من الأحداث كصحفي

وككاتب وأن يعيش بعضها باعترافه هو – وقد حضرنا بعض وقائعها – الفقرة السابقة، غير أن كتاباته لا تتصف بالموضوعية المطلقة ولا تتمتع بالمصداقية الكاملة، لأنه عجز عن التجرد من العاطفة الوطنية، مثله مثل العديد من الكتاب والأدباء الفرنسيين ممن حاولوا الظهور بمظهر الاعتدال فيما يتعلق بموضوع الصّراع الجزائري الفرنسي.فقد ظل العديد من المثقفين والأدباء والصحفيين والكتاب الفرنسيين ينظرون إلى الصّراع من زاوية المنفعة، واعتقدوا عن قناعة بالتفوق العرقي للإنسان الأوروبي، ولا يتورعون في أن يظهروا الانحياز إلى قومهم صراحة إذا وجدوا أنفسهم مخيرين بين أمرين، حرية الشعوب أو السيادة المطلقة للإنسان الأوروبي، وأوضح مثال لدينا موقف الأديب «ألبير كامو»ابن الدرعان بعنابة، نال جائزة نوبل للآداب سنة 1957. أظهر مواقف متعاطفة مع القضية الجزائرية، واشتهر بذلك حتى أنه لُقب بالرجل العادل وفاء لمبادئه وأحكامه العقلية. غير أنه فاجأ الجميع عندما صرح في ندوة صحفية بـ/ «استوكهولم» حين قال: «أومن بالعدالة، لكن سأدافع عن أمي قبل العدالة» وأمه هنا هي فرنسا بالطّبع، وهذا الموقف الذي أظهره «كامو» لا يعبر بالضرورة عن موقف شريحة أخرى لا بأس بها من الفرنسيين، يقول عنهم المؤرخ «باتريك إيفينيو»والصحفي جان بلانشايس، في كتابهما حرب الجزائر، ملف وشهادات، «من منكم يتذكر «فيرنارد إيفتون» الذي أُعدم وسقط رأسه على المقصلة التي نصبت في فناء سجن بربروس بالجزائر العاصمة يوم 11 فبراير عام 1957 وقتها لم يكن وحده ممن قتل من الفرنسيين بسبب انضمامه إلى الثورة الجزائرية، لأن آخرين من أبناء وطنه قتلوا كذلك في قلب المعركة مثل: «مايو» أو لفظوا أنفاسهم تحت عمليات التعذيب مثل: «أودان» لكن «فيرنارد إيفتون» وصل إلى المقصلة بعد إجراءات قضائية عرفت ووصفت بالقانونية والعادلة[1]».

فهؤلاء كانوا واعين تماما بأن القضية ليست قضيّتهم، لكنهم اختاروا أن يموتوا من أجل قضية عادلة حتى يريحوا ضمائرهم.

---

1)- حرب الجزائر ملف وشهادات لـ/ باتريك إيفينيو وجان بلانشايس ج 2 – ص: 39.

والذي يعيننا هنا أن «إيف كوريير» استطاع أن ينقل إلينا الصّورة الدّراماتيكية التي أعدتها ونفّذتها مصالح الاستخبارات الفرنسية بصورة أقرب إلى الحقيقة جزء هام من التمثيلية حسب رواية الكاتب يتفق مع آراء المواطنين من حيث الإطار، مما يدل على صحة الرواية، وقد لا يجد القارئ الممعن في القراءة صعوبة في تحديد بعض اللّمسات التي يضفيها الكاتب على الرواية ليجذب اهتمام القارئ، ويكشف عن براعة أجهزة الاستخبارات الفرنسية في التعامل مع خصومها.

6) يقول «إيف كوريير» أن الجهاز ألقي فوق قمم تامشط يوم 15 مارس، والنقيب: كروتوف، كان قد لقي مصرعه قبل هذا التاريخ بستة أيام، أي في التاسع من مارس، فهل في غضون الأيام الستة التي تلت موت النقيب الأسطورة، كما يصفه يتم التفكير في الانتقام من قتلة النّقيب، وتُعد الخطة بعناية لاستدراج الخصم للطعم المسموم، ويعطى الأمر إلى المركز «سيركوت» المتخصص في إعداد الأجهزة المفخخة، فيعدّ الجهاز على المقاس حسب الصورة التي أعطاها «كوريير»فينقل الجهاز من فرنسا إلى الجزائر وإلى منعة بالذات، حيث تتمركز فرقة التمثيل، فتخرج فرقة عسكرية للقيام بتمثيل المسرحية على الوجه الذي أفادنا به الكاتب كوريير يجري هذا كله في خلال الستة أيام التي أعقبت موت النقيب: كروتوف. السرعة في الإعداد وفي التنفيذ تثير بعض الشكوك لدى القارئ حول فصول العملية.

7) وسائل التّضليل المرفقة بالجهاز، كالرسائل الموجّهة للجنود... وكون الجهاز صالح للاستعمال أرسل إلى وحدة عسكرية لغرض استخدامه في الاتصالات الفورية لكنه بدون بطاريات، كلها تعبر عن الخدعة، وتفيد بأن شيئا ما قد يحدث عند استعمال الجهاز، غير أن الذين عثروا عليه والذين تداولوه بالفحص والنظر والعناية والحفظ إلى أن وصل إلى ابن بولعيد، سواء كانوا قادة أم جنودا لم يكونوا في مستوى الحدث، وكانوا يعتقدون أن الحرب التي تجمعهم بعدوهم هي حرب مواقع لا غير.

تساؤلات كثيرة تظل تثير حيرة القارئ حول الموضوع ما لم تظهر في يوم ما سندات أو وثائق رسمية من الجهة المسؤولة عن فعل الاغتيال تصف مخطط العملية وظروف تنفيذها بدقة أكثر، فقد أمست بعد انتهاء الحرب مجرد حادث مثير للاهتمام يذكرنا بالصراع الذي خاضه الشعب ضد الهيمنة الاستعمارية، وأن تنفيذ السلطات الاستعمارية للعملية بتلك الصفة التي نراها نحن بشعة، كانت ترى فيها هذه السلطات عملا عسكريا مشروعا وأسلوبا من أساليب الحرب، من أجل الحفاظ على المستعمرة اللؤلؤة كوطن فرنسي منذ عهد بعيد، على حد تعبير «منديس فرانس» رئيس الحكومة الفرنسية عند اندلاع الثورة، والذي صرّح جهارا بهذا الزعم قائلا: «ألا لا ينتظرن أحد منا أن نتفاهم مع المتمردين ولا أية تسوية فالمقاطعة الجزائرية فرنسية منذ عهد بعيد» وقد تشبع بهذه القناعة كثير من الفرنسيين وحاربوا من أجلها، وامتد عدواها إلى بعض الجزائريين فوقفوا إلى جانبهم.

وفي اعتقادي أن السلطات الفرنسية التي كانت مسؤولة عن الحدث مدعوة الآن إلى الكشف عن المخطط الذي أصبح جزءا من التاريخ المشترك الذي يجمع بين البلدين، لإزالة اللبس الذي ما فتئ يظلل جوانب من مخطط العملية باعتبارها عملية عسكرية من نوع خاص لا تقوم على المواجهة المباشرة، والحرب خداع.

ومن جانبنا يجب أن نعترف بأن جنودنا لم يكونوا على درجة كافية من الوعي بمخاطر الحرب، وقادتهم في الغالب لا يختلفون عنهم كثيرا... فإذا كانت هذه العملية قد نالت اهتمام كثير من الوطنيين ونسجت حولها أساطير لا تتفق مع مجريات الحدث ذلك لأنها، أطاحت بشخصية تاريخية مرموقة، وأثيرت بسبب ذلك تساؤلات كثيرة ساهمت في الترويج لها التّهم المتبادلة بين القادة المحليين لأغراض نفعية، فإن كثيرا من القنابل الموقوتة أو التي لم تنفجر في أثناء السقوط أصابت ضحاياها إصابات قاتلة خلال الثورة أو حتى بعدها، ولازلت أتذكر إني عثرت سنة 1964 على قنبلة ألقت بها طائرة عسكرية فرنسية خلال الثورة لكنها لم تنفجر، وكانت في حجم برميل ماء متوسط في منطقة «الهارة» بالأوراس، فأوقدت أنا وزميل لي النار

من حولها وهربنا وما كدنا نبتعد عن المكان بعض مآت الأمتار حتى حدث الانفجار فتبعه دوي هائل اهتزت له الأرض من تحت أقدامنا، وقد ظلت كثير من القنابل من مخلفات الحرب وسط الجبال وخاصة في الأماكن المشبوهة أو التي جرت فيها المعارك لم تنفجر مدة طويلة بعد الثورة، ولم تجد من يعمل على إزالتها وتطهير الغابات منها...مثلها مثل الألغام بالمنطقتين الحدوديتين الشرقية والغربية.

ويجب أن نذكر بأن الحرب مع الاستعمار الفرنسي لم تكن متكافئة من جميع الجوانب، فقد أقحمت فرنسا أكثر من نصف مليون جندي في المعركة مدججة بأحدث الأسلحة، ولم يكن عدد جنودنا المقاتلين في الداخل يزيد عن الثلاثين ألف في أيّ سنة من سنوات الحرب، حسب اعتراف دوغول في مذكرته – أمل – حيث يقول: «ومع ذلك فإن الثوار منظمون في فرق نظامية، ولم يتجاوز عددهم في أي زمن 30 ألف رجل، وهم يكادون يكونون مزودين بالبنادق والقنابل اليدوية... ولم يكن لديهم مدافع ميدان أو أي دبابة أو أي طائرة[1]» فوجه المقارنة بين جيش نظامي مهيكل وفق أحدث الأساليب العسكرية ومجهز بأسلحة متطورة ومدرّب على القتال في مراكز تدريب نظامية أهّلته للقتال... تدعمه شبكة من المصالح الإدارية وأعوان عموميين وعملاء لهم القدرة على التغلغل في أوساط المواطنين، وانتزاع المعلومات منهم، بل وتكوين قناعات مغايرة لديهم تخدم الأهداف الاستعمارية، وبين جيش شعبي قليل العدد رديء التسليح والتنظيم لا يعرف قواعد الانضباط والنظام ولم يتعود على الخضوع لسلطة أخرى غير سلطة القبيلة التي ينحدر منها، وإنما دعته ظروف الحرب والهدف المشترك – تحرير الوطن – فانضوى إلى الجماعة لغرض معين، لا يتوفر على الإمكانات التي تسمح له بأن يخوض حربا شرسة ضد عدو متمرس على فنون القتال وعلى أكثر من صعيد (على الصعيد النفسي / الإعلامي / فاقتصر دوره في الغالب على المواجهة العسكرية في شكل حرب لا تخضع للتخطيط المسبق بل تقتصر على الضربات الخاطفة لأجنحة أو مؤخرات وحدات العدو أو ما عرف بحرب العصابات أو

1)- مذكرات الجنرال: دوغول – أمل – ص: 60.

الضربات الخاطفة، وهو أسلوب مؤثر على العدو بالرغم من محدودية المردود، أو في شكل عمليات استعراضية لإظهار التحدي، وقد تضطر الوحدات إلى المواجهة عندما يفرض عليها الوضع ذلك فيحصل التلاحم وتشتد المعركة، وقد يكون الحسم لصالح جنود جيش التحرير إذا تضافرت مجموعة من العوامل منها: إرادة القتال – جودة التسليح – الموقع...

فهذا النوع من القتال يؤكد دوما عدم التكافؤ بين قوة عسكرية محترفة وبين قوة شبه عسكرية... وعامل القوة الذي تتغذى منه فصائل جيش التحرير الوطني بانتظام هو الإيمان بعدالة القضية التي يدافع عنها، والأمل في حتمية النصر في النهاية رغم المحن التي كان يكابدها المقاتلون والمواطنون على السواء، فكان الصعود إلى الجبل كما كان يسمى آنذاك، ويُعني به الالتحاق بالثورة واجب، والموت من أجل الوطن شرف، فتسابق الشباب والكهول للانتساب إلى الثورة، إلى أن كادت البنية الحيوية أو عنصر الحداثة، كما تصفه «جيرمان تيون» تنقرض في بعض المناطق الريفية، وكانت القوات الاستعمارية المدعومة بمصالح إدارية وفرق متخصصة تعرف الكثير عن أسرار الثورة عن طريق عناصر اختراق مدسوسة لهذا الغرض أو عن طريق عناصر انهارت معنوياتها، فاستسلمت لعدوها أو عن طريق عناصر ذات توجهات مزدوجة تتظاهر بالولاء للثورة من أجل الحصول على المعلومات، وتمدها ببعض الأخبار عن نشاط القوات الاستعمارية، لتبعد عن نفسها شبهة الاتهام بالعمالة، ثم تقدم للمصالح الإدارية التي تتعامل معها كل المعطيات التي تحصلت عليها حول نشاط الوحدات المسلحة لجنود جيش التحرير الوطني، من حيث الروح القتالية، معنويات الجند، الطاعة والانضباط، التأطير التسليح، الإمدادات... ومن خلالها تستطيع المصالح الإدارية بحكم تخصص عناصرها أن تدرس مستوى اليقظة والوعي بالمخاطر المحدقة بالقادة والجند معا...

فكانت حرب البندقية تمثل جزءا صغيرا من حرب شاملة فرضتها دولة استعمارية ظلت تصر على حرمان شعب من حقه في استرجاع حريته المسلوبة.

ماذا بعد الصدمة؟

شكل سقوط ابن بولعيد في الأوراس ليلة 22 – 23 مارس 1956، في وقت كانت الثورة تمر بمرحلة صعبة للغاية نكسة للثورة في الأوراس وصدمة عنيفة، أثارت بعدها موجة من الانتقادات المفتعلة في معظمها لعناصر مسؤولة أغراها ماضيها المشرف، وظنت أن ذلك كافيا ليؤهلها لتحمل أعباء المسؤولية والصعود إلى القمة.

فبدل من أن تتأسّى بما حدث وأن تتألم للفاجعة وأن تتذكر وتعتبر بما جرى لابن بولعيد نفسه، عندما أعلنت السلطات الفرنسية عن أسره في تونس، وراحت تلقي بأطنان من الصور فوق الجبال والقرى تنعي للناس خبر القبض على قائد الثورة في الأوراس، فيومها كانت القيادة متماسكة والانضباط جيدا والوحدة تامة والرّوح الوطنية تتوهّج في قلوب الجميع، فأظهروا الصبر والجَلَد رغم هول الموقف، فتمالك الجميع نفوسهم، وردّدوا جميعا «الثورة انطلقت، وهي تنقاد للمبادئ ولا تخضع للأشخاص، وكل واحد منا يعتبر نفسه ابن بولعيد».

فعاد كل قائد إلى ميدان نشاطه، وقد عقد العزم على مواصلة الكفاح بنفس الحماس وبنفس الإصرار، رغم الفراغ الرهيب التي يحس به الجميع لفقدانهم القائد القدوة.

فبدل أن تشكل هذه الصدمة عامل وحدة حول قيادة ثورية موحَّدة وموحّدة للصفوف واعية بالمخاطر المحدقة بالثورة شاعرة بعظم المسؤولية الملقاة على عاتقها، ترى في التكليف عبئا ثقيلا ولا تتلهف في السعي من ورائه حتى وإن لمست في نفسها المقدرة، فالمسؤولية تكليف وليست تشريفا... غير أن بعض العناصر من قادة الثورة في أوراس – النمامشة – ما إن شعروا بشغور منصب قيادة الثورة في الأوراس بموت مصطفى بن بولعيد حتى راحوا يلتمسون كل السّبل للوصول إلى منصب القيادة ويبحثون عن كل الذرائع التي تطيح بخصومهم أو بمنافسيهم وتزيحهم من مناصبهم بكل الوسائل الممكنة، ولما لم يكن الإعلام متوفرا لديهم استغلوا الدّعاية الشفوية وبعض المناشير كوسيلة للتشهير بخصومهم والطعن في نزاهتهم ومصداقيتهم اتجاه الثورة، واعتبروا موضوع اغتيال ابن بولعيد المادة الإعلامية الهامة الأكثر رواجا في الموضوع، فهي التي تحرك العواطف الوطنية والجهوية المغرضة لدى

المجاهدين عامة والقادة خاصة... وما لبث الشتات أن اجتمع في شكل كتلتين واضحتين، احتدم بينهما الصراع وقتا غير يسير، وهما:

كتلة: عاجل عجول، نائب سياسي لشيحاني بشير القائد بالنيابة للمنطقة الأولى.

كتلة: عمر بن بولعيد عضو في القيادة بدون مهمة واضحة.وكل كتلة من الكتلتين اللتين راحتا تتنازعان السيّادة على الولاية الأولى لها أنصار ومؤيدون محليون، بالرغم من أن الهدف مشترك، وهو العمل على إجلاء الاستعمار وتحرير الأرض من الغزاة، وهذا لا يتحقق إلا بالعمل المشترك والتعاون المثمر والتضامن الفعّال.

1)- كتلة عجول ومعه عباس لغرور... تدّعي هذه الكتلة الشرعية التي منحها إياها الشهيد: ابن بولعيد عندما كان يتأهب للسفر إلى تونس، عندما شكل قيادة ثورة على رأس المنطقة الأولى تتكون من الثلاثي:

1) شيحاني بشير (اغتيل يوم 30 أكتوبر 1955).

2) عاجل عجول نائبا سياسيا.

3) عباس لغرور نائبا عسكريا.

ولم يلبث شيحاني بعد أن ألقي القبض على ابن بولعيد، أن أسند إلى نائبيه مهمة الرقابة فأوكل إلى عجول مهمة الرقابة على الناحية الغربية من الأوراس، غير أنه اقتصر على ناحية «كيمل» و«أحمر خدو»لوجود نشاز بينه وبين عمر بن بولعيد الذي انفرد بالناحية الغربية من الأوراس، وبين عائسي مسعود الذي كان يدعم عمر، وشكلا معا حاجزا يحول دون مرور عجول إلى الناحية الغربية لممارسة سلطاته في إطار المهام الموكولة إليه، كما أوكل إلى عباس مهمة الرقابة على الناحية الشرقية من كيمل إلى الحدود التونسية، وقد تعترض عباس نفس المشاكل مع بعض القادة في الناحية الشرقية بجبال النمامشة تنتهي بصدامات مسلحة... فالتزم هذان القائدان بالمهام الموكولة إليهما لكن في نطاق محدود جدّا، نظرا للمشاكل التي كانت تعترضهما.

غير أن عرى هذا الميثاق يفترض أن يكون قد انحل تلقائيا بمجرد عودة ابن بولعيد إلى قيادة الثورة على رأس المنطقة، أما الشرعية التي يدعيها عجول، فقد انتهت بصفة

رسمية عند استلام ابن بولعيد لمهامه كقائد للمنطقة في اجتماع وادي العطاف أيام 11/ 12/ 13 مارس 1956، ولما لم يعين نائبا له كما كان على عهد شيحاني يفوض إليه الأمر في حال موته، فالقيادات في المنطقة مدعوة إلى عقد اجتماع عاجل لاختيار مسؤول يواصل نهج ابن بولعيد، قد يكون عجول وقد يكون عباس، وهما في نظري أولى، نظرا لخبرتهما في التسيير واطلاعهما على أسرار الثورة في المنطقة، وقد يكون غيرهما.

2)- كتلة عمر بن بولعيد، وتتألف من معظم قادة الناحية الغربية من الأوراس بعض هؤلاء القادة تكونت لديهم حساسيات اتجاه عجول لأسباب تتعلق بالتسيير مثل: الطاهر أنويشي... ولم يكن أنصار عمر والملتفون حوله كلهم من قبيلته كما جاء في كتاب: شاهد على الثورة في الأوراس للرائد هلايلي، فكان بعضهم من قبيلته والبعض الآخر من الناقمين على عجول، ولا علاقة لهؤلاء بالإشراف والتسيير، وقد سبق أن أوردنا كلاما لعجول انتقد فيه شيحاني عندما أقدم على تعيين عمر رئيسا للجمهورية لامتصاص غضبه، وقال عجول: «بحيث أيّده الحسين برحايل، وعايسي مسعود، والطاهر أنويشي[1]» وهؤلاء القادة المحليون الثلاثة خصوم لعجول وليسوا من قبيلة عمر، وبالتالي فالعداء المستحكم بينهم لا يصح أن يصنف ضمن الصراعات القبلية، بل هو انعكاس لتصرفات عجول، قد تكون ضمن صلاحياته كمسؤول أثارت حساسية هذه العناصر ضده واعتبروها تجاوزا منه واستغلالا للنفوذ، وقد تكون غير ذلك، فالطابع القبلي للصراع على السلطة في المنطقة الثانية محصور في بعض الوحدات التي ترفض الانصياع للقيادة المركزية، واتخذت من قرارات الصومام ومن تنصل بعض القادة منها (كابن بله ومحساس) ذريعة للطعن في جبهة التحرير نفسها، وعلى القارئ أن يمعن النظر في هذه الفقرة التي جاءت في كتاب: إشكالية الثورة لـ/ محمد زروال، ومن خلالها سوف يتمكن من قياس مستوى النضج السياسي، ودرجة التعصب لدى بعض هؤلاء القادة يقول زروال: «وكان الطابع – خاتم – دائري الشكل قد وصل في هذه الأثناء من القاهرة أو من ليبيا مكتوب عليه جبهة التحرير الوطني، وتحت هذه

1)- مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية ص: 374.

العبارة كتب جيش التحرير الوطني وفي وسطه نجم وهلال، وهنا سأل مسعود بلعقون كيف تكتب الجبهة في الأعلى وتحتها جيش التحرير الوطني؟ فأجابه بشير شيحاني – هناك غلط في توزيع الأدوار، إن جبهة التحرير الوطني تبقى دائما تحت سلطة جيش التحرير»[1] فإذا كان الخاتم دائري الشكل فكيف يعرف أسفله من أعلاه؟... فابن بله ظل يعتبر نفسه الأب الروحي للثورة الجزائرية، مع أنه كان يعلم أنه لم يكن من بين أعضاء المنظمة الخاصة (22) الموصوفين بمهندسي الثورة، كما لم يكن من بين الستة مفجري الثورة...كان له شرف رئاسة المنظمة الخاصة لفترة وجيزة بصفته عسكري سابق برتبة مساعد أول، نال وسام الشرف العسكري على يد الرئيس دوغول على إثر عملية خاصة قام بها في «دير كازينو» بإيطاليا سنة 1944، بعد إبعاد آيت أحمد رئيس المنظمة المتهم بالنزوع إلى البربرية، فرّ من سجن البليدة سنة 1952، واستقر بالقاهرة... فجعل منه المصريون زعيما بلا منازع، واعتقد أنه كذلك، تكونت لديه حساسية خاصة اتجاه عبان رمضان، فقد كان يرى فيه منافسا قويا يمكن أن يحجب عنه الأضواء، فناصبه العداء اتهمه عبان بالتقصير في تموين الثورة بالسلاح، فاعتبر هذا السلوك من عبان تجاوزا بل وتطاولا، مع أنّ ابن بله لم يكن مقصرا في التموين بالسلاح، وظل كل منهما ينظر إلى الآخر من بعيد نظرة استعلاء،فلما انعقد مؤتمر الصومام، ولم يكن للوفد الخارجي حظ المشاركة فيه، وعندما علم ابن بله بالدّور الذي لعبه عبان في صياغة قرارات الصومام اعتبرها انحرافا عن مبادئ أول نوفمبر الذي لم يكن له شرف الاطلاع عليه – البيان – إلا بعد اندلاع الثورة بواسطة المنسق محمد بوضياف، فرفض مقررات الصومام وقال عنها بالصريح: «إنها خطيرة ومدمرة» فكلف محساس الذي تشبع بنفس الأفكار، والذي كان يردّد باستمرار «لو لم أكن أنا وابن بله لما كانت هناك ثورة[2]». فانتقل محساس الذي كان يعمل مساعدا لابن بله في تهريب السلاح عبر الحدود الشرقية – ليبيا – إلى القاعدة الشرقية – ناحية سوق أهراس – ثم إلى حدود الولاية الأولى،

---

1)- إشكالية القيادة في الثورة الجزائرية لـ/ محمد زروال، ص: 163.

2)- جريدة الخبر اليومية ليوم: 18 فيفري 2013.

وراح يبث أخبارا، ويدلي بأقوال وتصريحات مفادها «أن الثورة استولى عليها القبائل». فاعتقد السذج من القادة المحليين بصحة الإدعاء وراحوا يردّدون المقولة ويشنعون ببعض القادة، فاستاء عبان رمضان عضو لجنة التنسيق والتنفيذ من ذلك، فأرسل إليه العقيد: أعمران ولم يلبث محساس أن فر إلى إيطاليا ومنها إلى سويسرا حيث قضى بقية الثورة فظن بعض قادة القاعدة الشرقية والولاية الأولى أن الثورة قد انحرفت عن المبدإ حسب زعم هذين الزعيمين، فوقفوا في صف المعارضة... رغم أن المعارضة عندهم تجاوزت حدود التلميحات والتصريحات المنددة إلى المواجهة المسلحة، ولا شك أن موقف ابن بله من قرارات الصومام وإفادة ممثله علي محساس الذي اجتمع بقادة بعض الوحدات في تونس هو الذي أَجَّج نار الفتنة فيما بعد في الأوراس خاصة، فابن بله كان يؤمن إيمانا عميقا بأنه الشخص المؤهل لتزعم الثورة، وقد صرح بذلك محمد بوضياف حين قال: «إن بله كان يسعى لكي يعتبر نفسه القائد الأعلى للثورة» وقد أيّده في ذلك المؤرخ محفوظ بنون الذي قال بدوره بأن اختيار المصريين وقع على ابن بله لضعف شخصيته وسهولة التأثير عليه لتحقيق أهدافهم، فاعتقد ابن بله أنه وبعد صدور قرارات مؤتمر الصومام أن الثورة قد فصلت نهائيا في مسألة الزعامة والصراع على السلطة بفضل اختيار مبدإ القيادة الجماعية، عملا بالمبادئ الواردة في بيان أول نوفمبر 1954... فراح يطعن في هذه القرارات ويفتعل أسبابا ويؤوّل مقررات الصومام ويحملها مالا تحتمل، فتبعه في هذا الرأي بعض القادة المحليين لوجود قواسم مشتركة في توافق أمزجتهم وأهوائهم وهي اللهفة إلى الرئاسة... فبصمات عبان في مجال التنظير والتنظيم لا يمكن إخفاؤها، وصياغته لبيان أفريل 1955 الموجه للشعب الجزائري أكبر شاهد وأوضح دليل.

شخصية عمر

الجميع يعرف أن عمر لا يمتلك من مواصفات القائد ما يؤهله ليتزعم الثورة في منطقة مصنفة في دوائر الاستعمار – آنذاك – في خانة - خطر! – ومكانته من أخيه أحاطته بهالة من الاحترام المصطنع من قبل القادة والجنود معا، غير أنه لم يكن يفهم الأمر كذلك وظن أن لهذا الاحترام أسبابًا وخلفيات تتعلق بشخصيته هو، فتخطى

كثيرا من الحواجز من أجل الوصول إلى القيادة، بعد أن اطمأن تماما بأن مصطفى لن يعود إلى الثورة فتحجّج بمكانته من أخيه واعتبر الخلافة «كسروية» واعتقد أن مطالبه شرعية، فسلك من أجل الوصول إليها كلّ السبل.

لا نستطيع أن نقيس مدى تأثر عمر بسقوط أخيه الزعيم: مصطفى بن بولعيد الذي جعل من المنطقة شيئا مذكورا، حين أنهى عقدة الصّف وفكرة القبلية ومفهوم العصبة والانتماء وداء الأنانية وأنا الأعلى، والنظرة الضيّقة للمجتمعات المحلية التي تقوم على مبدإ سخيف مفاده «من ليس منا فهو عدونا»، وأبدل كل ذلك بوحدة المجتمع، ورصّ الصفوف، وتكوين أسس متينة لأمة متكاملة واحدة بزرع بذور الثقة في النفوس والمحبة في القلوب بين عناصر تجمعها العقيدة المشتركة والوطن الواحد.

عندما علم عمر بأن الإجماع على مبايعته كرئيس أو قائد للثورة مكان أخيه لن يتحقق حتى بعد شغور منصب القائد باستشهاد: مصطفى أخيه، راح يطرق أبوابا أخرى علّها توصله إلى ما كان يطمح إليه، فقام حسب سعيد سعدي في كتابه: عميروش، حياة موتتان، وصية في ربيع (أفريل ماي) 1956 على رأس وفد هام يتألف أساسا من أتباعه (تأتي أسماؤهم في تقرير عميروش فيما بعد) بزيارة إلى الولاية الثالثة (القبائل) التقى فيها ببعض المسؤولين من بينهم: كريم بلقاسم وعميروش لم ينبس بكلمة واحدة عن استشهاد أخيه بل جاء خصيصا ليوهم الآخرين بأنه تحصل على تزكية من كريم لخلافة شقيقه مصطفى[1] فانطلت الحيلة على كريم فسلم عمر دعوة لقائد الولاية لحضور المؤتمر المرتقب في العشرين أوت المقبل، كما سلمه الشارات الخاصة برتبة عقيد على أن يسلمها لأخيه، كان هذا قبل انعقاد المؤتمر وبعد استشهاد مصطفى بن بولعيد، فعاد عمر من الولاية الثالثة متوّجا بشارات عقيد ليضلل بها القادة المحليين على أنه تحصل على تزكية من قادة المنطقة الثالثة – الولاية الثالثة – فاعتبروا ذلك تدخّلا في الشؤون الداخلية ومحاولة لبسط السيطرة والنفوذ على منطقة لها نظامها وخصوصياتها وطابعها المميّز، وتكونت لدى هؤلاء القادة حساسية خاصة اتجاه عناصر من الولاية الثالثة في تونس، مثل: أمحمدي السعيد، وعمر

---

1)- عميروش حياة موتتان وصية للدكتور: سعيد سعدي، ص: 98.

أوعمران وعبان رمضان... فزاد هذا من تمزيق وحدة الصف، فتأزمت الأوضاع محليا من جديد بانشقاق وحدات وفصائل ترفض الانصياع لأوامر القيادة، فتكونت ثلاث اتجاهات أو كتل بعد أن كانت اثنتين تجمعها الوطنية وتفرقها الأهواء، فراحت كل كتلة تدعي الشرعية وتعمل على محاولة احتواء الكتل الأخرى، فامتد هذا الشرخ بسرعة من القادة إلى الجنود، وتكونت لدى كل طرف قناعة تامة بانحراف الطرف الآخر عن الخط الثوري، فاستباح قتاله لا لشيء سوى أن قادتهم (الجنود) يتهمونهم بالعمالة والتعاون مع الاستعمار وتهم أخرى لا ترقى في كل الأحوال إلى درجة اليقين.

انفصال المنطقة السّادسة – تبسّة – تزيد الوضع تأزما

وقد أيقظ هذا الصراع روح الانفصال لدى قادة المنطقة السادسة، عندما شعروا بضعف القيادة المركزية وتضعضع مكانتها فافتعلوا بدورهم أسبابا واهية حين زعموا أن التمثيل لم يكن عادلا، وأن توزيع مناصب المسؤولية استحوذ عليه الأوراسيون، مع أنهم لا يجهلون بأن لا أحد منهم شارك في التحضير لعمليات أول نوفمبر، وأن تبسة كانت منطقة شاغرة اعتبرها الأوراسيون مجالا حيويا داخل نطاقهم الجغرافي، ولم تدخل المعركة إلا بعد أن عبّر جيشها المرابط في الجبل الأبيض عن الرغبة في الانضمام إلى الثورة بتاريخ 15 مارس 1955، فأرسلت قيادة المنطقة سرايا للناحية، وممثلا للثورة هناك «بشير ورتان» المعروف باسم سيدي حني... غير أن قيادة الناحية، وانطلاقا من هذه النظرة الضيقة اعتبرت بسط الأوراس لسلطتها على المنطقة هيمنة، فقامت بطرد ممثل الثورة في الناحية «سيدي حني»، كما قام القائد: أشريط الأزهر الذي ذاع صيته بفضل شجاعته، وأصبح موضوع حديث الناس في الناحية، وانتشى بتلك الأغاني الشعبية التي كان يترنم بها الريفيون (الأزهر أشريط... أولبياسا تخيط) «لبياسا» سلاح رشاش. قام بدعوة الوردي قتال المعين من قبل قيادة الثورة على ناحية سوق أهراس التي كانت تموج بالاضطرابات منذ استشهاد قائدها باجي مختار في 18 نوفمبر 1954، إلى العودة إلى ناحية تبسة بعد أن اعترض على قيادة عجول للمنطقة الأولى، «فأخذ الوردي وجنوده أحسن الأسلحة التي كانت عند مجاهدي تلك الناحية، والتحقوا بصفة جماعية بالشريط الأزهر الذي كان متمركزا بالجبل الأبيض، ثم قاموا بمحاصرة عباس لغرور في جبال النمامشة،

وقد هبّ عجول لنجدته بما يقرب من 150 جنديا وبعد معركة دامت يومين كاملين حسب العقيد: الزبيري تمكن عجول من فك الحصار عن لغرور[1]» وقد تناول الرائد: هلايلي الموضوع بنظرة تختلف كثيرا عن نظرتي العقيدين: عمارة بوقلازة والطاهر الزبيري اللذين اعتمدنا على روايتيهما في سياقنا السابق، فهو يقول: «كما أصابت العدوى القائد الكبير أشريط الأزهر الذي تجرأ ذات يوم على استدعاء كل القيادات – دون ذكر للأسماء – المنتمية لجهة الجبل الأبيض بالنمامشة والتي كانت القيادة العامة في الأوراس قد عينتهم كقادة في مناطق أخرى – دون تعيين – لقد دعاهم لحضور اجتماع هام في الجبل الأبيض مؤكدا عليهم الحضور بأسلحة متطورة التي تسحب من مرؤوسيهم بحجة القيام بعملية نوعية ضد العدو... وحضروا إلى الاجتماع الذي أشرف عليه شخصيا في الجبل الأبيض، كانت نتيجة ذلك الاجتماع الخروج عن سلطة لغرور... بحجة استنكارهم لتصرفات التيجاني عثماني المنتمي إلى «خنشلة» الوفي لعجول[2]».وعندي أن ما جاء به العقيدان أقرب إلى الصواب.

تحديات أشريط الأزهر تجاوزت جرأة لغرور لتصطدم بالعقيد «بيجار»، فقد أرسل – حسب زروال في إشكالية القيادة – إلى قائد الحامية العسكرية في مدينة الشريعة يطلب منه أن يلقاه في مواجهة في مطلع جوان حدّد له فيها التاريخ والمكان الذي تجرى فيه المواجهة، وقد أرسل قائد الحامية هذا الإشعار إلى العقيد: «بيجار» الذي صرح في مدينة سوق أهراس بأنه تلقى هذا الإشعار، وقال: «إننا ذاهبون إلى جبال «النمامشة» منبت الثورة، فإذا تمكنا من القضاء على التمرد في جبال النمامشة، فإننا سنقضي عليه في الأوراس، وإذا قضينا عليه في الأوراس فإننا سنقضي عليه في الجزائر كلها»، فخاض «بيجار» معركة ضارية في «أرقو» بتاريخ 16 جوان 1956 أصيب على إثرها برصاصة أخطأت قلبه بسنتمتر واحد نقل على إثرها بواسطة طائرة عسكرية إلى تبسة ومنها إلى قسنطينة، ففرنسا[3]. فمن كان هذا شأنه فمن الصعب ترييضه.

---

1)- آخر قادة الأوراس التاريخيين العقيد الطاهر الزبيري، ص: 151.

2)- شاهد على الثورة في الأوراس الرائد هلايلي، ص: 237.

3)- إشكالية القيادة لـ/ محمد زروال، ص: 177.

هذه الانتصارات بل هذه التحديات هي التي أوحت للقائد: أشريط الأزهر بفكرة التمرد المعلن منذ شهر جويلية 1956 ضد سلطة عجول ظنّا منه أنه القوة التي لا تقهر، وقد تمكن دون تنسيق واضح مع «عمر» من تضييق الخناق على عجول الذي ظل يتزعم الشرعية الممنوحة له من قبل ابن بولعيد قبل سفره إلى تونس، ولن يستطيع عجول الصمود طويلا بعد أن كُسرت جناحاه وتمت محاصرته من قبل خصمين عنيدين يُصران على عدم الاعتراف به كقائد للثورة في الأوراس – النمامشة – وبالرغم من أنهما لن يكونا من حيث الكفاءة في التسيير الممزوجة بشيء من الحدّة في الطبع التي تميز أسلوبه في التسيير في مستواه، غير أنهما اختارا منطق القوة والعنف بدل الحوار الهادئ لافتقارهما إلى الحجة والبرهان فيم يدّعيانه.

وهكذا تزداد الأوضاع تردّيا لينحصر الدور القيادي لعجول في ناحية: كيمل والقسمات المحيطة بها، وأصبح مهددا في حياته في كل مكان يحلّ به خارج هذا الحيز الجغرافي فالجنود النمامشة يتوعدونه (عجول لو يقع بين أيدينا سنقتله) حديث لجنود النمامشة أمام العقيد الزبيري[1] وعائشي مسعود القريب جدّا من مركز عجول، أعطى أمرا لجنوده بمقاتلة عجول بدون هوادة – حسب تقرير عميروش[2]. هذه الوضعية المأساوية لن تجعل منه عنصرا قياديا محترما وقائدا مطاعا في الأوراس، بعد أن اهتزت الثقة بين الجميع ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأٓتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾[3]. ولا شك أن الأوضاع المؤسفة التي انتهت إليها الثورة في الأوراس هي التي حملت لجنة التنسيق والتنفيذ كأعلى هيئة في الثورة إلى إيفاد مبعوثين إلى الأوراس في محاولة منها لتقييم الوضع، وإعادة ترتيب بيت القيادة والحد من الصّراع على الزعامة الذي احتدم بين عدة عناصر بعد سقوط الشهيد: مصطفى بن بولعيد.

---

1)- آخر قادة الأوراس التاريخيين العقيد الطاهر الزبيري، ص: 155.

2)- شهداء الأوراس – الكتاب الرابع – ص: 644.

3)- بعض آية من سورة السجدة الآية: 13.

الفصل الثامن

مبعوثا لجنة التنسيق والتنفيذ إلى الأوراس العقيد: زيروت يوسف والرائد: إبراهيم مزهودي

أثار غياب مصطفى بن بولعيد عن حضور مؤتمر الصومام موجة من التساؤلات بين أعضاء المؤتمر، فأرجع بعضهم هذا الغياب إلى صعوبات التنقل وبعد المسافة وعمليات التمشيط التي كانت تعوق حركة المجاهدين، غير أن هذا لم يدم طويلا «فما إن مضت أيام عن انطلاق المؤتمر حتى بدأ خبر استشهاد ابن بولعيد ينتشر بين المشاركين – حسب الدكتور سعيد سعدي – وبمجرد أن تأكد النبأ أحس مسؤولوا جبهة التحرير الوطني بالإحباط ودبت في نفوسهم الحيرة لأنهم يعرفون قيمة الرجل والخسارة التي يمثلها رحيله للوطن والصعوبات التي سيجدونها لتعويضه[1]».

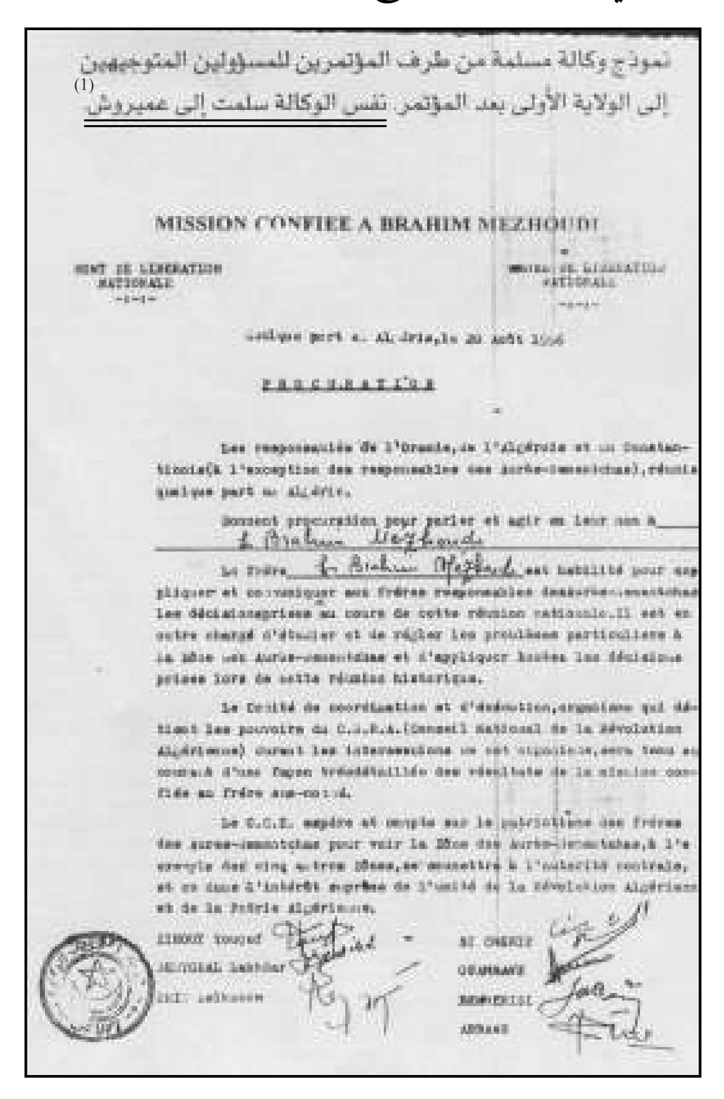
أنهى المؤتمر أشغاله بهذه الفاجعة الأليمة التي ألمت بالثورة، إلا أنها لن تحول دون استمراريتها، ومما يؤكد أن الخبر لم يصل إلى المؤتمرين إلّا بعد أيام من الشروع في أشغال المؤتمر ظهور اسم ابن بولعيد على رأس قائمة أعضاء المجلس الوطني للثورة، وهذا يدل على أن أشغال المؤتمر تكون قد قطعت شوطا وأن بعض اللوائح قد تمت المصادقة عليها، وقد أدرج اسم ابن بولعيد في القائمة بالرغم من غيابه، وظل كذلك إلى حين التأكد من استشهاده... وعندما تأكدت لجنة التنسيق والتنفيذ، المكتب التنفيذي للمجلس الوطني للثورة من استشهاده ومن تدهور الأوضاع في الولاية الرائدة بعده، نتيجة تهافت عناصر محلية على قيادة الثورة في الأوراس، ولما لم يكن الحسم ممكنا، نظرا لوجود حساسيات مختلفة بين عدة أقطاب، ولما كان الموقف صعبا بل وخطيرا، يستدعي كثيرا من الرزانة والهدوء وضبط النفس والإسراع في معالجة

1)- عميروش حياة موتتان وصية للدكتور سعيد سعدي، ص: 97.

الأزمة قبل أن تأخذ أبعادا أخرى، سارعت لجنة التنسيق والتنفيذ التي تمثل السلطة العليا للثورة، إلى إيفاد لجنة مصغرة تتكون من شخصيتين.

1) العقيد زيروت يوسف: شخصية تاريخية، عضو في المنظمة الخاصة وفي جماعة (22) قائد للولاية الثانية التاريخية... سبق له أن عاش وسط المجتمع الأوراسي وعرف طباعه.

2) الرائد إبراهيم مزهودي: من حركة الإصلاحيين – لجمعية العلماء – وينتمي إلى منطقة النمامشة التي بدأت بدورها تموج بالاضطرابات.



نموذج وكالة مسلمة من طرف المؤتمرين للمسؤولين المتوجهين إلى الولاية الأولى بعد المؤتمر نفس الوكالة سلمت إلى عميروش[1]

MISSION CONFIEE A BRAHIM MEZHOUDI

[illegible]NT DE LIBERATION NATIONALE
-:-:-

[illegible] DE LIBERATION NATIONALE
-:-:-

Quelque part en Algérie, le 20 Août 1956

PROCURATION

Les responsables de l'Oranie, de l'Algérois et du Constantinois (à l'exception des responsables des Aurès-Nememchas), réunis quelque part en Algérie,

Donnent procuration pour parler et agir en leur nom à
Si Brahim Mezhoudi

Le frère Si Brahim Mezhoudi est habilité pour expliquer et communiquer aux frères responsables des Aurès-Nememchas les décisions prises au cours de cette réunion nationale. Il est en outre chargé d'étudier et de régler les problèmes particuliers à la zône des Aurès-Nememchas et d'appliquer toutes les décisions prises lors de cette réunion historique.

Le Comité de coordination et d'exécution, organisme qui détient les pouvoirs du C.N.R.A. (Conseil National de la Révolution Algérienne) durant les intersessions [illegible] [illegible] des résultats de la mission confiée au frère sus-cité.

Le C.C.E. espère et compte sur le patriotisme des frères des Aurès-Nememchas pour voir la zône des Aurès-Nememchas, à l'exemple des cinq autres zônes, se soumettre à l'autorité centrale, et ce dans l'intérêt suprême de l'unité de la Révolution Algérienne et de la Patrie Algérienne.

ZIROUT Youcef — SI CHERIF
BENTOBAL Lakhdar — OUAMRANE
KRIM Belkacem — BEN M'HIDI
ABBANE

1)- **عن مذكرات اللواء**: حسين بن معلم الجزء الأول، ص: 281.

وتشاء الأقدار أن يسقط زيروت يوسف شهيدا في 23 سبتمبر وهو يتأهب للسفر إلى الأوراس، حيث قضى فترة من حياته النضالية، أما الرائد: إبراهيم مزهودي، فقد مرّ عبر تراب الولاية ودخل إلى تونس واستقر بها، ويُفهم من موقفه هذا أنه لا يحظى بثقة العناصر التي هي محل الخلافات، وبالتالي فلن يكون وسيطا مقبولا ومجديا.

ونظرا لحساسية المسألة وللخطورة، التي سوف تترتب عنها هذه الخلافات ولأهمية المنطقة التي أنهكتها الصّراعات الهامشية، أوفدت لجنة التنسيق والتنفيذ الرائد: عميروش مسؤول منطقة القبائل الصغرى المحاذية للمنطقة الأولى – الولاية الأولى مكلّفا بمهمة – وقد أبدى: الرائد عميروش استعداده الكامل لتنفيذ المهمة رغم الصعوبات التي كان يتوقعها... وقد أشار الرائد هلايلي في كتابه شاهد على الثورة في الأوراس إلى ذلك بقوله: «من المعلوم أنه بعد مؤتمر الصومام مباشرة تم تعيين الشهيد: زيروت يوسف لدخول الأوراس، وقد هلّل الأوراسيون لتعيينه، فانتظروا قدومه بشوق لما كانوا يعرفونه عليه من جدّية ومصداقية وقدرة على الإقناع لما كان يعيش بينهم قبل الثورة... فهو الذي يعرف جيدا عاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم وأسلوب حياتهم، وتفكيرهم، غير أن القدر حرمهم من شرف استقبال زيروت الثائر[1]».

الرائد: هلايلي لم يحدد بالضبط الجهة التي عينت زيروت فأسندها إلى مؤتمر الصومام[2] لكنه أشار إلى خصال يتوفر عليها العقيد زيروت الذي عاش فترة بين الأوراسيين، وخبِر – حسبه – عاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم، وزعم أن الأوراسيين هلّلوا وكبّروا لمقدمه مع أنهم لا يعلمون من ذلك شيئا في ظل انعدام وسائل الإعلام والاتصال وبعد المسافة، لكن هلايلي كان قد أشار إلى الدور الذي لعبه عبان رمضان في تأزيم الوضع في الأوراس بإصدار أحكام قاسية ضد عبان، وقد انفرد بهذه الأحكام دون سواه ممّن تناولوا الموضوع حيث يذكر بأن عبان رمضان السياسي – كلف – ضباطا سامين من منطقة القبائل بمهمات لفرض السيطرة على زملائهم

1)- شاهد على الثورة في الأوراس للرائد هلايلي، ص: 275 – 276.

2)- يبدو أن الأمر كذلك حسب الوثيقة– وكالة – التي سلمت للرائد: إبراهيم مزهودي والتي تحمل تاريخ 20 أوت 1956. تاريخ انعقاد المؤتمر في إيفري بالقبائل الصغرى.

الثوريين في الأوراس وداخل تونس وتنفيذ حكم الإعدام في بعضهم وتحويل جثامينهم الطاهرة إلى أسمدة لتخصيب أرض تونس[1].

ويستطرد صاحب كتاب شاهد على الثورة في الأوراس، فيقول: «بأن المهمة الأولى التي أسندها عبان إلى عميروش في داخل الأوراس، وهي مهمة محدودة الأهداف والغايات كانت إحداث الشغور في قيادة الأوراس التاريخية، وتصفية القائدين الشرعيين عاجل عجول وعباس لغرور نائبي الشهيدين مصطفى بن بولعيد وشيحاني بشير، ووضع الولاية الأولى تحت وصاية قائد الولاية الثالثة حصريا العقيد: أمحمدي السعيد[2]». ففي هذا الحديث كثير من الغلو والتحامل أيضا على عناصر معيّنة، فالنوايا أفعال باطنية لا يحق لأي كان أن يتخذ منها أحكامًا جزافية ضد أشخاص معينين ما لم ترفق بشهادات وبيانات واضحة ملموسة لا تحتمل اللبس أو الغموض،سيما فيما يتعلق بالإعدامات وبالتصفيات الجسدية وأن ينسب ذلك إلى أطراف معينة ما لم تتوفر لديه الأدلة الكافية فالرائد: عميروش موفد من قبل لجنة التنسيق والتنفيذ بعد أن انفض المؤتمر في إطار مهمة محددة وهي محاولة تسوية الخلافات الناشئة عن الإفراط في حب الزعامة لدى المسؤولين في الأوراس، وقد حاول تقريب وجهات النظر بين المسؤولين المحليين فاصطدم بعناد بعضهم ولم يتمكن من إتمام مهمته ولم يأت أبدا لإحداث الشغور في قيادة الولاية.


عبان رمضان عضو لجنة التنسيق والتنفيذ

1)- شاهد على الثورة في الأوراس للرائد هلايلي، ص: 274.

2)- نفس المرجع.

ليس دفاعا عن عبان لكنها الحقيقة

كان عبان أحد الأعضاء الفاعلين في مؤتمر الصومام، بحكم ما يحمله من مؤهلات سياسية وثقافية لا يتوفر عليها معظم المشاركين في المؤتمر، وكان يعرف عن نفسه ذلك، وهذا الشعور منه يجعله يحاول دوما إملاء إرادته على الآخرين وفرض أفكاره بالحجة والبرهان، ويجب أن لا ننكر بأنه – أي عبان – كان وراء صياغة بيان أفريل 1955 الشهير، ومما جاء في هذا البيان: «أيها الشعب الجزائري، بعد أن حققت نجاحات كثيرة، لا ينبغي أن يخفى عليك بأن المهمة الباقية مهمة جبارة، لأجل ذلك، فإن جيش التحرير الوطني يدعوك لتساعده وتمدّ له يد المعونة في جميع الميادين... إن النصر مرهون بما يقدمه كل الجزائريين من مساهمة إلى جانب قواتنا المحاربة والعازمة على مواصلة المعركة إلى أن تنتصر القضية الجزائرية[1]».

وقد استغل عبان كل الإمكانات المتوفرة لديه لسحب المنشور وتوزيعه على أكبر عدد ممكن من المواطنين، وفي نفس الوقت ضاعف من اتصالاته بالشخصيات الجزائرية مركزا على قادة التشكيلات السياسية ولم يطعن يومها أحد فيما كان يقوم به عبان لأن فكرة الزعامة لم تتبلور في عقول من راحوا ينتقدون عبان بعد المؤتمر.

إن الذي ترأس المؤتمر هو الشهيد العربي بن مهيدي الشخصية التاريخية اللامعة المعروف برزانته وهدوئه، واللجنة المنبثقة عن المؤتمر المشكلة من ثلاثة سياسيين وهم: عبان رمضان وابن يوسف بن خدة وسعد دحلب وعسكريين اثنين وهما: كريم بلقاسم والعربي بن مهيدي، اختارت التسيير الجماعي، فكانت قراراتها تتخذ بالإجماع خلال فترة تواجد اللجنة داخل الوطن، وقرار إيفاد لجنة إلى الأوراس قرار اتخذته لجنة التنسيق، ولم ينفرد به عبان وحده، وكان هدف اللّجنة واضحا، وهو: محاولة إحداث نوع من التقارب في الرؤى وفي وجهات النظر بين المسؤولين المحليين في الأوراس، وليس لغرض إحداث شغور في القيادة التاريخية، كما يقول الرائد هلايلي بتصفية القائدين عجول ولغرور فليس لدى الرائد هلايلي دليل يؤكّد به هذا الزّعم، فشغور منصب القائد، كان قد حصل تلقائيا بوفاة الشهيد مصطفى بن بولعيد الذي لم يعين بعد استلامه للقيادة نائبا أو نوابا له، والشرعية التي استمدها

1)- الثورة الجزائرية في عامها الأول للدكتور محمد العربي الزبيري، ص: 133 – 134.

عجول ولغرور من وصية ابن بولعيد لدى تأهبه لمغادرة الجزائر في اتجاه تونس كنائبين لشيحاني سقطت باستلامه للقيادة بعد فراره من السجن، وإذا كان هناك من حق لعجول ولغرور في المطالبة بتولي القيادة بحكم عضويتهما في قيادة الأركان، فمن حق عزوي مدور وبوستة مصطفى اللذين لزما الصّمت أو الحياد حفاظا على وحدة الصف أن يدعيا حق الإشراف كذلك مع أني أقر بأهلية عجول لحنكته السياسية وجرأته وأحقية لغرور لشجاعته وبسالته، غير أن صفة الشرعية لا تتوفر إلا بحكم امتداد التفويض أو التسيير.

والزّعم بأن عبان منسق للجنة التنسيق والتنفيذ باطل، فهو لم يكن رئيسا أو منسقا للجنة، لأن اللجنة تبنت فكرة التسيير الجماعي إقتداءا بسنة مفجري الثورة الذين كان لهم الخيار بين نظام التسيير الجماعي أو تعيين شخصية سياسية، فاختاروا التسيير الجماعي «وظلت الثورة رهينة حركة ثورية ليس لها رأس معلوم[1]» على حد تعبير باتريك إيفينيو... أما القول بأن عبان أراد أن يضع الولاية الأولى تحت وصاية قائد الولاية الثالثة، أمحمدي السعيد، فهو مجرد وهم واعتقاد ظل يؤرق بعض القادة المحليين إلى أن تحول إلى حقيقة، عندما راحوا يتوافدون على هذه الولاية بنية الاستشارة أو التنسيق أو طلب الدّعم، أو التزكية، فوجدوا في الأخير أنفسهم تحت الوصاية فلجنة التنسيق والتنفيذ أرادت أن تعيد ترتيب بيت القيادة في الأوراس بعد شغور منصب القائد باستشهاد ابن بولعيد ليؤدي الأوراس دوره الريادي في مسار الأحداث، وقرار تعيين الرائد: عميروش قرار لجنة التنسيق وليس قرار شخص عبان.فقد جاء في مذكرات اللواء: حسين بن معلم – كاتب عميروش – ومرافقه إلى الأوراس قوله: «توجه عميروش إلى الأوراس رفقة مهدي عبد الحميد حارسه الخاص معزّزا بتكليف بمهمة من قبل المؤتمر، وليس من طرف أي مسؤول، رافقته بصفتي كاتبه الشخصي...[2]».فلو اجتمعت كلمة مفجري الثورة في الأوراس وتعاملوا بحزم مع الأحداث التي هزت المنطقة بعنف وألقت بها في الحضيض بضمائرهم لا بعواطفهم وبعقولهم لا بأهوائهم، لما وجد عبان ولا أمحمدي السعيد، ولا عميروش، ولا غيرهم منفذا للتغلغل وسط مجتمع ظل متماسكا متلاحما على عهد ابن بولعيد...

---

1)- حرب الجزائر ملف وشهادات لباتريك إيفينيو وجان نلانشابين، الجزء 2 ص: 338.

2)- مذكرات اللواء حسين بن معلم الجزء الأول، الصفحة: 77.



الرائد: عميروش مبعوث لجنة التنسيق إلى الأوراس بمعية حارسه
الشخصي عبد الحميد مهدي سبتمبر / أكتوبر 1956

فكان الرائد: هلايلي، كلّما ذكر عبان أضاف له كلمة السياسي استنقاصا من شأنه، وكأن المسؤول السياسي كان عالة على الثورة، ولم يقم بأي مجهود في التوعية وفي التّجنيد والتعبئة والإعداد للثورة... وهو يعلم تماما أن السياسي مسلح بدوره ومقاتل مثل العسكري، وقد دعت الحاجة للفصل بين المهام من حيث الشكل، فوصف هذا بالعسكري، وحددت مهامه، ووصف ذاك بالسياسي وحدّدت مهامه كذلك، ولم يكن السياسي في أي وقت من الأوقات ممن ينشطون داخل الوطن مقيما في مركب أو فندق وكان قادة الثورة ممن أكرهوا على النضال من خارج الوطن مسلحين كذلك، بما في ذلك العناصر التي أسندت إليها مهمة التفاوض مع الوفد الفرنسي خلال مرحلة المفاوضات العسيرة... يقول رضا مالك عضو الوفد الجزائري في مفاوضات «إيفيان» «كان علينا أن نبقي أسلحتنا في غرفة تغيير الملابس ما لم تصل المفاوضات إلى الحل النهائي الذي يرضي الطرفين[1]» والسؤال الذي لا يحتاج إلى إجابة هو هل جميع العسكريين في الداخل كانوا يستعملون أسلحتهم في القتال؟ فالمشهود لهم دوما بالشجاعة والبطولة والإقدام قليلون في كل العصور، وعندما تنتهي الحرب تنقلب الموازين – أسد علينا وفي الحروب نعامة – كما يقول المثل... صاحب كتاب شاهد على الثورة في الأوراس، ظل يلاحق عبان خارج الوطن، حين اتهمه مع بورقيبة بالسيطرة على المنطقة الحدودية التي تصل الولاية الأولى، أوراس النمامشة، بالحدود التونسية لمنع تسرب جنود الولاية الأولى من وإلى تونس، وعبور الأسلحة للمجاهدين في الأوراس، بسبب تضامنهم مع اليوسفيين «أتباع صالح بن يوسف»... فهذا جزء يسير من حقيقة لا مناص من ذكرها ولا مبرر لإخفائها أو التغاضي عنها، غير أن هذا لا يمنعنا من أن نعترف بأن مساندة اليوسفيين من قبل مقاتلي المنطقة الأولى من أجل استمرار الثورة في تونس لغرض التخفيف عن الثورة في الأوراس أو في الجزائر بصفة عامة بتشتيت القوات الاستعمارية لا تخدم القضية الجزائرية آنذاك... فقرار بورقيبة شأن داخلي، والتّسليم الذي يعاب عليه بإلقائه للسّلاح وقبوله بما عرف عندنا آنذاك – بالاستقلال الداخلي – مقابل شلّ حركة القوات الفرنسية في تونس، واحتفاظها بقاعدة «بنزرت» وحدها، هو الذي سمح لها – الثورة – بفتح معابر للأسلحة عبر الحدود الليبية وهو الذي سمح كذلك

1)- حرب الجزائر ملف وشهادات لباتريك ايفينيو وجان بلانشايس الجزء الثاني، ص: 307.

باستقرار أزيد من عشرين ألف جندي جزائري في الأراضي التونسية، وهو الذي مكّن لجنة التنسيق والتنفيذ من إيجاد أرضية للإقامة بتونس بعد القاهرة، وهو الذي ساعد على إقامة مدارس عسكرية لتدريب المجاهدين على الأراضي التونسية، وهو الذي حمل القوات الفرنسية على شن غارة انتقامية فضيعة على ساقية سيدي يوسف في الثامن من فيفري سنة 1958 مخلفة 72 قتيلا و87 جريحا من الجزائريين والتونسيين اختلطت دماؤهم فوق أرض تونس الشقيقة... كل هذا، رغم المضايقات التي كانت تتعرض لها تونس من مقاتلينا ولاجئينا أيضا فوق الأراضي التونسية.

والمؤكد أن عبان كان يدرك تماما أن ضعف الولاية الأولى ينعكس سلبا على الولايات الأخرى، ومن مصلحته كمسؤول أن يعمل على دعم هذه الولاية الرائدة للتخفيف عن الولايات الأخرى.

ومن الخبل قبول مثل هذه الترهات المفسدات للعقل والمسيئة للعلاقات الأخوية بين المجاهدين في الولايتين التاريخيتين المتميزتين، فنحن نحترم توجه المجاهد: هلايلي لكننا لا نعتقد به، فشخصية عبان يعرفها العام والخاص... ومسألة الأثرة أو مركب العظمة التي جعلته يشعر أنه الشخص المؤهل لقيادة الثورة حقيقة لا غبار عليها، فهو يعتقد ذلك، لأنه كان يدلي بأفكار ونظريات لا تتوفر عند غيره، وقد دفعه هذا إلى الاستخفاف حتى ببعض العناصر المقربة منه وكانوا قادة عنه مثل: كريم، بالرغم من حسن العلاقة التي تربط بينهما، يقول عنه المؤرخ «باتريك إيفينيو» «كان الوافد الجديد إلى جبهة التحرير الوطني من طراز عال حيث كان من حملة شهادة الباكالوريا وأحد الوجوه المثقفة بالتنظيم... وقد أعطى نفسا جديدا للجبهة على المستوى السياسي والتنظيمي بفضل مهاراته في مجال النضال والتنظيم الميداني[1]».

«وأثناء انعقاد مؤتمر الصومام الذي تم في شهر أوت 1956، قام عبان رمضان بدور هام جدّا وكرّس كل تلك النظريات التي كان يؤمن بها، حيث استطاع أن يكون من بين الركائز التي تعتمد عليها جبهة التحرير الوطني... كما أنه كرس أسبقية الداخل على الخارج وكذا الارتقاء بمنطقة الجزائر العاصمة إلى منطقة مستقلة[2]».

---

1)- حرب الجزائر ملف وشهادات لباتريك ايفينيو وجان بلانشايس الجزء الثاني، ص: 343 – 344.

2)- المرجع نفسه، الجزء الأول، ص: 345.

مبعوث لجنة التنسيق والتنفيذ الرائد: عميروش إلى الأوراس

فبعد أن علمت لجنة التنسيق والتنفيذ باستشهاد العقيد: زيروت يوسف في 23 سبتمبر 1956، وهو يتأهب للسفر إلى الأوراس، قامت بتعيين الرائد: عميروش المسؤول عن منطقة القبائل الصغرى المحاذية لحدود الولاية الأولى، ليتولى تبليغ قرارات الصومام وتقييم الوضع العام في الأوراس، ولمحاولة تقريب وجهات النظر بين الإخوة الفرقاء بالنظر إلى المسألة من زاوية العقل والمنطق وتغليب المصلحة العليا للثورة على المصالح الشخصية.

يبدو أن الرائد عميروش لم يكن يحمل معه أي مخطط جاهز معد للتطبيق، فكان دوره عند قدومه دور وسيط حيادي من منطلق مسؤول كونه موفدا من قبل لجنة التنسيق والتنفيذ كأعلى هيئة، وقراراته ملزمة من الناحية الأدبية لأنها صادرة عن ممثل سلطة شرعية (ل. ت. ت).



صورة تذكارية لجنود من الولايتين الأولى
والثالثة سبتمبر 1956

لم يتردد عميروش في تنفيذ المهمة التي أسندت إليه، فتجهز للسفر إلى الأوراس بمعية كل من: 1) حسين بن معلم، كاتبه الخاص. 2) عبد الحميد مهدي حارسه

الشخصي، ثم لحق بهم شخص ثالث اسمه الشيخ: أعمر بن ثابت[1] (الرابع في الترتيب) – الصورة – وبتاريخ 1 سبتمبر 1956، حسب التقرير الموجه للجنة التنسيق والتنفيذ، غادر الرائد: عميروش قطاع أقبو بالقبائل الصغرى متوجها إلى الأوراس لتنفيذ المهمة التي كلف بها من قبل: ل. ت. ت، «غير أني أشك في صحة هذا التاريخ الذي ورد ذكره في كثير من المراجع أذكر منها ما جاء في مذكرات اللواء حسين بن معلم الذي كان له شرف تحرير المحضر الموجه لـ/ ل. ت. ت. يقول اللواء بن معلم: «سقط زيروت يوسف... في نواحي سيدي مزغيش غرب سكيكدة في أثناء اشتباك مع دورية للجيش الفرنسي.. ». لم يكن في الأخير سوى عميروش... جاهزا لتنفيذ قرار لجنة التنسيق والتنفيذ، كان ذلك في أوائل سبتمبر في عام 1956 برفقة رجلين هما: حسب سعيد سعدي حسين بن معلم كاتبه، وعبد الحميد حارسه الشخصي»[2].

فإذا كان العقيد زيروت يوسف المفوض من قبل أعضاء المؤتمر للنظر في مسألة الصراع على السلطة في الأوراس قد استشهد في 23 سبتمبر 1956 وقد تم تعيين الرائد: عميروش بعده للقيام بنفس المهمة، فلا يستقيم أن يكون تاريخ انتقاله إلى الأوراس في الواحد سبتمبر قبل موت زيروت، والمرجح أن يكون تاريخ دخوله إلى الأوراس في الأول من أكتوبر، غير أن هذا الخلل في التواريخ لا يمنعنا من أن نتناول ما جاء في وصف التطورات التي حدثت في المنطقة، وهي انعكاس لما جاء في التقرير، وتشخيص للوضع العام الذي تمر به الثورة في الأوراس، ومع أن بعض النفوس المشحونة بالتطرف والمعجبة بالذات من قادتنا لم تكن راضية بالرائد:3 عميروش كوسيط لأنه في نظرها:

1) لم يكن من مفجري الثورة التحريرية (مجموعة الستة).

2) لم يكن من مهندسي الثورة (مجموعة 22)، وبالتالي فإن وساطته في نظرهم لن تكون مجدية، وقد عبّر عن ذلك كل مسؤول أو كاتب بلغته الخاصة.فمما جاء في كتاب شاهد على الثورة في الأوراس، قول الكاتب: «لم يكن الأوراسيون مرتاحون لتكليف عميروش، ليس إنقاصا من قيمته، ولكنه لا يرقى لتاريخ ومنزلة مفجري

---

1)- مذكرات اللواء: بن معلم ص: 77.

2)- عميروش حياة موتتان ص: 101.

الثورة في الأوراس، وقادته الأوّلين أخلاقيا ونظاميا، فلا يمكنه مراقبة قادة سبقوه للنضال والقيادة، لقد اعتبروا ذلك إنقاصا من قيمتهم التاريخية[1]».

وهذه النرجسية إسقاط لما جاء في كتاب ابن بولعيد والثورة الجزائرية في استجواب أجرته جمعية أول نوفمبر مع عاجل عجول، حيث يقول: «نقدر ما قام به مؤتمر الصومام... لكن القيادة التي انبثقت عنه ارتكبت غلطة في إرسالها عميروش إلى الأوراس للاعتبارات التالية:

1)- ليس عضوا في المنظمة الخاصة.

2)- لم يشارك في جمع السلاح وفي توزيعه قبل الثورة ليكون له وزن تاريخي.

3)- ليس من جماعة أول نوفمبر التحق بالثورة بعد شهور من قيامها.

4)- ليس لديه سابق معرفة بالأوراس.

5)- مستواه السياسي وحتى اللغوي دون مستوى مجاهدي الأوراس[2]».

فهذا بيت القصيد، فالشعور بالعظمة وروح التعالي والتنكر للآخرين والنظرة الفوقية، وأنا الأعلى والأول والآخر، والظاهر والباطن، هي السبب في إحداث هذا الشرخ العميق بين قادتنا وكبرائنا، فَلِمَ نعتبر الأقدمية في النضال مقياسا تقاس به الأعمال وتوزن بها الكفاءات؟.

... فالأسبقية إلى النضال فضيلة لكنها لا تقاس بجوة التنظيم والتنظير والكفاءة في التسيير والتصدي لمخططات العدو – فلكل أجل كتاب، ولكل زمان رجال – وهذه الصفات لا يتحلى بها معظم هؤلاء القادة، ولنا في التاريخ الإسلامي أمثلة، وأمثلة، فخالد بن الوليد تأخر إسلامه إلى ما بعد غزوة أحد التي كان أحد فرسانها، فلما أسلم وحسن إسلامه تولى قيادة الصحابة والتابعين في حروب الردة وفي غزوات ضد الروم وسجل وقائع وانتصارات باسم الإسلام، ولم يمنعه تأخره عن دخول الإسلام من قيادة من كانوا قد أسلموا قبله ومن هزموا أمامه في غزوة أحد وهو

---

1)- شاهد على الثورة في الأوراس للرائد هلايلي، ص: 271.

2)- ابن بولعيد والثورة الجزائرية جمعية أول نوفمبر في استجواب لعجول ص: 403 – 404.

يقاتل في صف المشركين فالشعور بالعظمة هي التي أوصلت الكيل 16 (سطاش) وهناك عشرات الأمثلة.

إننا لا نستطيع أن نؤثر على معنويات أعدائنا لأننا نملك رصيدا نضاليا ضخما لكننا نستطيع أن نجبرهم على الإصغاء إلينا، بل والفرار أمامنا إذا أظهرنا تفوقنا التكتيكي في ميدان العمليات، وفي الإعلام وفي الدعاية، وهذه النظرة (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين)[1] هي التي دحرجت الأوراس من القمة إلى الحضيض، وبالرغم من هذا الشعور الوهمي الذي عبّر عنه صاحب كتاب: شاهد على الثورة في الأوراس، فقادة الأوراس قد أظهروا أمام الرائد: عميروش قدرا كبيرا من الانضباط والمطاوعة في أثناء تواجده بمنطقة الأوراس التي امتدت حسب التقرير مدة شهرين كاملين يؤكد ذلك اللواء حسين بن معلم في مذكراته أثنى خلالها على المسؤولين في الأوراس، حيث يقول: «وعلى العكس مما يكون قد قيل أو كتب عن جهل أو عن سوء نية لم تحصل في أية لحظة من اللحظات كراهية أو خلاف بين عميروش ومسؤولي الأوراس الذين رافقوه، وساعدوه طيلة المهمة التي كلف بها، لم أسمع أبدا أي مسؤول مهما كانت رتبته يبدي ملاحظة محرجة أو يرفع صوته بحضرة عميروش»[2].

... التقى الرائد عميروش حسب التقرير الذي أعدّه في قرية (لقصر) بالمعاضيد بوفد هام قدم من الأوراس يرأسه عمر بن بولعيد ويضم مجموعة من القادة المحليين جميعهم من الناحية الغربية للأوراس، قدّموا أنفسهم حسب التقرير على أنهم مندوبو الأوراس عُينوا من أجل المشاركة في المؤتمر (مؤتمر الصومام) وهؤلاء القادة هم:

1) الحاج لخضر
2) الطاهر أنويشي
3) أحمد أنواورة
4) أحمد عزوي
5) عبد الحفيظ طورش
6) مصطفى رعايلي
7) عرعار محمد (بوعزة)
8) علي مشيش

---

1)- بعض آية من سورة: ص — الآية: 76.

2)- مذكرات اللواء: حسين بن معلم الجزء الأول ص: 90 – 91.

ويضيف الرائد عميروش أنه التقى بقرية (لقصر) أيضا المدعو: جبالي، المبعوث من قبل عاجل عجول، ومعه خاتم ورسالة ورزمة مناشير، أما البريد الذي كان قد حمله معه فقد تم حجزه من قبل «عمر بن بولعيد» في أثناء عبوره لجبل «أوستيلي» غربي الأوراس، ويقول عميروش: وعندما طلبته من هذا الأخير – عمر – أجابني أنه موجود في الأوراس، كما صرح لي «جبالي»أيضا أنه كان مصحوبا بالمدعو «بلعقون مسعود» الذي استدعي للاجتماع لكن عمر أوقفه وسجنه بناحية عين التوتة[1].

ولا شك أن الرائد: عميروش يكون قد تمكن من تحديد قطبي الصراع من خلال الوفدين الموفدين إلى المؤتمر الذي كان قد انفض منذ مدة، غير أن الصورة المفزعة التي تعكس واقع الثورة في عمق الأوراس لن تكون واضحة لديه إلا إذا حاور أعضاء هذين الوفدين واستمع إليهما بإمعان حتى يتمكن من سبر أغوار هؤلاء القادة من خلال التناقضات التي سوف يجدها في التصريحات التي تصدر عنهم، فكان أول اجتماع عقده على انفراد مع عمر بن بولعيد في 3 سبتمبر 1956 حسب ما جاء في تقرير عميروش، حيث أطلعه – عميروش – على محضر لجنة التنسيق والتنفيذ، فطلب مني عمر أن أقرأه على المسؤولين، يقول الرائد: عميروش، ويضيف، وفي هذا الاجتماع أخبرني عن موت أخيه إثر حادثة القنبلة، ويواصل عميروش، وفي اليوم الرابع وعلى الساعة التاسعة صباحا عقدت اجتماعا نصف ساعة قرأت على كل المسؤولين المحضر أي محضر لجنة التنسيق والتنفيذ، فاستحسن الجميع على حدّ قول عميروش التنظيم الجديد: وفي هذا اللقاء كشف له عمر بأن المسؤولين أمضوا له تفويضا كتابيا لكي يكون قائدا لهم، وطلب من عميروش الإذن لكي يرسله إلى الجزائر، فرفض عميروش... وفي قرية «تالبعة» - حسب مضمون التقرير دائما – قام باستجواب أعضاء الوفد المرافق لعمر كل على انفراد حول الخلافات التي تهدّد كيان الثورة في الأوراس، وقد أوضح له كل مسؤول على انفراد حقيقة ما يجري حسب فهمه وحسب ولائه وقناعته. وقد تبين للرائد: عميروش بعد سلسلة من الاستجوابات أجراها مع أعضاء الوفد أن معظم عناصر الوفد لم يوقّعوا على الوثيقة بنية التفويض

---

1)- شهداء الأوراس – الكتاب الرابع – تقرير الرائد عميروش، ص: 1 – 2.

لعمر، لكن ذلك كان من أجل المشاركة في الوفد بالذهاب إلى القبائل باستثناء مصطفى أرعايلي الذي عبّر بالصريح عن تأييده لسياسة عمر... ومن خلال هذا الاجتماع يقول الرائد: عميروش في تقريره للجنة اكتشف أن عمر بن بولعيد، قد كتب رسائل تهديد بختم ولاية القبائل وبأسماء كريم بلقاسم وأوعمران وعميروش (ولم يشر في التقرير إلى الجهة التي بعث لها برسائل التهديد ولا إلى الكيفية التي تحصل بها على ختم ولاية القبائل، كما يصفها) ويضيف، وهناك رسالة مبعوثة من طرف الأستاذ علي معلم الناطق باسم السيّد: باي مدير عام السياسة الجزائرية موجهة إلى مصطفى بن بولعيد والتي ورد فيها ما يلي: «إن له أن يختار بكل حرية يوم المفاوضات الفرنكو – جزائرية (*)» ورسالة أخرى موجهة إلى ابن بلة أحمد من القبائل يطلبه فيها أن يرسل إليه تقريرا عن كل ما قام به من نشاط... وقد كانت هذه الرسائل – حسب التقرير – مختومة بختم القبائل حسب تصريح أدلى به الكاتب الخاص لسي عمر بن بولعيد «دباش عبد الرحمان»... وقد أنكر ابن بولعيد أنه كتب رسالة إلى الأستاذ: علي معلم: محامي بباتنة، وبعد ربع ساعة من ذلك تراجع وأكّد ذلك أمام أشخاص رأوه. (من تقرير الرائد عميروش).

ولا شك أن الرائد: عميروش يكون قد صدم، وتأكد من عمق المأساة التي آلت إليها الثورة في أوراس الكرامة، غير أن المطاوعة وحسن الإصغاء التي وجدها عند

(*)– وهذه من مكايد الجنرال بارلنج غاستون الذي تم تعيينه على رأس القيادة الموحدة للعمليات العسكرية والمدنية في الأوراس وقد تم اختياره بسبب ما حاز عليه من أوسمة وشهرة في المغرب الأقصى، وقد وقع تعيينه على رأس هذه القيادة بتاريخ 29 أفريل 1955، ووضع تحت تصرفه أكثر – الفيالق أوسمة من الجيش الفرنسي... أراد بارلانج أن يوجه سهامه المسمومة إلى قلب الثورة في الأوراس بعد أن فشلت الحملات العسكرية في القضاء عليها في المهد بالتكرم بالاستقلال الداخلي على المنطقة الأولى – أوراس – النمامشة.

... وبسبب انعدام وجود قيادة موحدة تستطيع أن تتحمل المسؤولية الخطيرة في اتخاذ مثل هذا القرار الخطير فقد قُبرت تلك الفكرة لدى عرضها مباشرة، وكان الذين أرادوا أن يشاركوا في تنفيذها هم: الحاج تبان عضو المجلس الجزائري قبل الثورة عمر بن بولعيد ومحمود الواعيو، الذي كان وجها من وجوه قومه والذي كان يعرف شخصا ذا مكانة اجتماعية مرموقة في مدينة باتنة اسمه (معلم) الذي كان متزوّجا بإحدى الفرنسيات، وعندما تعيّن بارلانج قائدا عاما لمنطقة الأوراس فإن هذه الأخيرة أصبحت موظفة في بعض مكاتبه عندئذ ظهرت فكرة إعطاء الاستقلال الداخلي للأوراس – النمامشة، على أن يكون عمر بن بولعيد هو المسؤول الأول عن تنفيذ هذه الفكرة (1)...

– (1) إشكالية القيادة في الثورة الجزائرية لـ/ محمد زروال، ص: 141.

المستجوبين في البداية كانت تشجعه على مواصلة التحريات في محاولة منه للبحث عن أصل المشكل الذي هو الصراع على السلطة، مما أدّى إلى تضعضع مركز السلطة وضعف قوتها.

وكان من السهل على الرائد: عميروش أن يكتشف زيف بعض التصريحات التي كان يدلي بها قادة كانوا من ضمن المستجوبين، ومن التاريخيين الذين يكن لهم الناس أجمعين التبجيل والاحترام ومن هؤلاء القادة:

أ) الطاهر أنويشي الذي أعطى لعميروش تشكيلة مزيّفة لقادة الثورة مع اندلاع العمل المسلح، وهذه التشكيلة تتكون حسبه من:

1) مصطفى بن بولعيد.2) شيحاني بشير.3) عاجل عجول.4) عباس لغرور.5) الطاهر أنويشي (غمراس). وهذه التشكيلة لم ترد في أية وثيقة أو في أي محضر، ولم يصرح بها أي مجاهد، والمؤكد أن نويشي يعد من التاريخيين، لكنه لم يكن ضمن التشكيلة الأولى لقادة الثورة، فقد عين مسؤولا لناحية «بوعريف» مع بداية الثورة، فأظهر نوعا من الامتعاض، وعدم الرضا بالمنصب فقاطع الاجتماعات الدّورية للقيادة، فاتصل به ابن بولعيد بمعية عزوي مدور في آخر جولة استطلاعية له قبل سفره إلى تونس، اتخذ عجول ضده إجراءات ردعية في إطار اختصاصه كقائد حين أقصاه، فأثار هذا حفيظة ونقمة أنويشي ضد عجول، يقول عجول في استجواب أجرته معه جمعية أول نوفمبر بباتنة «قمنا بعزل الطاهر أنويشي يوم كان مصطفى بن بولعيد في السّجن لتقاعسه عن العمل رغم أنه كان يعتبر من الثمانية في اجتماع «لقرين» الذي سبق اندلاع الثورة[1]»، وبسبب هذا الإقصاء تكونت لديه حساسية اتجاه عجول شخصيا، فلما حانت الفرصة بقدوم عميروش إلى الأوراس تقرب منه وأوغر صدره غيظا وحنقا من عجول – حسب بعض المصادر – ومنها رواية عجول نفسه.

ب) عمر بن بولعيد، وقد سبق أن أشرنا إلى الزّيارة التي قام بها إلى الولاية الثالثة (أفريل – ماي) 1956 عقب وفاة أخيه مصطفى، وعاد منها بوسام عقيد ودعوة لحضور المؤتمر على أن يسلمهما لأخيه مصطفى الذي لم يصرح بوفاته، عاد من

---

1)- مصطفى بن بوالعيد والثورة الجزائرية/ جمعية أول نوفمبر بباتنة، ص: 402.

الولاية الثالثة، وقد تقلد رتبة عقيد ليوهم القادة المحليين بحصوله على تزكية وترقية من قيادة الثورة كمسؤول على المنطقة الأولى – الولاية الأولى – بعد الصومام وقد تكررت المناورة مرة أخرى عندما عاد إلى الولاية الثالثة صحبة وفد هام وردت أسماء أعضائه في تقرير الرائد عميروش بدعوى المشاركة في المؤتمر، فالتقى بعميروش وهو يتأهب للسفر إلى الأوراس، فأخبره بوفاة أخيه حسب تقرير عميروش – المرجع وبحصوله على تزكية من القادة المرافقين ليترأس الولاية الأولى.وعندما أمعن عميروش النظر في الموضوع من خلال سلسلة من الاستجوابات مع أعضاء الوفد تبين له زيف الإدّعاء. ومن خلال التحقيقات المتواصلة حسب ما جاء في تقرير عميروش للجنة: ت. ت اكتشف مسائل أخرى في غاية الخطورة... تبادل مراسلات مع أطراف مشبوهة (المحامي: علي معلم) بباتنة التوقيع واستعمال خاتم «القبائل» – حسب منطوق التقرير – بانتحال الصّفة، سجنه لـ/ مسعود بلعقون الذي أوفده عجول صحبة «جبالي» للمشاركة في المؤتمر ومصادرته للبريد الذي كان يحمله معه، ويعد بلعقون من رواد الحركة الوطنية الأوائل في الأوراس.

فهذه التصرفات وحدها كفيلة بأن تضعف موقف هؤلاء القادة رغم ماضيهم التاريخي، فراحوا يحنون رؤوسهم أمام قادة مثلهم أو دونهم التزموا بالنهج الوطني وبالخط الثوري ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمًا ثَقِيلًا﴾[1] وهي التي جعلت قادة آخرين يشيرون إليهم بالبنان من خارج الحدود فيلبون الدعوة طائعين... فإذا تمكنوا من الإفلات من بين أيديهم عادوا إلى مواقعهم ليسوموا كلّ من يحمل شعارهم أو قناعتهم سوء العذاب.

فهذه هي الحقيقة وقد تجسدت في أكثر من مكان... إن من يحمل صفة قائد تاريخي في نظرنا يجب أن يكون مثالا في النزاهة والإخلاص نموذجا في الصدق والوفاء ﴿فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾[2].

---

1)- سورة الإنسان الآية: 27.

2)- بعض آية من سورة العنكبوت – الآية: 10.

واصل الرائد عميروش رحلته في اتجاه قلب الأوراس محوطا بكوكبة من القادة المحليين هدفهم واحد وقلوبهم شتى، وذلك قصد الاتصال بشخصيات أخرى تعتبر محورية في الصّراع الدائر على السلطة، لكنها لم تكن ضمن الوفد وهم على التوالي:

1) عاجل عجول الذي استخلفه ابن بولعيد كنائب سياسي لشيحاني عند سفره إلى تونس.

2) عباس لغرور استخلفه ابن بولعيد كنائب عسكري لشيحاني عند سفره كذلك ولم يلبث شيحاني بعد القبض على ابن بولعيد في تونس أن كلفهما بمهمة الرقابة.

3) عائسي مسعود، كان مكلفا بالخزينة، انشق عن طاعة القيادة قبل مؤتمر الصومام، وعندما انعقد المؤتمر انضم إلى المعارضين لقراراته.

هذه الشخصيات الثلاثة كانت لها مواقفها وآراؤها وأفكارها من مسألة الصراع ويعتبر عجول قطب الرحى في الصّراع الدائر على السلطة في المنطقة وذلك بسبب:

أ) تمسكه بالشرعية التي يعتبرها امتدادا لميثاق ابن بولعيد.

ب) استحواذه علي جميع الوثائق والوسائل ومستلزمات العمل الإداري.

ج) تجربته وخبرته واطلاعه على كثير من أسرار الثورة في المنطقة.

د) منهجه المعتدل وتسليمه بقرارات الصومام التي وقع عليها إجماع المشاركين.

وقد ظل عميروش طوال هذه الرحلة الشاقة التي استغرقت ما يقرب من شهرين يستمع إلى أحاديث أعضاء الوفد، سواء كان ذلك خلال مقابلات على انفراد أو خلال جلسات عامة، ولعل عميروش – حسب أقوال عدد من الرواة – يكون قد اقتنع بأن تصلب عجول أصل الصراع وتأثر ببعض الأقوال، وهذه القناعة قد تحمله على اتخاذ مواقف مسبقة اتجاهه قبل الاستماع إليه بإمعان.

عميروش في سفوح شلية

ففي الثامن والعشرين من شهر سبتمبر 1956 وصل عميروش إلى «شلية» القلعة الشامخة في قلب الأوراس – حسب تقريره المقدم إلى: ل. ت. ت دائما – وهناك صدم، حيث وجد ما يقارب من 150 جنديا شاردا لا يخضعون للنظام ولا يتميزون

بأدنى قدر من الانضباط العسكري الذي يميز الجنود النظاميين، وهؤلاء جميعا كانوا قد فروا من جيش مسعود عايسي الذي يميز بينهم وبين الجنود الذين ينحدرون من قبيلته حسب تصريحاتهم لعميروش، وقد أعطاهم أمرا بمقاتلة جيش عجول، كما أعطى أمرا لمراكز التموين بعدم تموينهم، ويقول الرائد عميروش أن بعض المسؤولين عن اللّجان الشعبية في دواري شلية ويابوس يشتكون من هؤلاء الجنود ويزعمون أنهم يرتكبون أعمالا هي أفضع من تلك التي يرتكبها جنود الاحتلال وذكروا في تقريرهم أن هؤلاء الجنود يقومون بتفتيش النساء بحجة البحث عن السجائر (قد يكون ذلك خلال فترة منع التدخين).

هذه الوضعية المأساوية المفزعة والمسيئة إلى مكارم الأخلاق وإلى شرف جهاد هؤلاء الجنود تكون قد أعطت لعميروش صورة واضحة عن عمق المأساة وعن مستوى التفكك الذي وصلت إليه بعض الوحدات التي لم تعد تخضع للنظام العام، إلا أنه وحسب تقريره دائما أعاد تنظيم هؤلاء الجنود في تشكيلات جديدة وأسند إليهم مهام يتولونها، غير أنه لم يشر في تقريره إلى المسؤولين الذين كلفوا بتأطير هؤلاء الجنود، كما لم يشر إلى مناطق نشاطهم المسلح – حسب التنظيمات السائدة آنذاك – قسمات، نواحي، مناطق...

وفي قرية سيدي علي، وبتاريخ 1 أكتوبر 1956 اتصلت بعائسي مسعود – يقول عميروش – وفي اليوم الموالي، وبعد وصول اللجنة – ويعني باللجنة هنا إطارات الثورة، تم عقد اجتماع بحضور ابن بولعيد عمر، عائسي مسعود، الطاهر أنويشي، الحاج لخضر، محمد الشريف بن عكشة، حسين عبد السلام، محمد بن المسعود بلقاسمي، مصطفى بوستة، علي، مشيش، محمد بوعزة (عرعار)، عمار معاش، علي النمر... وذلك لغرض:

❖ دراسة التقارير المقدمة من قبل سكان الدوارين يابوس وشيلية، يقول الرائد عميروش «وقمنا بمواجهة عائسي مسعود وعمار أمعاش، ودرسنا كل تقارير الجنود التي قدمت من طرفهم ضد عائسي مسعود» ويضيف «وقد تأكدنا من أن هذا الأخير (عائسي) عاجز عن القيادة، بل وصرح بأنه يجهل كل ما وقع بالنّاحية».

❖ دراسة حالة السجناء الذين أوقع بهم عائسي مسعود.

❖ دراسة حالة: محمد بن مسعود قاسمي (بلقاسمي) مسؤول ناحية أمشونش الذي أمر عائسي بإحضاره مقيدا.

ولم يشر عميروش في تقريره الموجز إلى اللجنة عن أسباب غياب عجول عن الاجتماع الذي انعقد قريبا من مركز قيادته، وعن غياب لغرور عن هذا الاجتماع كذلك، سيّما وأنهما كانا يمثلان السّلطة الفعلية، بالرغم من تضعضع نفوذهما، وهما مطالبان بتقديم تقارير أدبية ومالية عن القطاعات التي ما زالت تخضع لسلطتهما.

وقد أسفر هذا الاجتماع حسب تقرير عميروش عن:

❖ توقيف عائسي مسعود عن كل مسؤولية وتعيين علي مشيش كمسؤول عسكري، وعلي النمر كمسؤول سياسي، وقد سلمت لهما كل التقارير للتحري.

❖ تحرير كل المساجين الذين أوقفهم عائسي مسعود.

❖ إصدار أمر لعائسي مسعود بتسليم المالية والخاتم والأسلحة التي تم حجزها، فامتثل وسلّم لنا ما طلبناه منه.

يوحي مضمون هذا التقرير الموجز بجدية الرائد: عميروش في وضع حدّ للأزمة التي يبدو أنها على وشك الحل، وأن الأوضاع المتدهورة قد تستقيم في حالة تخلي هؤلاء القادة عن نزعة التمرد والتطاول والإنية التي أوصلتهم إلى حافة الانهيار ﴿وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾[1] ويستطرد الرائد: عميروش في سرد الأحداث التي عاشها في الأوراس في إطار المهمة التي كلف بها، ليضيف أنه «في مساء ذلك اليوم – اليوم الموالي لـ 1 أكتوبر حسب التقرير – التقيت بعجول بنواحي سيدي علي، وكان يُحضر تقريره ليقدمه في اجتماع 20 أكتوبر 1956 – فكان هذا أول لقاء يجمعهما – يصف اللواء حسين بن معلم في مذكراته هذا اللقاء فيقول: «كان اللقاء مع عجول وديّا، بل أخويا بذل فيه كل مدخرات كرمه، وأبدى التعاون التام، وصل به الأمر إلى حدّ قبول التخلي عن قيادة منطقته ومرافقة عميروش إلى النمامشة،

1)- سورة الشورى الآية: 15.

وإلى تونس أيضا، بَلَّغ التوصيات لمحمد بوعزة الذي استخلفه بمساعدة الصالح قوجيل ثم مضينا نحو النمامشة»[1] – يقول عميروش: وطلبت منه من أجل مصلحة البلاد أن يترك مسؤولية كيمل ويرافقني إلى تونس وقَبِل بذلك» فهذا الموقف المرن من عجول الذي أبدى استعداده للتخلي عن المسؤولية التي كان قد تحمّلها منذ اندلاع الثورة، موقف حكيم، ويفترض أن يزيل بعض الانطباعات السيئة التي تكون قد تشكلت عند الرائد: عميروش، ولا شك أن عجولاً القائد أراد أن ينسحب بشرف بعد أن اهتزت أركان المنطقة بكاملها نتيجة حساسيات وحسابات ضيقة تسيء إلى أصحابها أكثر مما ترفع من شأنهم، ومن مصلحته أن يفعل ذلك، فقد أصبح محاصرا من عدة أطراف ومن قبل عناصر صعبة المراس صلبة الشكيمة تعمل على إملاء إرادتها بالقوة، لأنها لا تدرك خطورة الوضع، وترى أن المصلحة العليا للثورة فيما تراه هي وحدها... فهو إذا حين قبل بمقترح عميروش بالتخلي عن مسؤولية كيمل القطاع الوحيد الذي ما فتئ يخضع لسلطته، والسفر برفقته إلى تونس يكون قد وافق الحل الذي يخالج فكر عميروش، غير أن لعجول الذي قبل مبدئيا بالتخلي عن السلطة عناصر تحظى بثقته فقد يؤيدونه فيما ذهب إليه، وقد يحثونه على البقاء في السّلطة مهما تكن التحديات... ويضيف عميروش في الفقرات التالية من التقرير: «ففي 3 أكتوبر 1956 عقدنا اجتماعا آخر بسيدي علي – اسم مكان – بحضور كل أعضاء اللجنة، وشرحت لهم أن عجولا وافق عن التخلي عن مسؤوليته وأنه مستعد لمرافقتنا من غير أي مواجهة مع الآخرين ويعني بالمواجهة منا المقابلة، وفي هذا الاجتماع رفض عمر بن بولعيد أن يرافقنا لوجود عجول معنا، فقررنا أن يسلك عمر طريقا ونسلك نحن طريقا أخرى لنلتقي بالنمامشة» (من تقرير عميروش).

وقبل مغادرة الرائد: عميروش للمنطقة متوجها إلى تونس عن طريق النّمامشة التي كانت تموج بالاضطرابات بدورها، جمع معظم جنود ناحية شلية ليقدم لهم المسؤولين الجدد، غير أن أغلب هؤلاء الجنود رفضوا تعيين علي مشيش كمسؤول عسكري لأنه من نفس القبيلة التي ينحدر منها عائسي مسعود، ولإنهاء المشكلة قام

1)- مذكرات حسين بن معلم الجزء الأول ص: 84.

بتعيين علي النمر كمسؤول عسكري، ويوسف اليعلاوي كمسؤول سياسي بصفة مؤقتة، وقد قبل الجميع بهذين المسؤولين، كما قام عميروش بتعيين عرعار محمد المدعو بوعزة كمسؤول مؤقت عن ناحية كيمل بمعية مسؤول آخر يتولى عجول اختياره، وأعطى الأمر حسبه لجميع الجنود الفارين للالتحاق بوحداتهم، وهكذا يكون قد انهى جزءا هاما من الصرّاع الذي احتدم بين المسؤولين في المنطقة الثانية خاصة في حالة ثبات هؤلاء المسؤولين على المبدإ والتزام المقصيين منهم بالانضباط والنظام والتخلي عن الأحقاد والضغائن التي زعزعت الثقة بين الجميع.

قرر عميروش بعدها السفر إلى ناحية النمامشة بصحبة عجول، يصف عميروش هذه الرحلة فيقول: «في المساء توجهنا إلى جبل عالي الناس للاتصال بأفواج النمامشة التي وصلناها يوم 11 أكتوبر 1956 واكتشفنا أنه يستحيل علينا أن نصطحب عجولا معنا فأعطيناه أمرا بالرّجوع، يُعلق سعيد سعدي في كتابه عميروش حياة موتتان، وصية – على هذه الرحلة فيقول: واصل عميروش تقدمه نحو النمامشة، وفي المكان المسمى علي نعاس – ويريد به عالي الناس – وجدنا – على لسان عميروش - مناخا جد متعفن بين المجاهدين، وبعد ثلاث ساعات من المناقشات التي كانت تنقلب بسرعة إلى تبادل للتشائم، طلب عميروش من كل طرف أن يشرح مطالبه بشكل دقيق... هذه المجموعة رفضت أن تقود الوفد المكلف من طرف لجنة التنسيق والتنفيذ، واشترطت رهائن قبل الحديث عن إجراءات الصّلح مع خصومهم حسبما ذكره له بوزغوب[1]» ويضيف عميروش بالإضافة إلى ما ذكر فيقول: «أعطيناه – عجول – أمرا بالرجوع إلى قطاعه وسلمناه رخصة مرور للالتحاق بالقبائل في أقرب وقت، وفي المساء اتصلنا بمجموعة محاربين يرأسهم سي العربي وناسي الذي كان تحت مسؤولية عبد الرحمان عمران من: تامزة على أن يربط لنا اتصالا بأفواج النمامشة، فوجدنا أنه يستحيل التقدم نحو النمامشة لأنه بلغنا أنه سيكون هناك تمشيط، فعدلنا الطريق نحو تامزة مرفوقين بهذا الفوج، لكن هذا الأخير (الفوج) تخلى عنا في عزّ الليل وسط مسلك قريب من مركز عسكري – للعدو – ثم منعونا من متابعتهم وإلا أطلقوا النار علينا، فأرغمتنا الأحداث على الرجوع إلى جبل: شليا الذي وصلناه يوم 17

1)- عميروش حياة موتتان وصية للدكتور سعيد سعدي، ص: 106.

أكتوبر 1956... وبما أن الاجتماع كان مقررا يوم 20 – 10 – 1956، فقد استدعينا عجولا لحضوره لأنه لم يذهب بعد إلى القبائل كما اتفقنا معه من قبل»

ويضيف إلى ما سبق قائلا: «في 20 – 10 – 1956 بعد الظهر وصل عجول مع فوجه الذي نصبه بالغابة وواجهنا برشاش 24 - 29 قبالة الغرفة التي كنا بها، فتأكد لنا أنه لم يعد على نفس السلوك السابق، وصرّح للطاهر أنويشي أنه لن يغادر قطاعه – كيمل – وإذا حاول أحد التدخل في شؤونه فسيقضي عليه، ومن خلال المناقشات التي دارت مع الحاج لخضر والطاهر أنويشي تكشف لنا أن عجولا كان يتربص بنا، وصرّح أنه إذا كان محمد بوعزة مستمرا في العمل (التعيين) كما أعلمنا فإنه سيقضي عليه، في المساء الموالي وعلي الساعة 7 وصل عجول مع جنوده لقضاء الليل معنا وترك فوجه متمركزا بالغابة قبالة ملجئنا» من تقرير عميروش.

ومما يلاحظ هنا ضعف الانسجام بين المواقف العدائية المفترضة، والأقوال التي كانت تصدر عن عجول المدعومة بالاستعداد بالمواجهة المسلحة بنصبه لرشاش 29/24 اتجاه ملجأ القيادة – حسب تقرير عميروش – ثم انتقاله في المساء لقضاء الليلة وسط الجماعة.

يقول سعيد سعدي الذي اعتمد في كتابه على مصدرين هامين استند فيهما لرواية شخصيتين عاشتا هذه الأحداث عن قرب، هما:

1) حسين بن معلم: الكاتب الشخصي لعميروش.

2) محمد الطاهر بوزغوب، كاتب عجول وكان عميروش قد حرّره من أسر عائسي مسعود له عند عودته من جبل علي نعاس (عالي الناس). بعد أن «علم عميروش أن الأمر الذي أعطي لعجول بمثوله أمام لجنة التنسيق والتنفيذ لم ينفذ رغم الالتزام الذي انتزعه منه، والأخطر من ذلك أن المنشق أثبتت كل الشبهات التي كانت تحوم حوله من خلال تحركاته التي لم تنكشف بعد كلية إلى ذلك الحين... ولما بلغ السيل الزبى بالنسبة لكل الذين أشاروا إلى عميروش منذ البداية بضرورة التخلص منه اتخذ القرار بتوقيفه[1]».

1)- عميروش حياة موتتان وصية للدكتور سعيد سعدي، ص: 107.

وهكذا تتطور الأوضاع بسرعة فيما يتعلق بمستجدات قضية عجول، وحولها يقول عميروش: «على الساعة 7 و30 دقيقة جمعت شمل كل المسؤولين لدراسة وضعية عاجل عجول، خلال هذا الاجتماع، قرّرنا تقييد عجول، وعيّنا 6 أشخاص لذلك، وبمجرد أن اقتربوا منه كان عجول مستعدا بمسدسه من تحت الغطاء، فأطلق النار، استمرت الطلقات 4 دقائق، فقد عجول 4 جنود من حراسه، ومن جهتنا قتل قائد الفوج من قبل جنود عجول الذي أصيب برصاصة في يده، ورغم جرحه، فقد تمكن من الفرار، ويواصل عميروش سرد حادثة الاغتيال الفاشلة فيقول: بعد هذه الحادثة غادرنا سيّدي علي للالتحاق بشليا وفي 22 أكتوبر 1956 علمنا بعملية تحويل الطائرة التي كانت تقل الوفد الخارجي (الزعماء الأربعة) ووجدت أنه يستحيل علي قطع جبال النمامشة لأن حدودها محاصرة بأفواج تامزة وبني ملول الذين روج عمر بن بولعيد بينهم دعاية أني جئت لأساعد عجول في سياسته» (من تقرير عميروش)... وفور سماع عميروش باختطاف طائرة الوفد الخارجي في 22 أكتوبر وتأكده من استحالة اجتياز جبال النمامشة، بعد أن أبلغ عمر جنودها بأن عميروش إنما جاء ليكرس سياسة عجول الذي يكنون له العداوة والبغضاء، عزم على العودة إلى الولاية الثالثة بعد أن أدى مهمة شبه مستحيلة يصفها البعض بالناجحة، كما يصفها الكثير بالفاشلة، وقبل أن يغادر الأوراس، اتخذ سلسلة من الإجراءات العاجلة قد تكون كفيلة بإعادة الاستقرار للولاية إذا توفرت الإرادة والنوايا الحسنة عند المسؤولين المحليين، وتكون كحلول سريعة للمشاكل التي تتخبط فيها المنطقة الثانية على وجه الخصوص، ومنها تعيين مسؤولي المناطق والنواحي، بحضور:

1) الحاج لخضر مسؤول ناحية باتنة

2) الطاهر أنويشي، مسؤول ناحية بوعريف

3) أنواورة أحمد مسؤول ناحية آريس

4) طورش عبد الحفيظ، مسؤول ناحية بريكة

5) علي مشيش

6) علي النمر

حيث قام بتعيين: أحمد عزوي كمسؤول منطقة مكان الطاهر أنويشي، كما قام بتعيين مصطفى رعايلي كمسؤولةمنطقة مكلف بالاستعلام والاتصال وبعث على الفور برسالة إلى الطاهر أنويشي لكي يلتحق بالولاية الثالثة.وأرسل كذلك إلى القبائل – حسب تعبير التقرير – محمد بن المسعود بلقاسمي مسؤول ناحية أمشونش المتهم بجلبه للجهاز الذي استعمل في موت مصطفى بن بولعيد للتحري معه، وقد مات على إثر قصف للطيران، وقد أشار في آخر التقرير إلى التّهم الموجهة لمسعود بن العقون لارتكابه لعدة جرائم قتل، وهو الآن – حسب التقرير – بالقبائل إلى أن يسمح الوقت بالتحقيق معه.

وقد ألمح في آخر التقرير إلى اضطراره لترك المسؤولية لمحمد العموري لمواصلة تنظيم المنطقتين بحضور:

1) ابن عكشة محمد الشريف

2) طورش عبد الحفيظ

3) كبوية إبراهيم

4) المكي حيحي...ليعود إلى الولاية الثالثة بعد أن قضي مدة تقارب الشهرين في الأوراس في إطار المهمة التي كلف بها من قبل لجنة التنسيق والتنفيذ، ولعل أبرز حادثة ظلت أصداؤها ترن في الأسماع عقودا بعد مجيئه إلى الأوراس، هي محاولته القبض على عجول وما ترتب عنها من تبعات، واستسلام هذا الأخير للعدو، فقد حرك هذا الموقف عواطف أنصار عجول ومؤيديه، فأحدثوا ضجة حول الموضوع سوف يظل رجع صداها يتردد دون توقف.

أحكام ارتجالية مشحونة بعواطف الولاء

قيل الكثير عن زيارة عميروش للأوراس خلال خريف 1956 لتهدئة الأوضاع الملتهبة بدعوة الإخوة الفرقاء إلى ضبط النفس والعودة إلى الهدوء، ومحاولة تقريب وجهات النظر بين أطراف بدأ مؤشر الصراع يهدّد وحدتها، غير أنه صدم بالتأكيد لما وجد أن المشكل قد تجاوز القيادات المحلية، وامتد نتيجة ضعف هذه القيادات أو

تعسفها إلى الوحدات والفصائل التي تمردت عن هذه القيادات، كما حصل في جبل شيلية حيث وجد ما يقرب من 150 جنديا – حسب التقرير – هائما لا يخضعون لأي تنظيم ولا يتوفرون على التأطير اللازم ليفرض عليهم الانضباط والنظام بصفتهم عسكريين مسلحين، وكما حصل أيضا في ناحية تامزة عندما حاولوا الدخول إلى جبال النمامشة فتخلى عنهم الفوج المكلف بمرافقتهم بل وهدّدهم بإطلاق النار عليهم في حالة ما إذا حاولوا السير على إثرهم... وحالات أخرى غيرها.

معظم الأحكام التي أطلقها مؤرخون وكتّاب ومهتمون بإشكالية الصّراع على القيادة في الأوراس بعد وفاة ابن بولعيد، وحول زيارة عميروش بالذات – كوسيط – مندوب لجنة التنسيق والتنفيذ، لا تخلو من خلفيات ومن حساسيات اتجاه شخصيات معروفة، ومن المجازفة أن نصفها بأنها أحكام عادلة مجردة ونزيهة وخالية من العواطف القبلية أو الجهوية، سواء كانت صادرة عن أشخاص مهتمين بالتاريخ الوطني ويسعون للبحث عن الحقيقة مجردة من كل اعتبار أو كانت صادرة عن شخصيات فاعلة أو شهود مقربين...

إن الوصول إلى الحقيقة المطلقة يقتضي التجرد من العواطف والأحكام المسبقة والالتزام بالحياد الإيجابي والموضوعية المطلقة مهما تكن العلاقة... إن ما قيل عن هذه الزيارة لم يصدر عن دارسين أكاديميين ملتزمين بالمنهج التاريخي يبحثون عن الحقيقة الناصعة كمن يبحث عن إبرة وسط كومة من التبن... إنما صدر عن أشخاص كانت لهم مساهماتهم في الثورة التحريرية وينطلقون في الغالب من منطلقات عاطفية تعكس الولاء للقائد أو للقبيلة أو تتبنى قناعة معينة، وبالتالي، فإن ما يأتون به يكون في الغالب محل نظر ويحتاج إلى أكثر من قراءة لتحديد أبعاده وخلفياته.

ولكي نوضح ما نحن بصدد الحديث عنه نقتطف فقرات من كتابين صدر أحدهما عن جمعية أول نوفمبر بعنوان مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية، الموضوع استجواب أجرته الجمعية مع عاجل عجول، أحد قادة الثورة في الأوراس. والكتاب الثاني، عبارة عن مذكرات للرائد هلايلي من مجاهدي منطقة الأوراس، عنوانه: شاهد على الثورة في الأوراس.

فقد جاء في الكتاب الأول مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية إجابة عن سؤال ألقي على عاجل عجول، ما يلي: «ولما جاء عميروش وجد فجوة عميقة بين قيادة الشرق وقيادة الغرب (ويعني شرقي وغربي الأوراس) فاستغلها فرفع بعض الوضعاء على حساب بعض المساعدين من أركان مصطفى بن بولعيد ومنحهم أوسمة تعلى من شأنهم أمام من أولي منهم بذلك وساهم في نسج المؤامرة ضد عجول آخذا برأي معارضيه كالطاهر أنويشي دون بحث ولا عقد اجتماع عام بين المسؤولين في الأوراس لدراسة المشاكل التي يحوم حولها الشك والخلاف... ومن ثم انفجر الوضع على أشده[1]».

ويضيف الراوي قائلا: «وما إن دخل عميروش منطقة الأوراس حتى بدأ يعلى من المعزولين شعبيا ولدى المجاهدين بالترقية ومنح الأوسمة وبذلك زاد الطين بلة وتعمق الشقاق واتسعت هوة الخلاف، ربّما عن قصد أو عن غير قصد، وهذا الأسلوب لا يدل على الشعور بالمسؤولية التي تتطلب الحكمة والرزانة قبل اتخاذ أي قرار[2]».

عميروش لم يأت إلى الأوراس سائحا

إن التقرير الذي حرره عميروش بإيجاز إلى لجنة التنسيق والتنفيذ التي انتدبته لهذه المهمة واضح، وقد ضمنه جميع نشاطاته منذ دخوله إلى الولاية الأولى ومصدر التقرير المجاهد: علي مشيش، وكان من القادة الملازمين لعميروش خلال مدة إقامته بالأوراس، بغض النظر عن قناعته الخاصة بمجرد أن التقى بوفد هام في قرية (لقصر) بالمعاضيد يقوده عمر بن بولعيد، يوم 1 سبتمبر 1956 – حسب التقرير – إلى أن غادر الأوراس بتاريخ 31 أكتوبر 1956 بعد أن أسند مهمة تسيير المنطقتين – كما اصطلح عليهما – وتنظيمهما لـ/ محمد العموري.

إن ما ورد في الفقرتين السابقتين من أن عميروش استغل الفجوة العميقة بين القيادات في الأوراس فرفع الوضعاء على حساب بعض المساعدين لابن بولعيد ومنحهم أوسمة

1)- مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية إنتاج جمعية أول نوفمبر لتخليد مآثر الثورة، ص: 395 – 396.

2)- المرجع نفسه، ص: 405.

تعلي من شأنهم أمام من هو أولى منهم، فلم يرد ذلك في تقرير عميروش أنه منح أوسمة أو ترقيات لأشخاص، لكنه عزل عناصر واستبدلها بعناصر أخرى ذكرها بأسمائها، وهؤلاء العناصر الذين تم عزلهم معروفون بسيرتهم مثل: عائسي مسعود والطاهر أنويشي، وذكر صراحة في أول التقرير أنه رفض عرضا تقدم به عمر بن بوليعد لتولي قيادة الثورة في الأوراس، والأمثلة كثيرة، وهؤلاء الثلاثة هم خصوم عجول الألداء، غير أن المثير للدهشة أن ترد مثل هذه الكلمات في الكتب وأن يتجرأ الكتاب والمستجوبون على تصنيف القادة إلى وضعاء (جمع وضيع) ومعزولين ومهمشين ووجهاء ونبلاء وأشراف وسادة كرام، فيعيدنا ذلك إلى القرون الخوالي زمن السادة والعبيد... وهذا التصنيف بالتأكيد هو وجه من وجوه الصّراع في الإقليم بل هو أوّله وآخره، وظاهره وباطنه حتى وإن لم يعلن عنه، وقد تضمنت هذه الكتب في أكثر من موضع تلميحات بل إشارات صريحة إلى عميروش نفسه الذي لا يملك سجلا تاريخيا يضاهي السجلات التاريخية التي يحوز عليها هؤلاء القادة التاريخيون حتى يرقى إلى مراتبهم ويكون له حق استجوابهم، فرحم الله الشاعر ابن الوردي الذي يقول:

إن الفتى من يقول ها أنذا وليس الفتى من يقول كان أبي

إن الملحمة التاريخية التي ساهم هؤلاء الرّواد في صنعها لا تعفيهم من المثول أمام محكمة التاريخ التي ساهموا في صنعها... فلو اجتمعت كلمتهم لقويت شوكتهم ولما أصبحوا عرضة للتحري والتحقيق من أي كان، وكان بإمكانهم أن يتجاوزوا هذه الخلافات بمجرد أن شعروا بوجود تدخلات خارجية محتملة، غير أن جنون العظمة أَوْهم بعضهم بأنهم أولوا قوة وأولوا بأس شديد، فاستنكفوا واستكبروا وأصروا على العناد رغم الأخطار المحدقة إلى أن سقط الجميع في مستنقع من الخلافات لا قعر له. ونقتطف من كتاب: شاهد على الثورة في الأوراس، فقرتين كذلك، تصبان في نفس الاتجاه يقول الرائد هلايلي: «لم يكن الأوراسيون مرتاحين لتكليف عميروش، ليس إنقاصا من قيمته، ولكنه لا يرقى لتاريخ ومنزلة مفجري الثورة في الأوراس وقادته الأوّلين أخلاقيا ونظاميا... ولا يمكنه مراقبة قادة سبقوه للنضال وللقيادة، لقد اعتبروا ذلك إنقاصا من قيمتهم التاريخية[1]»... ويواصل الرائد هلايلي حديثه في

1)- شاهد على الثورة في الأوراس للرائد هلايلي: ص: 277 – 278.

نفس السياق فيقول: «لقد برهن عميروش بالدّليل القاطع على أنه لم يقدم للأوراس من أجل إصلاح ذات البين بين الإخوة الأوراسيين، لأنه لو كان ذلك هو جوهر مهمته، لما تجرأ على سفك دماء جديدة، كما فعل مع عجول، كما أنه لم يدخل الأوراس من أجل تبليغ قرارات المؤتمر التي تنص صراحة على أن الجزاء والعقاب الذي يخص قادة الولايات يعود للجنة التنسيق والتنفيذ وحدها، بينما نجد عميروش قد تجرأ على اغتيال عجول، وقام بالعزل والتّعيين وفرض الوصاية على الجميع دون العودة للقيادة العليا[1]» ويواصل الرائد هلايلي قائلا: «والسؤال الجوهري هو لماذا لم يعين عميروش لجنة تحقيق مشكلة من حكماء مؤهلين، تحقق مع عجول، وتصدر حكمها بتوصيات واضحة ثم يشكل محكمة عسكرية تحاكم عجولا وتصدر حكمها عليه بصفة علنية ونظامية وقانونية[2]».

لا شك أن مستوى التفكير والقدرة على التعبير تختلف بين شخص وشخص، ولا شك أيضا أن للأمزجة والعواطف تأثيرا على النفوس تحملها أحيانا على النيل من كرامات الآخرين دون إرادة منها... وسوف يكون تعليقنا على هذه الفقرات امتدادا لما كنا قد ألمحنا إليه من قبل... فالقول بأن عميروش لا يرقى لتاريخ ومنزلة مفجري الثورة في الأوراس حقيقة مطلقة إذا كنا نقدّر قيمة العطاء بمقياس الزّمن، وليس بنوعية المردود وأثره في الميدان، وإذا سلّمنا بأن الأمر كذلك وأصبغنا العصمة على هؤلاء القادة، فما سرّ هذا الصراع المرير والاستهانة بأرواح الضحايا كلّ يوم، ناهيك عن ثقل الأمانة وروح المسؤولية، أما القول بأن عميروش لم يأت إلى الأوراس من أجل إصلاح ذات البين لو كان كذلك لما تجرأ على سفك دماء جديدة، الحديث هنا يعني عجولا وحده لأن عميروش لم يسفك دم أحد طوال مدة إقامته بالأوراس، ولم يكن بإمكانه أن يفعل ذلك فقد كان مرفوقا بحارسه الشخصي وكاتبه الخاص، ومهمته كانت واضحة... التحري بشأن الخلافات التي نشبت بين القادة في الأوراس، ومحاولة هيكلة الولاية لضمان استمرارية الثورة... أما بشأن سفك دم

1)- شاهد على الثورة في الأوراس المرجع السابق.

2)- المرجع نفسه.

عجول وبعض من جنوده، فالروايات تختلف حبذا لو نسمع ذلك من عناصر حيادية غير منحازة تكتب التاريخ للتاريخ لا للاستهلاك وإثارة العواطف، ومهما يكن فإن الذين سفكوا دم عجول سواء بالتحريض أو بالعمل المباشر، هم من الأوراسيين أيضا، وكان عميروش مجرد شاهد، رغم تحمله لبعض المسؤولية، أما عن كون عجول بصفته قائد للمنطقة أو الولاية وجزاء أوعقاب قادة الولايات من اختصاص لجنة التنسيق والتنفيذ، ويجب أن يعامل على هذا الأساس، لعل هذا ما كان يهدف إليه عميروش، عندما اصطحبه معه في اتجاه جبال النمامشة لغرض الدخول إلى تونس، وعندما لم يتمكن من ذلك أعطاه رخصة مرور وصرفه في اتجاه الولاية الثالثة حيث تقيم لجنة التنسيق والتنفيذ، فامتنع عجول عن الذهاب لأسباب ..غير واضحة، أما القول بأن عجولا قائدا للمنطقة وجزاء وعقاب قادة المناطق من اختصاص لجنة التنسيق والتنفيذ... فالأمر غير ذلك.

1) فعجول لم يكن قائدا للمنطقة أو الولاية، إنما كان عضوا بارزا في قيادة الأركان للمنطقة على عهد ابن بولعيد ونائبا سياسيا لشيحاني بعد سفر ابن بولعيد إلى الشرق ثم أسند إليه شيحاني مهمة الرقابة للناحية الغربية من الأوراس، فلم يتمكن من ممارستها إلا في نطاق ضيق لشساعة المنطقة وظهور بوادر التمرد من قبل عمر في الناحية الغربية وعائسي في المنطقة الثانية، غير بعيد عن المنطقة التي تدين بالولاء لعجول، وعندما تم اغتيال شيحاني بتاريخ 30 أكتوبر 1955، بقرار من نائبيه أو من محكمة شكلت من قبلهما وقع شغور في منصب القائد العام فكان عجول أو لغرور أولى به نظرا لمكانتهما، فرفضه لغرور وقبل به لعجول، وهو أولى من غيره بشغل هذا المنصب إلى أن تقوم القيادات المحلية بتعيين قائد للولاية خلفا لشيحاني، وقد جاء في كتاب إشكالية القيادة لـ/ محمد زروال «أن معظم الوفود التي كانت ستشارك في اجتماع «نارة» الذي (انفض بعد استشهاد ابن بولعيد) قد توجهت مباشرة إلى جبل «تاقيدة» ويعني به جبل «تاغدة» المنيع وذلك يوم 15 أفريل 1956 وكان المسؤولون الذين حضروا هذا الاجتماع هم: عمر بن بولعيد، مسعود بن عيسى – عايسي –،

الطاهر أنويشي، أحمد عزوي، حسين بن عبد السلام، الحاج لخضر، مصطفى رعايلي، محمد الشريف بن عكشة، عبد الحفيظ طورش، أحمد أنواورة، عزوي مدور، وكان القوم قد اقتصر حضورهم في هذه المرة على تبادل النظرات... وعندما لم يقل أي واحد من الحاضرين كلمة، فقد أخذ الحاج لخضر على عاتقه افتتاح الجلسة، فقال: بسم الله الرحمان الرحيم، ثم أعلن ما يأتي: وبعد أن فارقنا سي مصطفى رحمه الله... فإنه يجب علينا أولا أن نعين مسؤولا في أقرب وقت، ولكنني لا أرى أي واحد منا يستطيع أن يواصل أداء المهمة التي كان مصطفى يقوم بأدائها، عندئذ وقف عمر بن بولعيد، وغادر الجلسة، فناداه الحاج إلى أين تذهب يا سي عمار؟ إبق معنا فأجابه سأعود، واصلوا العمل من غير مشاركتي... وقد ساد الجو شيء من التردد، فتوجه الحاج لخضر إلى مسعود بن عيسى وفي حركة تمثيلية مفعمة بالتواضع، فإنه انحنى أمامه ووضع يده على رجله، وقال له: سي مسعود إنّني على أتم الاستعداد لأن أقبّل قدمك، إن كان هذا سيؤدي إلى المصالحة بينك وبين عاجل عجول، عندئذ احمر وجه مسعود، فنهض من مكانه بشدّة وقال أبدا!هل تسمعني؟ أبدا. وكان صوته أجش من شدة الغضب، وعيناه تتقدان شررا. وقد تدخل مدور عزوي من جهته فقال له: لوجه الله سي مسعود جدد علاقتك بسي عجول، وإننا سنضمن لك أن الأمور كلها تسير على الوجه الأكمل، ولكنه غادر الاجتماع من غير أن يرد عليه، عندئذ بادر الحاج لخضر بتقديم هذا الاقتراح: وهو أن ينصب الحاضرون عاجل عجول على رأس القيادة أو أن يفسحوا المجال في ذلك لعملية انتخابية. ولكن هذا الاقتراح لم ينل موافقة الجميع عندئذ توجه الحاج لخضر إلى القوم وقال لهم: ما دام اقتراحي لم يعجبكم فإنني سألتحق حالا بمقر ناحيتي، وليفعل كل واحد منكم ما يروقه[1]». حاول مدور عزوي أن يثني مسعود عائسي عن هذا الإصرار في معاداة عجول، فلم يلق منه إلا الصدود والإعراض، فبدأت مؤشرات التمرد على قيادة عجول تلوح في الأفق منذ الأسابيع الأولى التي أعقبت وفاة ابن بولعيد، ولم يكن عجول مرنا بالقدر الكافي

1)- إشكالية القيادة في الثورة الجزائرية لـ/ محمد زروال ص: 257 – 259.

لامتصاص غضب الناقمين عليه فراحت الحلقة تضيق من حوله إلى أن بقيت له كيمل وحدها وجزءا من أحمر خدو أو ما يسميه هلايلي «سِكتور» عجول، فما له من قوة بعدها ولا ناصر... والناصر الوحيد المحتمل له هو عباس لغرور الذي كان يعاني بدوره من اضطرابات حادة بجبال النمامشة اضطرته للدخول إلى تونس لتسويتها، فوقع ضحية سلوكات غير مسبوقة. فكان من مصلحة عجول في مثل هذه الحالة ووسط الأخطار المحدقة به أن يرافق عميروش إلى تونس، وعندما تعذر عليهما المرور عبر منطقة تعاني بدورها من غليان حادّ، نتيجة حساسية تكونت لدى جنود النمامشة اتجاه عجول لنصرته لعباس لغرور عند محاصرته في جبال النمامشة، والتي يرى الرائد: هلايلي أن هذه الأسباب مفتعلة، وأرى أن لها مقدمات وسوابق أشرنا إليها في مواضع سابقة، وعليه فنحن نرجّح صحتها، وعندما تعذر عليه المرور عبر مناطق يسيطر عليها مناوئوه خوفا على حياته مثل: جنود مسعود عايسي وجنود عمر في الجهة الغربية من الأوراس – ناحية جبل أوستيلي.

كان بإمكانه أن يرافق عميروش في رحلة العودة إلى الولاية الثالثة، فمناوئوه لن يجرأوا على مهاجمته مع العناصر القيادية – الزمرة المحيطة بعميروش – فلن يرفض عميروش منه ذلك، بل وهذا ما كان يأمله، كما لن يرفض بقية القادة ممن يريدون التخلص منه ذلك أيضا.

2) إذا كان عميروش لا يرقى لتاريخ ومنزلة مفجري الثورة في الأوراس... ولا يمكن له مراقبة قادة سبقوه في النضال وفي القيادة بالرغم من أنه موفد من قبل أعلى هيئة مسؤولة (لجنة التنسيق والتنفيذ) فلن يكون بإمكانه استجواب هؤلاء القادة، كما لن يكون بإمكانه تشكيل لجنة من حكماء مؤهلين تحقق مع عجول، وتصدر حكمها بتوصيات واضحة ثم تشكل محكمة عسكرية لمحاكمة عجول حسب مقترح أو رأي صاحب كتاب: شاهد على الثورة في الأوراس... أما العثور على الحكماء المؤهلين من بين القيادات المحلية فهو بعيد المنال، ولن يجد عميروش من بين هؤلاء القادة من يلتزم بالحياد الإيجابي ليكون قاضيا عادلا بعد أن تجاوز الصّراع مرحلة الخلافات الشكلية إلى المواجهات المسلحة.. والقبض على الرهائن... ولعل أوثق الناس صلة

بعجول الحاج لخضر، وقد راودته الشكوك بنفسه في تورطه في مقتل ابن بولعيد، فالإجراءات التي يحبذها الرائد: هلايلي لا تتم في الغابة أو تحت ظلال الصخور وبين أغصان الصنوبر في ظروف أمنية متميزة، والشاهد يعرف ذلك جيدا ويعرف أن التشنج الذي كان يسود علاقات عجول مع بقية القادة يستوجب معالجة القضية خارج الحيز الجغرافي الذي يحكمه أو خارج حدود الوطن.

لو رافق عميروش إلى الولاية الثالثة لكان خيرا له، فقد فعل ذلك الطاهر أنويشي وانسحب من الصراع ودخل إلى تونس، وكان قد سبقه إلى الولاية الثالثة محمد بن المسعود بلقاسمي المتهم بجلب الجهاز الذي أودى بحياة ابن بولعيد، وكذا مسعود بلعقون المتهم بجرائم قتل قصد التحقيق معهما، فاستشهد الأول ودخل الثاني إلى تونس مبرئا ذمته.

غير أني أرى أن هناك أطرافا خفية تكون قد أبدت رأيها فيما يتعلق بذهاب عجول إلى الولاية الثالثة، فاستحسن رأيها وامتنع عن الذهاب فحصل ما حصل، والوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، ولا مجال للمساومة أو المراودة في قضايا مصيرية.

تداعيات وإرهاصات تنذر بهبوب عاصفة

عاشت الأوراس منذ سفر ابن بولعيد إلى تونس في أواخر جانفي 1955 أزمة ثقة بين عدة عناصر مسؤولة جمعتها المصلحة العليا للثورة وفرقتها الأهواء، بعض هذه العناصر كانت تعتد بتاريخها المجيد الحافل بالإنجازات في الميدانين السياسي والعسكري والبعض يعتد بماض مشرف صقلته التجارب السياسية، والبعض يعتد برجاله ونقاوة سيرته.. فراح كل واحد يتطاول على الآخرين مشيرا إلى محاسنه وإلى مساوئ غيره، وليس من بين هؤلاء من تنكر للذات، وعمل بسنة السّلف الصالح، كما فعل خالد بن الوليد حين عزله عمر وعيّن مكانه أبا عبيدة بن الجراح، فأخفى ذلك على الجند وأستل سيفه ودخل بين الصفوف مقاتلا، فانساق من خلفهم قادة الوحدات والفصائل والأفواج، وقد استغل بعض القادة معطيات محلية وأخرى وطنية مثل قرارات مؤتمر الصومام، وراحوا يؤولونها ويصفونها بأنها خطيرة ومدمرة وتتناقض مع المصلحة العليا للثورة مع أن الذين أعدّوا هذه المقررات هم من أسّسوا

أو وطّدوا قواعد الجبهة، فاكتسى الصراع بعدا سياسيا بعد أن كان مجرّد صراع على سدّ الشغور الذي حصل في منصب القيادة بعد وفاة ابن بولعيد، حيث أوفد الزعيم التاريخي أحمد بن بلة رسلا إلى الولاية الأولى التي كانت تعج بالاضطرابات ليكبوا الزيت على النار، يقول الوردي قتال أحد قادة النمامشة «وبعد إعلان نتائج مؤتمر الصومام، فإن أحمد بن بلة أرسل مبعوثا عنه هو (أحمد بوزيد) إلى ناحية النمامشة ليقول لمجاهديها: لا تقبلوا بقرارات مؤتمر الصومام كما أنه أرسل إليهم مبعوثا ثانيا هو (عبد الكريم السوفي) بهدف شرح هذه القرارات شرحا مخالفا لروحها وأهدافها[1]»، كما أوفد علي محساس إلى شمال الولاية الأولى وإلى القاعدة الشرقية لزرع أفكار تدعو إلى الطّعن في هذه القرارات: يقول الزعيم محساس في استجواب أجرته معه جريدة الخبر اليومية بتاريخ: 21 فيفري 2013 «المؤتمر كله لم يعجبنا لأنه مزور وجاءت جماعة من الذين فاتهم القطار في 1954 من المركزيين والأحزاب التي كانت تقف عكس اتجاه الثورة لتنحية المفجرين الأوائل... وذكر في الأخير بعض الأسماء مثل: ابن خدة ودحلب[2]»، وقد أشرف محساس على اجتماع انعقد بتونس بتاريخ 15 ديسمبر 1956، شارك فيه بعض القادة المحليين، واعتبروا ذلك نصرا مبينا لهم، فقد وجدوا سندا معنويا وسياسيا من أطراف خارجية مسؤولة، فأصروا على المعارضة رغم الأخطار التي تهدّد الثورة في مهدها... فبعد الذي حدث من استسلام عجول في أوائل نوفمبر ووقوع عباس لغرور بين أيدي قوات الأمن التونسي بعد عملية «تالبت» التي هاجم فيها قافلة عسكرية فرنسية فوق التراب التونسي، وسقوط أشريط الأزهر على إثر اعتداء شنه مجهول على جماعة النمامشة في تونس خلال جلسة مصالحة في أكتوبر 1956، - زعموا أن المعتدي من أتباع لغرور - وهؤلاء الثلاثة كانوا يعدون من أقطاب الصّراع في الولاية الأولى... فخلا الجو لعمر وحده ولمؤيده: مسعود عايسي غير أن حدة الصراع كشفت للقادة عن أبعاد أخرى، بعد أن أزيح عجول الذي كانوا يعدّونه العقبة الكبرى وأطيح بلغرور وأشريط في تونس، وأبعد الطاهر أنويشي ومحمد بن المسعود بلقاسمي ومسعود بلعقون، فهؤلاء هم البلية الكبرى بالنسبة لعمر الذي كان شديد الطموح إلى قيادة الولاية... لكن يبدو أن

1)- إشكالية القيادة في الثورة الجزائرية لـ/ محمد زروال، ص: 263.

2)- جريد الخبر اليومية ليوم 21 فيفري 2013.

الصّراع قد تجاوز بعده المحلي بعد اجتماع 15 ديسمبر 1956 في تونس، واندرج ضمن منظور أوسع بتدخل ابن بله ومحساس اللذين سعيا بدورهما إلى تنحية وإبعاد السياسيين عامة وعبان رمضان خاصة، وهكذا وجدت هذه الجماعة المحلية نفسها محتواة في تكتل خارجي خارج منطقة الصّراع، وراح جنودها يحاربون عدوا وهميا اسمه جبهة التحرير الوطني التي يصفها مسعود عايسي حسب الحاج: علي أشريط الذي حضر اجتماع تونس بالجبيهة ويصف قادتها بالمتآمرين، وهكذا تتطور الأحداث لتسلك منعرجات أكثر التواء، فتحول الصراع من صراع مناصب إلى صراع مواقع ثم إلى صراع أفكار ومبادئ، حيث يزعم منتحلوها أنها تمس بأيديولوجية جبهة التحرير الوطني، مع أنهم لم يسهموا لا من قريب ولا من بعيد في وضع الاختيارات الأساسية للجبهة، وأعني بالذات ابن بله ومحساس بل وصلتهم جاهزة مع موفد جبهة التحرير الوطني إلى القاهرة، محمد بوضياف بعد اندلاع الثورة، ولما لم يكن لهم حظ المشاركة في مؤتمر الصومام الذي يعد أهم تجمع لقادة جيش وجبهة التحرير الوطني التي كانت عبارة عن هيكل تنظيمي واحد والفصل بينهما منهجي، قصد تصنيف المهام فقط، نظرا للظروف الأمنية التي كانت سائدة في البلاد، وبدل أن يباركوا هذه القرارات ويعدونها خطوة هامة في تطوير الكفاح المسلح ضد الاستعمار حتى وإن اشتملت على بعض النقائص التي يمكن أن تعدل وأن تراجع في المؤتمرات اللاحقة راحوا يصفونها بأنها خطيرة ومدمرة حسب تعبيرالسيد: أحمد بن بله، فاعتقد السذج من القادة المحليين بصحة الإدعاء ولما لم يكن التلويح من بعيد كافيا، انتقل محساس إلى جبهتي القتال في الولاية الأولى وفي القاعدة الشرقية ليلهب الصراع بين الإخوة الفرقاء، وليعمق الخلاف أكثر، فاعتقد قادة من ذوي المستوى المحدود والنظرة الضيقة أن ما يدعيه أحمد بن بله وعلي محساس هو عين الصواب فعادوا من اجتماع 15 ديسمبر 1956 بتونس وكلهم إصرار وعزم على مقاتلة المتمسكين بهذه القرارات، فاشتعلت الحرب بين المؤيدين لهذه القرارات والمعارضين لها في الأوراس خاصة واستمرت حتى بعد أن تم تحييد دعاة المعارضة بالموت أو بالإقصاء.

وقد أورد محمد بوضياف أن ابن بلة كان يسعى دوما ليعتبر نفسه القائد الأعلى للثورة، حينما تحصل على دعم جمال عبد الناصر، وحول هذه النقطة بالذات يؤكد محفوظ بنون بأن «اختيار المصريين وقع على أحمد بن بله لضعف شخصيته وسهولة

التأثير عليه لتحقيق أهدافهم[1]»، ومما جاء في جريدة الخبر العدد السابق تحت عنوان: «ابن بله لا يعترف بالمؤتمر» أنه وبعد المؤتمر قام عبان بمراسلة محمد خيضر في سبتمبر 1956 يخبره في هذه المراسلات عن قرارات الصومام فتقبلها خيضر بتحفظ، أما ابن بلة فقد غضب واستنكر كل القرارات، حينما أدرك أن الثورة في الداخل فصلت في مسألة الزعامة والصّراع على السلطة بفضل اختيار مبدأ القيادة الجماعية، عملا بالمبادئ الواردة في بيان أول نوفمبر – المرجع السابق –.فهؤلاء من استغل المشاعر الوطنية النبيلة لدى القادة المحليين في الأوراس مع ضحالة أفكارهم وطيبة قلوبهم وسذاجة عقولهم أيضا ودفعوا بهم إلى الاقتتال، ويؤكد هذا أيضا المناضل الكبير علي محساس في جريدة الخبر ليوم 21 فيفري 2013... إجابة عن سؤال وجه إليه فيما يتعلق بمحاولة سجنه من قبل عبان... فأجاب: «لم يتم سجني، بل أنا الذي كنت قادرا على إدخالهم جميعا إلى السجن لأنني كنت مسيطرا على الجهة الشرقية للبلاد (الولاية الأولى) و القاعدة الشرقية، وكانت لي رتبة عالية في الحزب وسمعة جيدة لدى المناضلين[2]».

غير أن هذه المكانة الموهومة لم تشفع له عند القائد أوعمران الذي حاول القبض عليه، لكنه أفلت بفضل تواطؤ الأمن التونسي الذي ساعده على اللجوء إلى إيطاليا ومنها إلى سويسرا... فالتعصب للرأي والاعتداد بالشخصية واللهفة على اعتلاء السلطة ميزة كثير من الشخصيات المحلية والوطنية وكانت هذه الشخصيات تعتبر ذلك عملا وطنيا خالصا ولا تكترث بما سوف ينتج عنه من صراعات طائفية أو إقليمية أو حتى فكرية، كما حصل بالنسبة لمناصري ومعارضي مؤتمر الصومام إذ المهم أن تتبوأ المكانة المرموقة «وللجزائر بعدها رب يحميها»، وأوضح مثال لدينا نسوقه للقارئ أحداث صائفة 1962 على مشارف العاصمة وما ترتب عنها من مآس سوف يظل صداها يرن في الأسماع عقودا من الزمن، والمتسببون في هذه الأحداث هم من غذوا بأفكارهم الصراع الذي نشب بين القادة المحليين في الأوراس على إثر سقوط الشهيد: مصطفى بن بولعيد، واستسلام عجول، وشغور منصب القيادة، فأعطوا لهذا الصراع بعدا أيديولوجيا

1)- جريدة الخبر ليوم 11 – 11 – 2002، ص: 19.

2)- جريدة الخبر المرجع السابق.

وسياسيا، فاعتقد السذج من القادة المحليين بسلامة المنهج، وقاتلوا بشراسة كل من يعتقد بخلافه، فأضاعوا بذلك شرف السبق الذي حاز عليه الأوراسيون.

نقطة الخلاف مع عجول

عجول عاجل مناضل بارز في الحركة الوطنية منذ الأربعينيات متشبع بالفكر السياسي ذي التوجه الثوري، وقد جسد هذه القناعة بأعمال جليلة من خلال نشاطاته قبل الثورة في تهريب السلاح من تونس، ساهم في الإعداد للثورة، ويعد من الشخصيات البارزة في الحركة الوطنية ذات النزعة الثورية على المستوى المحلي.

اختير من قبل ابن بولعيد مسؤول المنطقة الأولى عضوا في قيادة الأركان ثم نائبا لشيحاني مكلفا بالشؤون السياسية، عندما قرّر ابن بولعيد السفر إلى المشرق أواخر جانفي 1955 وبعد أن ألقي القبض على ابن بولعيد، راح شيحاني يتصرف في شؤون الإدارة بمفرده فعزل عناصر ورقى عناصر أخرى في الإدارة وحوّل مقرة الإدارة من الوسط إلى الشرق، وأسند إلى لعجول ولغرور – النائبين – مهمة الرقابة بدل المهمتين السياسية والعسكرية اللتين كانا يتولونها بقرار من ابن بولعيد، وقد اشتكى عجول ذلك إلى مصطفى بن بولعيد بعد عودته إلى قيادة الثورة في الأوراس من خلال إجابة عن سؤال ينم عن العتاب ألقاه مصطفى على عجول: «هل تذكر أنني قبل سفري إلى المشرق كنت قد نصحت لك ولعباس أن يبقى عمار (عمر) خارج القيادة، وأن تحافظا على بشير شيحاني؟ فأجابه عجول: إن الأمور قد تبدلت بعد غيابك وتغيرت يا سي مصطفى، فإن بشير شيحاني نفسه، عندما علم بخبر إلقاء القبض عليك من طرف العدو فإن تصرفه قد تبدل خاصة، عندما وقع تحت ضغط مدور عزوي ومسعود بن عيسى وإنني شخصيا كنت غير موافق على أن يعين عمر على رأس القيادة على أن هذا لا يعني أني كنت عليه ضدا[1]» ويعلق محمد زروال على هذا التصريح بقوله «ومن خلال هذا الخليط الماهر الماكر في المزج بين الصدق والكذب فإن مصطفى كان يعلم أنه لا يستطيع أن يعرف الحقيقة على وجهها الصحيح[2]» فقد

1)- إشكالية القيادة لـ/ محمد زروال، ص: 226.

2)- إشكالية القيادة المرجع السابق.

أدى هذا العمل الارتجالي من طرف شيحاني إلى إحداث نوع من التشنج في العلاقات بين النائبين القياديين من جهة وبين شيحاني من جهة ثانية، انتهت باغتيال شيحاني على اثر مخالفة أخلاقية كان يمارسها وقد تم ضبطه من قبل شهود عيان، كما زعموا.

وبتاريخ 11 نوفمبر 1955 يفر ابن بولعيد من سجن قسنطينة ويلتحق بالثورة في الأرواس ليجد الأوضاع على أسوإ حال، غير ان هبوب العاصفة قد سكن فجأة بمجرد ظهور مصطفى غير المنتظر، وظل عجول يمارس سلطته في إطار صلاحيات رئيس أو مسؤول منطقة نظرا لشغور منصب القيادة إلى جانب ابن بولعيد الذي أبدى عجول اتجاهه كل التحفظات، وقد أكدها أكثر من مسؤول: بوستة، الواعيو، الحاج لخضر، الزبيري أشرنا إليها سابقا.

صرامة عجول وحزمه وحدته في بعض المواقف جلبت إليه كثيرا من المتاعب من خلال المعاملات الجافة لجنود متطوعين من مختلف الأعمار ومن مختلف المستويات والعشائر التي لم تنصهر بعد وسط كيان واحد موحد اسمه جيش وجبهة التحرير الوطني، فبموت ابن بولعيد الغامض، وانزواء عباس في جبال النمامشة يكون الجو قد خلا لعجول ليمارس سلطاته كاملة غير أن عناصر أخرى كانت تغير من عجول، ربما بسبب حساسيات قديمة لا علاقة لها بالتسيير، بدأت تظهر إرادة التمرد والعصيان مثل: عايسي مسعود، كما برزت أطراف أخرى راحت تدعي أحقيتها في تبوإ مركز القيادة مثل عمر، وأخرى تدعي التهميش وتتهمه باحتكار المسؤوليات مثل: أشريط لزهر فاجتمعت هذه الإرادات ضد عجول، وراحت تمارس ضغوطاتها بكل الوسائل، وهذه العناصر الثلاثة لا تنفع معها المرونة، لأنها تؤمن فقط بشعار «هذي لي وهذي للدبوس» فراحت الحلقة تضيق من حوله إلى أن وجد نفسه بين المطرقة والسندان.

فكان مجيء عميروش إلى الأوراس للمصالحة أهم فرصة أتيحت له للانسحاب بشرف من القيادة، وعلى عميروش أن يبحث على عنصر إجماع بن القياديين المحليين غير أن هذه القيادات المحلية نفسها لم تتمكن طوال مدة شهرين كاملين قضاهما عميروش في الأوراس من الخروج بقرار جامع موحد يحفظ ماء الوجه ويعيد للأوراس وحدته ومجده فراح معظم هؤلاء القادة يتطلعون إلى الأفق للحصول على

الامتيازات ويتقربون من الرائد: عميروش قصد الحصول على الترقيات بالتعيين أو بالمكافأة، فلما لم يجد عندهم الشهامة التي كانوا قد عرفوا بها كمناضلين قدامى وكرواد للحركة على عهد مصطفى بن بولعيد، راح يملي إرادته حسب اجتهاداته الشخصية التي لا تخلو من جفاء وفظاظة أحيانا تعكس سلوكاته الفطرية والثورية التي اشتهر بها حتى وسط المنطقة التي كان يشرف عليها «فقد أقدم - ذات سنة - وبكل برودة على تصفية سكان قرية بكاملها بالقرب من قرية «أميزور» بتهمة الولاء للحركة المصالية[1]».

يصف عميروش أول لقاء جمعه بعجول بأنه كان مثمرا ومفيدا، فهو يقول: «في مساء يوم 2 أكتوبر 1956 التقيت بعاجل عجول بنواحي سيدي علي وكان يحضر تقريره ليقدمه في اجتماع 20 أكتوبر 1956، وطلبت منه من أجل مصلحة البلاد أن يترك مسؤولية كيمل ويرافقني إلى تونس فقبل ذلك» من تقرير عميروش، ويضيف بأنه في «3 – 10 – 1956، عقدنا اجتماعا آخر بسيدي علي بحضور كل أعضاء اللجنة وشرحت لهم أن عجولا وافق على التخلي عن مسؤوليته وأنه مستعد لمرافقتنا من غير أي مواجهة مع الآخرين».

وحول هذه النقطة، فإن ما ورد في كتاب: شاهد على الثورة في الأوراس، يكاد يتفق مع ما ذكر في تقرير عميروش، يقول هلايلي: «كان عميروش قد مرّ على المنطقة الأولى مرور الكرام – إذ ليس في المنطقة الأولى ما يدعو للمكوث بها طويلا – لأن غايته كانت الاتصال بعجول عضو القيادة الشرعية للأوراس في الداخل الذي طلب مقابلته برسالة خاصة واستجابة لتلك الرسالة سارع عجول للقاء عميروش بقلب مفتوح لتلبية الدعوة، وقد تم ذلك اللقاء بين عميروش وعجول بالمكان المسمى «تامدينت» بذراع الشرفة، حيث ساد اللقاء جو من الارتياح والأمل وحفاوة الضيافة، كان ذلك بشهادة «سي حسين بن معلم» في إحدى تعليقاته على الموضوع[2]»، فقبول عجول بالتخلي عن المسؤولية ومرافقة عميروش إلى تونس بادرة من بوادر الحل السليم وخطوة إيجابية من قبل عجول، ولن يتم

---

1)- جريدة الخبر ليوم 11 – 11 – 2002، ص: 19.

2)- شاهد على الثورة في الأوراس للرائد: هلايلي، ص: 279 – 281 – 282.

هذا بالتأكيد إلا بعد تعيين قيادة جديدة تتولى تسيير شؤون الثورة في الولاية الأولى إلى حين تعيين قائد للولاية من طرف لجنة التنسيق والتنفيذ بصفتها أعلى هيئة تدير شؤون الثورة، ومقرها آنذاك كان بالجزائر العاصمة «فقد قرر المؤتمر (الصومام) بأن دراسة حالة عدم الانضباط المتعلقة بالمسؤولين السامين هي من خصوصيات لجنة التنسيق والتنفيذ»[1].

انطلق عميروش رفقة عجول في اتجاه تونس عبر تراب النمامشة، غير أنه وبعد قطع جزء من الطريق واجهتهم صعوبات، كان أخطرها رسالة من مجهول إلى عميروش تقول الرسالة: «لن نسمح لكم بالمرور برفقة عميروش» ويعلق الرائد: هلايلي على هذه الرسالة حيث يرى أنها مجرد تمثيلية مفضوحة، فيقول: «بكل أسف قبل الانطلاق – لقطع مرحلة أخرى دون تحديد للمكان بدأنا نلمس بعض معالم المؤامرة على عجول ذلك أنه وبمجرد خروج الدورية المكلفة باستطلاع الطريق عاد أحد أفرادها حاملا رسالة إلى عميروش، وهي عبارة عن ورقة من كناشة جيب مكتوب عليها بخط رديء جدّا «لا يمكنك يا عميروش المرور وعجول بصحبتكم»، وقد ادعى حامل تلك الورقة بأنها مرسلة من النمامشة في تلك الجهة التي يسيطر عليها عجول وهو ادعاء باطل لأنه لا وجود لمجموعة النمامشة في تلك الجهة[2]»، ويضيف الرائد هلايلي والحقيقة أن الرسالة كانت صادرة عن بعض مرافقي عميروش نسبت تمويها لجماعة النمامشة[3].

ويعلق الرائد هلايلي في الصفحات اللاحقة بأنه تمكن من معرفة صاحب الرسالة فيما بعد، وهو المعروف باسم: أحمد بن الحاج التيفورغي، وكان من المناهضين لعجول دون أن يوضح ذلك وكان هذا الشخص قد قاد فصيلة من المجاهدين تتكون من 40 مجاهدا إلى ناحية سوق أهراس، وقد عرف باسم التيفورغي الأوراسي – نسبة إلى عرش أولاد «تيفورة» ولم يرد في تقرير الرائد أعميروش ذكر لهذه الرسالة كمانع حال دون التقدم في اتجاه جبال النمامشة، غير أنه ذكر رؤساء أفواج لمحاربين – كما وصفهم – من جنود: سي العربي وناسي وعبد الرحمان عمران... ساروا برفقتهم

1)- مذكرات اللواء: حسين بن معلم الجزء الأول، ص: 88.

2)- شاهد على الثورة في الأوراس للرائد: هلايلي، المرجع السابق.

3)- المرجع نفسه.

نحو جبال النمامشة، لكنهم في الأخير منعوهم من متابعتهم بل هدّدوهم بإطلاق النار عليهم إن استمروا في السير من خلفهم - من تقرير عميروش - وجاء في تقرير عميروش كذلك بأنه عندما تعذر عليه المرور إلى تونس عبر تراب النمامشة وبصحبته عجول سلّم له رخصة للذهاب إلى الولاية الثالثة، وعاد هو حسب التقرير إلى جبل شيلية، فوجد عجول لم يمتثل لقرار الذهاب إلى الولاية الثالثة، وهنا أخذت الشكوك تراود كلا من القائدين عميروش وعجول اتجاه الآخر، وربما تدخل أهل السوء بتخويف عجول من نوايا عميروش اتجاهه، ودفع عميروش للتحفظ من أقوال وأفعال عجول الذي راح ربما يتربص به، وكان بإمكان عجول أن يصارح عميروش عند اللقاء بوجود خصوم له على الجهة الغربية من الأوراس سوف يمنعونه من العبور إلى الولاية الثالثة فيسمح له بصحبته... بدلا من اللجوء إلى أية وسيلة أخرى مهما كان شكلها...

لا نستطيع وصف ما جرى ليلة 19 أكتوبر 1956 لعدم تجرد معظم الرواة من الذاتية والتزام الحياد عند سردهم لحادثة تبادل إطلاق النار بين عجول وبين عناصر أخرى كانت مأمورة بتقييده - حسب تقرير عميروش - وحتى حصيلة عدد القتلى اختلف فيها الرواة... والبحث في هذا الموضوع لا ينتهي إلى حل. فقد سألنا بعض المجاهدين حول الموضوع، فوجدنا عندهم من التناقضات والإصرار على صحة الادعاء ما يجعلنا نتجاوز المسألة إلى الحديث عن ما وقع عليه شبه إجماع على الأقل، ويكفي القارئ أن يطالع بتأن ما رواه الرائد: هلايلي في كتابه، شاهد على الثورة في الأوراس، والذي حضر المشهد – كضحية – وقدر له أن يسلم بأعجوبة وأن ينجو ممّا ألم بزملائه، وبالرغم من هول الصدمة وسرعة العملية التي لا تسمح للشخص بأن يمعن النظر ويتأمل فيما حدث وكيف حدث إلا أن هلايلي استطاع أن يصف المشهد المأساوي وصفا حيا يبعث في نفس القارئ الألم والحسرة، وقد اشتملت الفقرة التي وصف فيها محاولة الاغتيال على عبارات وألفاظ، قد لا يقبل بها العقل وتأباها الفطرة السليمة مثل: انزلاق الرصاص على جسد الضحية، اختراقه للباس دون أن تصاب الضحية بالأذى، محاولة إيقاظ الضحيتين تحت وابل من الرصاص... فهذه عبارات تحتاج إلى تأمل ونظر، وتدعو إلى الدهشة والإعجاب كذلك.

لا شك أن الذي يحيي العظام وهي رميم قادر على أن يجعل الرصاص يسري على جسد الضحية بردا وسلاما، غير أن هذه المكرمات يخص بها المولى خاصة الخاصة من البشر، نرجو أن يكون هؤلاء منهم، إن ما جاء به الرائد: هلايلي في كتابه الآنف الذكر كضحية وكشاهد على حادثة محاولة الاغتيال يختلف اختلافا بيّنا عما جاء في شهادة: صالح قوجيل الذي شهد الواقعة بدوره ونقل إلينا صورة مغايرة كشف فيها عن ملابسات أخرى نقلها عنه الرائد مصطفى مراردة في مذكراته، الصفحة: 227 والصالح قوجيل يقول عنه أمراردة أنه كان أحد المقربين جدا من عجول ومن الفاعلين في الأحداث في تلك المرحلة ويفترض فيه أن يكون عنصرا حياديا وإيجابيا ولا ينتمي لأية حساسية سواء كانت ذات طابع تنظيمي أو سياسي أو قبلي عشائري. يقول الصالح قوجيل: «عندما وصل عميروش إلى مكان يسمى «عالي الناس» اعترض طريقهم جماعة من المجاهدين الذين انشقوا عن عجول، ورفضوا السّماح لهم بالمرور، وقالوا لهم مادام عجول معكم فلا ثقة لنا بكم ولن نسمح لكم بالمرور[1]» فهؤلاء المعترضون هم جنود انشقوا عن عجول حسب قوجيل، وليسوا من جيش النمامشة الذي ينكر هلايلي وجوده هناك، ويضيف قوجيل «وكنا ما نزال – مع محمد بوعزة – في ذلك المكان: وادي غسكيل – وقد استدعينا جماعة أمشونش الذين كانوا قد انفصلوا عن عجول وكان عددهم مابين 15 إلى 20 جندي، وعند وصولهم رآهم عجول... فبعث إلينا برسالة يقول فيها هؤلاء جماعة أمشونش عندما انشقوا عني أخذوا سلاح جنودي ولا بد أن يعيدوه وإلا...[2]» ويستطرد قوجيل مضيفا أنه عندما قرأنا الرسالة تشاورنا فيما بيننا، فطلبت من سي محمد أن يسمح لي بالذهاب إليه (عجول) لعليّ أتمكن من التفاهم معه.. عندما وصلت إلى عجول، قال: جاءتكم البرقية؟ فقلت له: نعم، ولذلك جئت إليك.. رجعت إلى سي محمد بوعزة (يقول قوجيل) وأطلعته على ما جرى بيني وبين عجول ثم تحادثنا مع جماعة أمشونش، ونصحناهم بالهدوء والعودة من حيث جاءوا على أساس أن نعيد معهم الاتصال فيما بعد.. في المساء غيّرنا المكان تحسبا لكل الاحتمالات، فجاءنا اتصال من سيدي علي

1)– مذكرات الرائد: مصطفى مراردة، ص: 227.

2)- المرجع نفسه.

وفيه أخبار برجوع عميروش ومن معه، وأن اجتماعا سيعقد هناك... لما علم عجول بعودة الجماعة (جماعة عميروش) انطلق مباشرة إلى سيدي علي، ولم يذهب إلى القبائل، ولما وصل حاول أن يبرر لعميروش ومن معه سبب عدم ذهابه إلى القبائل بافتعال قضية السّلاح الذي لم ننتزعه من المنشقين عنه...

التحقنا بسيدي علي في العشرين من أكتوبر ولما وصلنا سألنا الجماعة عما فعلناه مع عجول وعن سبب تدخلنا فيما بينه وبين جماعة أمشونش وأن عجولا غاضب بسبب ذلك، ولما تم عقد اجتماع حضره كل القادة عدا عجولا، أوضحنا يقول «قوجيل» أنا ومحمد بوعزة للجماعة ما جرى بيننا وبين عجول، فأدركوا أنه كان يريد أن يوقعهم في مكيدة... ولذلك قال أحد الحاضرين، لعله يريد أن يوقعنا في مكيدة كتلك التي وقعت لعباس لغرور في تونس، ولذلك تم الاتفاق بين الحاضرين إلى ضرورة انطلاق عجول إلى لقاء (c c e) لجنة التنسيق والتنفيذ، ولابد أن نكلمه في هذا الأمر لكي يغادر إلى هناك، واتفق الجماعة على أن يذهب إليه كل من: علي مشيش ومسعود بلعقون ويوسف اليعلاوي، ومعهم جنديان من جنود عميروش، ثم رفعت الجلسة لتنفيذ المهمة...

عجول لم يحضر الاجتماع، وإنما كان مرابطا في أحد البيوت الخربة، وكان قد ترك جنوده مختبئين للحراسة في مرتفع مقابل ولم يبق معه سوى شابين صغيرين كحارسين له[1] «كل من الحاج لخضر وحيحي مكي كانا صديقين لعجول ولذلك ذهبا إليه وجلسا معه يتبادلون أطراف الحديث، أما نحن: صالح قوجيل ومحمد بوعزة، والصادق بوكريشة، وأحمد زروال، فقد انطلقنا مع الجماعة المذكورين الذين عيناهم للذهاب إلى عجول، فلما وصلنا بقينا نحن وراء الدّار وتقدموا هم إلى بابها، وهنا عجول، بمجرد أن رأى علي مشيش اعتقد أنه جاء من عند مسعود بن عيسى ليقتله فأخرج مسدّسا من جيبه وضربهم به، وأطلق حراسه النار فرد عليهم الجماعة مما أدى إلى إصابة عجول في بطنه ويده وموت حارسيه ثم هروبه وانسحابه[2]» يعلق حسين

1)- مذكرات الرائد: مصطفى أمراردة، ص: 228 – 229.

2)- مذكرات الرائد: مصطفى أمراردة المرجع السابق.

بن معلم على العملية، فيقول: «تحير المسؤولون الحاضرون من سلوك عجول، الذي اعتبروه مشكوكا فيه، وخصوصا بعدما صرح للحاج لخضر، والطاهر أنويشي بأنه غير ممكن التخلي عن ناحيته التي يسعى لاسترجاعها مهما كلف الأمر[1]».

ولكي يؤكد لنا صالح قوجيل حضوره هذا المشهد الدرامي المريع يضيف قائلا: «وقد أصيب أحمد أزروال – الذي لم يرد ذكره بين العناصر المكلفة بالمهمة – في رأسه فسقط على صدري، وكنت أعتقد أنها مجرد إصابة غير قاتلة، وفيما أمسكته من ذراعيه حمله الصادق بوكريشة من رجليه وهربنا به إلى مكان آخر[2]».

هذا السرد من قبل المجاهد: صالح قوجيل الذي حضر المشهد كمسؤول وأعني بالمسؤول هنا أنه كان يتابع الحدث عن كثب وكطرف فاعل، وقد ألمّ بالتأكيد بالحيثيات التي حملت الطرفين على تبادل لإطلاق النار عن سبق إصرار أو كان ذلك نتيجة توهم بمحاولة اعتداء وبه يكون قد قطع ما تبقى من وشائج الثقة المتبادلة بين عجول كطرف وبين عميروش والجماعة التي تحيط به.

فالقارئ المتمعن لهذا الحديث الذي أدلى به المجاهد: الصالح قوجيل، وهو ممن عاشوا الحدث يلاحظ أن السرد محكم والصيغة التي حيكت بها الأحداث ممكنة... وقد ذكر الشاهد من بين العناصر التي حضرت الواقعة عناصر مسؤولة مثل: الحاج لخضر ويوسف اليعلاوي، مسعود بلعقون وعلي مشيشي، وهذه العناصر التي عاشت الحدث أو شاركت في صنعه قدّر لها أن تعيش وأن تشهد الاستقلال... والمؤسف أن السيد: مراردة صاحب المذكرات التي اقتبسنا منها هاته الفقرات لم يذكر التاريخ الذي حاور فيه المجاهد: الصالح قوجيل، وما إذا كان ذلك في أثناء حياة هؤلاء المجاهدين الشهود.

وقد تناول كذلك اللواء: حسين بن معلم في مذكراته الموضوع كشاهد على الحدث، يقول فيه: «عند الغروب دخل عجول رفقة حراسه الأربعة في مسكننا،

1)- عن مذكرات اللواء حسين بن معلم الجزء الأول، ص: 87.

2)- مذكرات الرائد مصطفى مراردة.

كنت متواجدا شخصيا في تلك الغرفة كان هو ورجاله متكئين على الجدار سيقانهم ممدودة في حالة استعداد لإطلاق النار تحت الأغطية، كانوا يقظين ولم يناموا بعمق خلافا لما قيل وكتب في هذا الشأن، قرب الموقد كان الحاج لخضر منشغلا بتحضير القهوة إلى جانبه جهاز الراديو... يبث الأخبار... حيحي مكي وأنا كنا نتحدث في ركن بالقاعة فجأة دخل على مشيش متبوعا بمحاربين مشوا توًّا نحو عجول الذي أطلق النار صوبهم متبوعا بحراسه... كان على الآخرين أن يردوا[1] ...إن القراءة المتأنية تحملنا على الاعتقاد أن لهذه المأساة مقدمات وأسباب مفتعلة كانت بدايتها التهم المنسوبة إلى عاجل بالتخلي عن مسؤولياته في متابعة سير الأحداث في الناحية الغربية من الأوراس من قبل عمر بن بولعيد، ونهايتها أزمة أخرى مفتعلة من قبل عجول هذه المرة، عندما حاول تجريد جنود كانوا قد انشقوا عنه لولا تدخل محمد بوعزة وصالح قوجيل - حسب تصريحه - لتحولت المحاولة إلى تصادم والتصادم إلى مأساة، فاتخذها ذريعة وامتنع عن الذهاب إلى القبائل – حسب تعبيرهم –

اعتقد أنه لو تحلى عجول بشيء من المرونة وقدر من المطاوعة واندمج وسط الجماعة التي كانت تتحرك مع عميروش، وأن لا ينزوي مع جنوده بعيدا عن الجماعة وأن يُحمِّل عميروش مسؤولية أمنه وسلامته، حتى إذا عاد عميروش إلى الولاية الثالثة حيث لجنة التنسيق سار معه، وهناك تبت اللجنة في أمره، لكان ذلك خير له.

استسلام عجول

شكّلت هذه المحاولة محاولة الاغتيال صدمة عنيفة أصابت عجول في الصميم فلم يتقبل الصدمة وارتمى في أحضان عدوه، وقد أظهرته كاميرات العدو في روبورتاجات قامت بها مصالح الاستعلامات الفرنسية للترويج لاستسلام قائد من قادة الثورة، وللكشف عن الخلافات التي تمزّق صفوف الثورة في الأوراس.

يجمع كل الرواة على أن عجولا قد استخدم سلاحه (مسدس) وتمكن من قتل أحد المهاجمين وهو «أحمد أزروال» حسب الرائد هلايلي وصالح قوجيل، وانتهت العملية بانسحاب عجول الجريح إلى فصيلته للاحتماء بها، وانسحاب عميروش ومن

---

1)- مذكرات اللواء: حسين بن معلم – الجزء الأول – ص: 87.

معه إلى ناحية شلية يقول الرائد هلايلي: «وبعد أن هدأت عاصفة المؤامرة جمعنا عميروش في ساحة أمام الكوخ الذي كان يقيم به، وبدأ خطابه قائلا: لقد ابتلى الله الأوراس بطامات تريد السيطرة عليه، ولابد من القضاء عليها بكل الوسائل»، ويعلق هلايلي على خطاب عميروش قائلا: فمدلول عبارات عميروش تعطي نفس مدلول عبارات سي حسين بن معلم، عندما قال: «كنا نرفض وجود دويلات في الأوراس[1]»، وهذه العبارات التي تثير حيرة الرائد: هلايلي لأنها صادرة عن أطراف أخرى يعتبرها خارجية، نتقزز منها نحن سكان الأوراس بدورنا لأنها تدل على تشرذمنا وتفكك عناصر وحدتنا وسقوط هيبتنا نتيجة خلافات بين سادتنا وكبرائنا، لكنها كانت حقائق ثابتة لا بد أن نعترف بها.



عاجل عجول في حديث مع مسؤول جهاز الاستعلامات للشؤون العسكرية

1)- شاهد على الثورة في الأوراس، للرائد: هلائلي، ص: 286.

هناك بعض المصادر تتحدث عن محاولة عجول الاتصال بالرائد: عميروش بعد الانسحاب للمصالحة أو للتحاور، غير أن عميروش صمّ أذنيه ورفض الاستجابة لطلب عجول، وهو ما أشار إليه الرائد هلايلي في كتابه: شاهد على الثورة في الأوراس، وذكره أيضا محمد زروال، في إشكالية القيادة – الولاية الأولى – وقد أعطى هلايلي لهذه المحاولة صفة اليد الممدودة لعجول، غير أنه لم يشر إلى العنصر الوسيط ليكون سندا لحديثه وحجة لعجول على الرائد عميروش الذي رفض الاستجابة ويرفض حسين بن معلم – كشاهد – في مذكراته – الجزء الأول أن يكون عجول قد اتصل بعميروش بعد الواقعة فهو يقول: «منذ مغادرته المضطربة سيدي علي لم يصلنا أي خبر في شأنه إلى أن جاء اليوم الذي علمنا فيه بأنه سلم نفسه للجيش الفرنسي، لم يحاول الاتصال بنا من جديد قط»[1].

وقد تركت هذه الحادثة آثارا نفسية خطيرة، وضعت عجولا بين نارين، إما الدخول في مواجهة غير متكافئة مع قادة آخرين يناصبونه العداء على عدة جبهات، وإما الاستسلام للعدو والتضحية بشرف جهاده وبسنوات طويلة من النضال، وكان بإمكانه أن يفكر في حل ثالث، وهو الذهاب إلى تونس عبر الصحراء وخارج الحيز الذي ينشط فيه جيش النمامشة، عبر أراضي تتواجد بها أفواج من جيش السوافة الذين يخضعون لقيادته ويكنون له الاحترام، فقد حاول - حسب محمد زروال – في إشكالية القيادة في شهادة شخصية لعجول حيث يقول: «وقد حاولت عدة مرات مراسلة منفذي هذه المؤامرة بهدف التحاور معهم، ولكنهم لم يردوا على مراسلاتي قط، ولذلك فقد بقيت معزولا أنا وأصحابي عن بقية المجاهدين، ولكن هذا الوضع لم يدم طويلا، فقد بدأ أصحابي يتفرقون عني الواحد تلو الآخر...فلم يبق معي إلا ابن أختي مدة 25 يوما، فقد نصح لي أبي أن أستسلم للعدو، وكذلك فعلت[2]».

بلغ الأسف والأسى عند عجول منتهاه وانسدت في وجهه كل السبل، ولا شك أنه يكون قد تردد كثيرا قبل أن يقدم على الارتماء في أحضان من كان له عدوا بالأمس، فقد

1)- مذكرات اللواء: حسين بن معلم الجزء الأول ص: 88.

2)– إشكالية القيادة في الثورة الجزائرية لـ/ محمد زروال، ص: 287 – 288.

كان وطنيا ممتازا وقائدا من قادة الثورة المحنكين في منطقة مصنفة في دوائر الاستعمار في خانة خطر. فكان الاستسلام بالنسبة إليه انتحارا لأنه مخالف تماما للقناعة التي تشبع بها وللوطنية الصادقة التي كان يتحلى بها، لكنه كان يرى أنه الحل الذي يحفظ له الحياة وهو أهون في نظره من الوقوع في يد خصومه، فبعد أسبوع من التردد حسب بعض المراجع و 25 يوما حسب ما جاء في إشكالية القيادة، أعدّ له والده اتصالا مع جيش الاحتلال في زريبة الوادي، فكانت النكبة، قائد من قادة الثورة يستسلم للاستعمار!غير أن ما لم يتعرض له الرائد: هلايلي الذي اعتمدنا على كتابه: شاهد على الثورة كمرجع، والذي تناول الموضوع بشيء من التفصيل ومن التأثر أيضا، هو موقف الوحدات التي كانت تعمل تحت قيادته، فيما يصفه هلايلي بسكتور عجول، ولا أعني بذلك الفصيلة التي كانت تحرسه والتي يقدر عدد أفرادها بـ 26 جندي مسلحين تسليحا جيدا ومزودين برشاس 29/24 الذي يعد أحسن سلاح تمتلكه الوحدات خلال تلك المرحلة، لكنني أعني جميع الوحدات التي كانت تعمل تحت قيادته.. وهو القائد المطيع المحترم بين جنوده ووسط قبيلته التي تمركز ضمن نطاقها الجغرافي، لماذا لم يبق معه في الأخير سوى ابن أخته؟ وكيف تخلت عنه بقية الفصائل والوحدات التي كان يحتمي بها، ولا تدعمه أو تحميه إلى أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود... فالحكم الصادر ضده من قبل عميروش وحاشيته لا يدفع به إلى التخلي عن المبادئ التي تشبع بها، فبإمكانه أن يبحث عن وسيلة اتصال بلجنة التنسيق لتعيد النظر في الموضوع.

يورد صاحب كتاب: شاهد على الثورة في الأوراس خبرا لم نعثر عليه عند غيره، وهو أن والد عجول هو الذي أفشى سرّ مكان تواجد ابنه (عجول) الجريح، ففاجأه العدو في مكمنه وقبض عليه، وقد أشار إلى مراجع أجنبية ترجح هذا الاعتقاد، وهو ما لم يشر إليه عجول نفسه في حوار طويل أجرته معه جمعية أول نوفمبر لحماية مآثر الثورة بباتنة بتاريخ 1985/9/3 بمقر منظمة المجاهدين – بباتنة – وبالرغم من أن هذا الاحتمال وارد من حيث الشكل، غير أن فرضية الاستسلام الطّوعي تؤكدها عدة قرائن منها:

1) التسجيل الذي قامت به المصالح الفرنسية عند استسلامه لغرض التشهير به.

2) العبارة التي تلفظ بها لاكوست الوالي العام للجزائر آنذاك الذي علق على عملية الاستسلام بقوله «استسلام عجول أول الغيث».

3) الحرية النسبية الممنوحة لشخص عجول بعد استسلامه... حرية الإقامة، حرية التنقل، حرية الاتصال ببعض الأشخاص، فهذه الحرية غير مكفولة عادة للعناصر التي يلقي عليها القبض، فكانت – هذه العناصر – تستجوب وتعذب وتسجن وقد تعدم... وأوضح مثال لدينا الشهيد: ابن مهيدي... وهذا ما لم يتعرض له عجول...

حاولت الفرق الإدارية المتخصصة في الشؤون الأهلية استخدام عجول – كقائد استسلم – للتأثير على نفسيات المواطنين وإضعاف معنوياتهم، من خلال التجمعات القسرية للمواطنين التي كانت تنظمها، وتحضر عجولا ليخطب في الناس، فكان يكتفي بعبارات موجزة تؤكد أن الوطنية بقيت راسخة عنده رغم الذي صنع، فكان يقول بإيجاز: «قولوا لأبنائكم عودوا إلى دياركم وعليكم الأمان وأنتم تعرفون ما يليق بكم» «اختلفنا في الرأي، فذلك سبب عودتي».

كثير من الناس كانوا يتفهمون الوضع ويقدرون ظروف استسلامه.

تتحدث بعض المراجع بأن عجولا نقل فور تسليم نفسه إلى الجزائر العاصمة حيث تم استجوابه من قبل مختصين في المباحث لاعتقادهم باحتمال تكتمه على أسرار تتعلق بالثورة كونه قائد منطقة هامة بالنيابة منذ اندلاع الثورة، وقد مكث في الجزائر العاصمة مدة شهر كامل، وبعد أن استنفدت السلطات العسكرية الفرنسية جعبتها من الأسئلة حول قضايا كانت تثير انشغالها،أعيد إلى مقر إقامته ثم أعلن عن استسلامه.

فحسب الرائد هلايلي دائما، فإن عجولا كان يقتصر على إجابة واحدة أمام سيل من الأسئلة كانت تنهال عليه، فكان يرد عنها: «أنا قائد كبير لا أعرف شيئا عن مراكز جيش التحرير التي تتغير باستمرار، أعرف أسماء المسؤولين وعدد الوحدات ونوع الأسلحة، ولكن لا أعرف شيئا عن المراكز والتنظيمات المدنية والعسكرية لأنها من مهام مرؤوسي[1]»... وتتحدث مراجع أخرى بأن عجولا قد كشف لسلطة الاحتلال عن بعض المخازن (مخابئ)، لكنها ليست ذات قيمة... وقد حاول عجول أن يبرئ نفسه مما فعل وأن يثبت للقيادات بأن ذلك قد حصل دون إرادة منه، وظل طوال سنوات الثورة يبحث عن وسيلة تمكنه من الوصول إلى لجنة التنسيق والتنفيذ لعلها تعيد إليه الاعتبار والمجد الضائع، لكن هيهات، فلا لجنة التنسيق سمعت

1)– شاهد على الثورة في الأوراس للرائد هلايلي، ص: 298.

نداءاته، ولا الحكومات المؤقتة استجابت لطلب مثوله أمام المحكمة حيث يؤكد براءته مما نسب إليه، فكانت جميع الأطراف التي كان يراسلها ترى أن الرجل قد تجاوزته الأحداث وأن ما حدث صار شيء من الماضي فلم تكن تعير لمراسلاته اهتماما، وكان من بين الإطارات التي راسلها الرائد: عبد الله بلهوشات الذي دخل إلى الأوراس في مهمة رقابة بمعية أحمد أنواورة، لمحاولة إيجاد صيغة للتفاهم مع المنشقين، وهذا سنة 1957 ومما يرويه العقيد: الزبيري آخر قادة الأوراس التاريخيين أنه اجتمع بالنقيب: محمد الصالح يحياوي قائد المنطقة الثانية بالولاية الأولى وبحثا أمر عجول أحد قادة الأوراس، وأردتُ (يقول الزبيري) استمالته وامتصاص حنقه وغضبه اتجاه المجاهدين.

... بعد أن بلغتني محاولاته الاتصال بقيادة الثورة قصد الدفاع عن نفسه تهمة الخيانة التي ألصقت به وتبرير إعدامه لشيحاني... وكتبت مع النقيب يحياوي رسالة إلى عجول الذي كان مقيما في مركز من مراكز العدو «بتكوت» فقلت له: «كنت من الأوائل الذين رفعوا لواء الجهاد في هذه الولاية، فكّر قليلا في بلدك وفي شعبك» وتحرك يحياوي مع بعض المجاهدين في أطراف تكوت لإرسال هذه الرسالة إلى عجول إلا أنه وقع في كمين للجيش الفرنسي، وسقطت من يده المحفظة التي بداخلها الرسالة فوقعت في أيدي العساكر الفرنسيين فجاءه الضباط الفرنسيون حاملين معهم الرسالة بعد أن وقعت في أيديهم، وسألوه عن أمرها... فأراد عجول تبديد شكوكهم فقال لهم: حاولوا معي كثيرا لكنهم لم ينالوا مني مرادهم[1]» وقد كان عجول من خلال مراسلاته حسب الرائد: هلايلي دائما «يؤكد لقادة الولاية بأنه مستعد للالتحاق بالثورة إن ائتمن على حياته، وسيصحب معه كل الحركي في محيط آريس بقيادة (القائد السبتي) و(الصالح بن عمار فروجي) وعددهم يزيد عن 600 مسلح ولكن لا أحد رد عليه[2]».

يستطيع عجول الالتحاق بالثورة متى شاء، بعد أن تم تحييد خصومه الألداء مثل: عمر بن بولعيد، وعائسي مسعود، والطاهر أنويشي واشريط بالإبعاد أو بالموت، وستنقله القيادات المسؤولة إلى الجهة الوصيّة للنظر في شأنه، لأن الكثير من المجاهدين

1)– آخر قادة الأوراس التاريخيين العقيد الطاهر الزبيري، ص: 258 – 259.

2)– شاهد على الثورة في الأوراس للرائد هلايلي، ص: 298.

يقدّرون الظروف الصعبة التي مرّ بها والتي دفعت به إلى الاستسلام، أما أن يصحب معه 600 حركي ممن كانوا يعملون تحت قيادة: القائد السبتي والصالح بن عمار، فهذا أبعد من نجوم السماء بالرغم من أن بعض العناصر القيادية مثل القائد السبتي استيقظت ضمائرها بعد لأي وتأكدت أن استمرارية الحرب سوف تؤدي حتما إلى حصول الجزائر على استقلالها، وقد عرض القائد السبتي خدماته على الحاج لخضر عندما كان قائدا للولاية[1]»، غير أن معظم الحركي ظلوا أوفياء لمبدإ الخيانة حتى آخر لحظة، وأوضح مثال لدينا ما جاء في مذكرات العقيد الزبيري آخر قادة الأوراس التاريخيين الصفحة 269، وما أشار إليه الرائد: هلايلي نفسه في كتابه المرجع من أن 500 حركي، حسب الزبيري وأزيد من: 300 حسب هلايلي الصفحة: 422 استجابوا لنداء منظمة الجيش السري، والتحقوا بالجبال لاستئناف الحرب، بالرغم من أنهم لاحظوا القوات الفرنسي، وهي تطوي أعلامها إيذانا بالرحيل وإعلانا عن انتهاء الحرب وحصول الجزائر على استقلالها، فلم يسع ذلك صدورهم وشمّروا عن سواعدهم لاستئناف القتال ضد دولتهم. فاستطاع قائد الولاية أن يهدئ من روعهم وأن يطمئنهم ويشتت شملهم بوعود انتهت بتجريدهم من السلاح، فمثل هؤلاء من الصعب تكوين قناعات لديهم بسلامة المنهج الوطني، ومحاولة إدماجهم في وحدات جيش التحرير، بعد أن ارتكب الكثير منهم من الجرائم ما يندى له الجبين، وكانوا أشدّ حقدا على الثورة من الكولون أنفسهم.

أما عن عرض دوغول بعد عودته إلى الحكم بنقله (عجول) إلى فرنسا، فهو لغرض استغلاله كورقة لخدمة السياسة الاستعمارية. ولا شك أن عجولا قد تفطّن إلى ذلك، فقد استغل الرئيس الفرنسي "روني كوتي" الذي سبق دوغول في الحكم النائب: علي شكّال للتحدث باسم الشعب الجزائري، فراح شكّال يدلي بتصريحات تسيء إلى الثورة وإلى الوطن الجزائري الذي تنكّر له بتاتا ومنها: "أن الجزائر لم تكن قط دولة ذات سيادة ولن تكون أبدا"[2]. ولم يكتف الأمير شكّال بذلك بل قام بجولة عبر مدن واشنطن

1)- إشكالية القيادة لـ/ محمد زروال، ص: 340.

2)- خصومات تاريخية: لـ/محمد عباس، ص: 291-293.

وشيكاغو..... لتقديم سلسلة من المحاضرات.. تظهر جبهة التحرير كخليط من الأحزاب في خدمة الشيوعية".. فترصّده الفدائي: محمد بن صدوق أثناء مقابلة لكرة القدم بملعب كولومب بفرنسا في 26 ماي 1957، وهناك سدّد إليه رصاصة من مسدّسه فأنهى بذلك حياته" وهو جالس إلى جانب الرئيس: "روني كوتي"[1].

وحاول دوغول بعده أن يستغل النائب: عبد الرحمان فارس الذي كان على علاقة خفيّة بالجبهة فأغراه بمنصب في الحكومة الفرنسية كممثل للشعب الجزائري، وقد ألمح إلى ذلك دوغول في مذكراته "الأمل" حيث يقول: "وقد اقترحت على فارس أن يشترك في حكومتي بصفة وزير دولة ليتولى التدابير المتعلقة بمصير الجزائر"[2].. غير أن ذكاء وفطنة فارس جعلته يتخطّى هذا الطعم المسموم.

ولا شك أن عرض دوغول على عجول يندرج في هذا المسعى.. ظل عجول ينتظر الاستقلال للمثول أمام محكمة ثورية ليؤكّد براءته وينفي عن نفسه ما نسب إليه من الخيانة، غير أن نظام ابن بله ألقى به في السجن بتهمة الخيانة.. يقول العقيد: الزبيري في تعليق له على هذا الموضوع: "وعند استقلال الجزائر رفض عجول الهروب إلى فرنسا، كما فعل الكثير من الحركى، وبقي في الأرض التي كافح يوما ليرى شمس الحرية تشرق عليها... ورمى به أحمد بن بله في السجن بعد الاستقلال بتهمة الخيانة، لكنني عندما أصبحت قائدا لأركان الجيش الوطني الشعبي، كلّمت الرئيس: ابن بله، والعقيد: هواري بومدين وزير الدفاع وتشفّعت لعجول الذي كان في وقت ما قائدي، وطلبت منهما إطلاق سراحه، نظرا لكبر سنّه من جهة، كما أن قضية خيانته للثور ة أمر يحتاج إلى بحث وتحقيق للوصول إلى الحقيقة من جهة أخرى، فقبل ابن بله شفاعتي، وأطلق سراح عجول رفقة القائد السبتي"[3].

اعتزل عجول الحياة المدنية، وعاش بقية حياته في القرية بعيدا عن المجتمع.

---

1)– خصومات تاريخية: لـ/محمد عباس، المرجع نفسه.

2)– مذكرات –الأمل– للجنرال: دوغول، ص: 70.

3)– مذكرات العقيد الزبيري آخر قادة الأوراس التاريخيين، ص: 169.

ولعل أحسن مبادرة قام بها في آخر أيام حياته المضطربة تلبيّته بصدر رحب لطلب: جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة في الأوراس التي قامت باستجوابه في 3 سبتمبر 1985، بمقر منظمة المجاهدين -بباتنة- فأدلى للجمعية بتصريحات هامة قد لا يتوفّر عليها غيره من المناضلين ومن القادة الذين عايشوه. وبالرغم من تراكم الأحداث وتعاقب السنين، فقد ظل عجول يتذكر تلك الأحداث التي عانى من آثارها كثيرا... وهذا لا يعني أن كل ما ورد من تصريحات أدلى بها للجمعية هو عين الحقيقة. فبعض الأقوال تحتاج إلى تأمل عميق لمعرفة أبعادها، لأن المعني طرف فيها ومن الصّعب على الإنسان أن يتجرّد من الذاتية وان يتحدّث أو يعمل ضد القناعة التي دافع من أجلها سواء كان مخطئا أم مصيبا.

غير أن كثيرا من المحطات التاريخية ظل ملمّا بها... وتبقى له وجهة نظره فيما يرويه من أحداث وما يعبّر عنه من مواقف، وليس بالضرورة أن تتّفق مع وجهات نظر شخصيات أخرى معاصرة له.

غير أنها كانت فرصة ثمينة له ليدلي بما كان ينطوي عليه من أسرار باعتباره كان يمثل لسنوات الشخصية المحورية في الأوراس فقد أدلى بها لجمعية أول نوفمبر التي تشرفت بحضوره لمقر منظمة المجاهدين في التاريخ المذكور أعلاه.

من صنع مأساة عجول؟

مشاهد عديدة تُعرض على القارئ وروايات مختلفة وتناقضات صارخة تثير حيرة كل متمعّن يريد معرفة الحقيقة -حقيقة ما جرى- حتى يهدأ قلبه وتطمئن نفسه لجودة المعلومة وصحّة الخبر.

بعض هذه المشاهد مدوّنة في كتب متداولة أمست مراجع يستند إليها الباحثون والكُتّاب والمهتمّون. غير أن تناقض الرّوايات تجعل القارئ أو الباحث لا يطمئن إلى صحة الخبر ودقّة المعلومة دائما، وقد يدفعه ذلك إلى محاولة إعمال عقله في بعض الفصول فقد يصيب وقد يخطئ، لأن التاريخ أحداث ووقائع يجب أن تدوّن كما حدثت، وليست مجالا للاجتهاد أو التنميق أو التزيين، وهذه الأفعال لا تصدر عادة إلاّ عمّن شعر بالنقص.

يقول "محمد زروال" في إشكالية القيادة في وصف مقدمات اللّمسات الأخيرة من هذه المؤامرة، كما تصفها بعض الكتب "عندما رأى الحاج لخضر أنّ النّوم يداعب جفونه (عجول) غادر الملجأ، واتّجه بخطى حثيثة إلى الملجأ المخصّص للطاهر أنويشي، ولكن أحد المجاهدين قال له: إن المسؤولين مجتمعون، ويجب أن لا تدخل عليهم، ولكن الحاج لخضر بغلظته المعهودة دفع ذلك الجندي جانبا ودخل على المجتمعين. وكان هؤلاء المجتمعون هم: عميروش، الطاهر أنويشي، علي بن مشيش، مسعود بن عيسى، عمار أمعاش، وآخرين – لم يذكر أسماءهم – كان هؤلاء يدور بينهم حديث مشبوه إن لم نقل مؤامرة....وعندما دخل عليهم الحاج لخضر فإنهم سكتوا، عندئذ سألهم هذا الأخير بعنف! ماذا تفعلون كلّكم هنا؟ فأجابه عميروش بصوت هادئ: لا شيء لا شيء، هل القهوة جاهزة استبقنا فإننا سنتبعك"[1]. هذا الوصف الذي نقله إلينا محمد زروال الذي لم يحدّد مصدره أو يذكر اسم الراوي حتى يتمكّن القارئ أو المهتمّ من تبنّي المعلومة والتسليم بها لم يرد عند غيره، غير أن جلسة كهذه التي جمعت بين عناصر تكنّ كلها العداء لعجول نستطيع أن نصفها بأنها كانت الهدوء الذي يسبق العاصفة. غير أننا نتساءل، ألم يكن بوسع الحاج لخضر الذي تجرّأ وخاطب جمعا من القادة بعنف وحدّة تتنافى ومراعاة قواعد الضيافة لموفد مفوّض من قبل لجنة التنسيق والتنفيذ بالعمل على تقريب وجهات النظر بين القادة في الأوراس أن يفعل شيئا بعد أن اشتمّ رائحة المؤامرة تُحاك ضد شخص غير مجهول لديه بل يصنف من جملة أصدقائه الأوفياء – حسب ما جاء في حديث لقوجيل –.

بعض التصريحات التي صدرت عن الحاج لخضر بعد تنفيذ محاولة الاغتيال في أثناء حوار له مع عميروش تكشف لنا عن موقفه الشخصي مما جرى، وهذه نُتف منها.

"عميروش: لا تنس أيّها الحاج أن لجنة التنسيق والتنفيذ قد أرسلتني هنا لأعيد النظام والهدوء إلى جبال الأوراس.

الحاج لخضر، ينفجر غاضبا، ويقول: أيّ لجنة للتنسيق والتنفيذ إنني لا أعترف بأي لجنة للتنسيق والتنفيذ، لو أنك قتلت عجولا لكنت قد قتلتك! إنني لا أضمن سلامة حياتك إذا لم تغادر على التوّ".... ويضيف زروال: "وبعد ستة عشر عاما من ذلك التاريخ (أي في عام 1972) يصرّح الحاج لخضر لمحمد العربي مداسي بما يأتي:

---

1)– إشكالية القيادة: لـ/محمد زروال، ص: 285.

لقد كان عميروش نفسه ضحيّة لمعلومات كاذبة، إذ كان يعتقد أن حلّ المشكلات في الولاية الأولى يتوقف أساسا على إقصاء عاجل عجول"[1].

ومهما يكن فإن العناصر المحرّضة على فعل الاغتيال والمؤثرة على عميروش أصبحت مكشوفة، وهذه العناصر لها حسابات شخصية مع عجول، بعضها يتعلق بالتسيير مثل: الطاهر أنويشي، وبعضها يتعلق بالمنافسة على السلطة ومحاولة الإقصاء مثل: عمر بن بولعيد، والبعض الآخر نتيجة خلفيات وحساسيّات لا علاقة لها بهذه ولا بتلك مثل: مسعود عائسي وأحمد أزروال وعلي بن مشيش، وهناك عناصر أخرى تكنّ له الحقد، حتى وإن لم تصل إلى مستوى المسؤولية التي تمكنها من تصفية حساباتها معه مثل: محمد أمزيان أملولي الذي كانت له سابقة خطيرة مع عجول سيحتفظ بها إلى أن ينتقم لنفسه منه، وهي التي رواها الرائد: عثمان السعدي الذي حمله عجول – حسبه – رسالة إلى عباس لغرور يطلب فيها منه تنفيذ حكم الإعدام في حق عبد الحفيظ السوفي، ومحمد أمزيان أملولي لارتباطهما بعلاقات خاصة مع فتيات عندما كانوا يدرسون سويّا في خنشلة، فاقتادهما عثمان السعدي في مشهد مثير وهما مكبّلين...

....فلما قرأ عباس الرسالة وفهم المضمون، انفجر ضاحكا – حسب عثمان السعدي – وأمر بإدماج هذين الشابّين في فصيلتي كمقاتلين"[2].

هذه السلوكات الارتجالية كانت تصدر عن عجول وكانت تصدر عن مسؤولين آخرين، وما أكثر ضحاياهم! فقد كانوا يرون أنها سلوكات دينية ووطنية خالصة، وكان ضحاياهم يرون فيها ظلما وعدوانا وتجاوزا للمسؤوليات المناطة بهم وانتقاما وتصفية لحسابات أحيانا، وظلت هذه الأطراف تتحيّن الفرص وتترقّب ضعف سلطة هؤلاء المسؤولين لتشقّ عصا الطاعة وتظهر التحدّي. وبحكم السنّ والمستوى الفكري المحدود، فإن هؤلاء الشباب الذين كانوا يتدفّقون حيوية ونشاطا ويرون أنهم من يصنعون الملاحم ويسجّلون الأحداث، يرفضون الإهانات التي تسيء إلى سمعتهم وإلى مكانتهم الاجتماعية.

---

1)– إشكالية القيادة: لـ/محمد زروال، الصفحة: 290-291، عن مغربلي الرمل لمحمد مداسي.

2)– نفس المرجع، ص: 330.

NT: ET ARMEE DE LIBERATION

NATIONALE.

RAPPORT.

Nous avons quitté le secteur Aibou le Ier Septembre et le 3 de ce m

soir, nous avons rencontré Benboulaid Omar au village El-Ksour (Maadid) avec q
ques responsables régionaux qui sont:

Hadj Lakhdar Région de Batna.
Tahar Nouichi Fous-Toub.
Ahmed Nouaoura Arris.
Ahmed Azoui Chef des groupes volontaires.
Torche Abdelhafid Région de Barika.
Raili Mostéfa Boutaleb et Maadid.
Arnar Mohamed Bouazza Secrétaire général.
Ali Benmaachiche Officier de Benboulaid Omar.

A la première rencontre avec Benboulaid Omar le 3 Septembre à 15 H.
je lui montré le procès-verbal et il m'a demandé de le lire devant les respo
bles ci-dessus et c'est lors de cette reunion qu'il me dit que son frère est

par suite d'un accident de mine.

Le 4/9/ au matin, j'ai fait une reunion qui a duré une demi-heure, j
lu à tous leurs responsables le procès-verbal et ils étaient tous contents de
nouvelle organisation, ensuite, nous avons pris le chemin vers le village Talbe
et c'est dans ce village que j'ai interrogé à, tour de role tous les respons
sur le différend des Aurés.

A ma rencontre avec Benboulaid Omar, celui-ci me déclar que les re
bles lui ont signé une procuration pour être leur chef, il m' a demandé s'il
vois à Alger, j'ai refusé.

Et c'est au village El-Ksour aussi que j'ai recontré le nommé Djab
envoyé par Adjoul apportant avec lui un cachet, une lettre et un paquet de tr
(Ci-joint le Rapport N° I de Djabali).

Le courrier qu'il a apporté a été saisi en cours de route par Benbo
Omar et lorsque je l'ai demandé à celui-ci, il m'a repondu qu'il était aux Au
Djabali m'a déclaré aussi qu'il avait avec lui le nommé Bellagoune Messaoud
convoqué à la réunion mais Omar l'a arrêté et l'a laissé comme prisonnier da

la région d'Ain-Touta.

Interrogés à tour de rôle, les responsables déclarent:

I°)-Hadj Lakhdar:

Apres l'arrestation de Si Mostéfa, Chaihani Bachir a pris sa place
Benboulaid était son adjoint.

Les membres du comité étaient:

Adjoul, Abbas & Aissi Messaoud.

Comité créé après la mort de Si Mostéfa:

Procuration donnée à Ahmed Azoui comme responsable provisoire-Si Mo
Arnar et Si Ali Machiche comme secrétaires, procuration faite le 3/4/ 1956.

J'ai signé la procuration à Omar exceptionnellement pour nous acco
gner en Kabylie.

2°)-Tahar Nouichi Déclare :

Je déclare que le premier Etat-major est constitué de 5 membres:

I°)-Si Mostéfa.

2°)-Chihani.

3°)-Adjoul.

تقرير الرائد: عميروش، مبعوث لجنة التنسيق والتنفيذ إلى الأوراس

Sorciers: Aissi Messaoud = Azoui Meddour – Bellagoun. Messaoud.

Je déclare que Bellagoun Messaoud convoqué par l e comité est venu par l'autorisation de Si Adjoule et Si Abbas, Si Omar l'a arrêté et l'a emprisonné.

Je déclare aussi que Aissi Messaoud a dit: "Nous nommerons un de nos fré comme responsable mieux qu'un autre.

Adjoul a fait un tract dans lequel il a condamné Omar Benboulaid, Aissi Messaoud et Azoui Meddour.

De son coté Aissi Messaoud a donné l'ordre de combattre sans pitié Adjo et ses djoundis.

Si Mostéfa déclare aprés sa libération que les responsables des difficu crées aux Aurés sont Aissi Messaoud et Adjoul et le porte-parole entre ceux-ci es Messaoud Bellagoun.

Comité organisé aprés la mort de Si Mostéfa:
Le Président Azoui Ahmed.
Adjoint Aissi Messaoud.
Secrétaire: Arear Mohamed Bouazza.

Deux mois aprés le président étant incapable de dirriger l'organisatio remit sa confiance à Si Omar en l'absence de Si Hocine, responsable de Bousaada e Mohamed Benmessaoud, r sponsable de M'Chouneche.

J'ai signé la procuration à Si Omar rien que pour nous accopagner en K lie.

3°)-Ahmed Nouaoura:
J'ai signé la procuration à Benboulaid Omar pour nous accompagneren Kal

4°)-Azoui Ahmed:
Nous avons parlé sur ce qui concerne le courrie saisi par Si Omar à D li et nous avons conclu de les apporter à Krim Belkacem. Si Omar m'a dit: "Si vous signez pas la procuration, je ne quitte pas les Aurés.

Tous les membres du comité ont conclu que nous contacterons Adjoul par et non en personne.

5°)-Torche Abdelhafidh
J'ai signé le papier sur la confiance de Si Omar sans savoir ce qui y es écrit.

6°)-Baili Mostéfa:
Jr suis d'accord avec la politique de Omar Benboulaid.

C'est au cours de cette reunion que j'ai découvert que Benboulaid Omar écrit des lettres de menace avec le cachet de la Kabylie et aux noms de Krim, Ouamr et Amirouche et une lettre envoyée par Maitre Maalem, porte-parole de M. Paye, direc général de la politique algérienne qui dit à Si Mostéfa de choisir librement le j des négociations franco-algériennes, une autre lettre adressée à Benbella par Omar mois de Mai de la Kabylie lui demandant le copte rendu de tout ce qu'il a fait, tou ces lettres ont été e achetées parcle tampon de la Kabylie, déclaration faite par Secrétaire personnel de Si, Omar, Bobbache Abderrahamane-Ci-Joint les copies D. 2.

Benboulaid Omar a nié avoir écrit une lettre à Maitre Maalem et un quar d'heure aprés il l'a a firmé devant les personnes qui l'ont vu.

le 19/9/ 1956 ; Réunion de tous les responsables pour confrontation avec Benboulaid Omar.

La réunion a été présidée par Tahar Nouichi. J'ai donné les directives de l'orga nisation nouvelle et des actions générales -D.3.

Aprés avoir teteminé, j'ai demandé de désigner une commission qui m'accomp dans ma tournée de controle et j'ai demandé à chaque responsable de fournir lors d prochaine réunion un rapport sur l'activité financiére et morale du secteur.

Une commission a été constituée de 7 membres qui m'accompagnerent:
1. Benboulaid Ombar.
2. Arear Mohamed Bouazza.
3. Si Ali Benmachiche.

accompagner car il y a avec nous Adjoul et on a décidé qu'il ira d'un coté et nous d'un autre pour nous rencontrer aux Nementchas.

Avant de quitter Sidi-Ali, j'ai rassemblé la plupart des soldats de la région Chélia pour leur presenter leurs nouveaux chefs et la plupart de ces solda ont manifesté contre la nomination d'Ali Machiche car il est du même douar que Si Messaoud et pour faire fin aux manifestations, j'ai désigné Si Ali Nemr comme resp sable militaire et cheikh Youcef politique, tous les deux provisoires, enfin tous l soldats étaient contents de ces deux personnes et j'ai donné l'ordre à tous les dé teurs de regagner immédiatement chacun son ancien secteur et j'ai désigné Amar Moh Bouazza comme responsable provisoire de Kimmel avec un élément désigné par Adjoul

Le soir, nous prîmes la direction d'Ali Nass pour contacter les groupes d Nementchas et nous y sommes arrivés le 11/10/56, nous avons découvert qu'il nous es impossible d'emmener avec nous Adjoul car si on le faisait, on nous laisserait pas p et on lui a donné ordre de retourner à son secteur et nous lui avons remis un lais passer de rejoindre la Kabylie le plus tôt possible; le soir, nous avons contacté un pe de maquisards dont le chef est Si larbi Oumassi qui est sous la responsabilité d Abderrahamane de Tamza qui doivent nous mettre en contact avec les groupes des Nem chas. Nous avons [illegible] trouvé qu'il est impossible d'avancer vers les nementch car il nous est [illegible] que le [illegible] lendemain il y aura un ratissage dans les en rons et nous avons pris la direction de Tamza accompagnés du dit groupe et celui-ci a abandonné en pleine nuit au milieu de la piste à côté d'un poste militaire et il nous ont interdit de les suivre ou ils tireront sur nous. Nous avons pris le chemi sans savoir dans quelle direction à la forêt où nous sommes restés 36 heures sans manger et l'événement nous a obligé de retourner au Djébel Chélia où nous sommes a rivés le 17/10/56 et le lendemain nous avons quitté Chélia vers Sidi-Ali à cause d ratissage.

Comme la reunion est prévue pour le 20/10/56, nous avons convoqué Adjoul y assister car il n'est pas encore aller en Kabylie comme nous avons conclu.

Le 20/10/ après-midi, Adjoul arrive avec son groupe qu'il a installé à la forêt. Une pièce 24 était placée en face de la chambre où nous étions, nous avons tété qu'il n'a plus le caractère d'avant et il a déclaré à Tahar Nouichi qu'il ne jamais son secteur et si quelqu'un essayait de se mêler de ses affaires, il l'abatt et c'est au cours des discussions qu'il a eues avec Hadj Lakhdar et Taher Nouichi nous avons découvert qu'Adjoul était en train de nous préparer un complot, il a déclaré si Mohamed Bouazza continuait à travailler comme nous l'avons informé, il l'abattrai soir, vers 7 h. Adjoul arrive avec 4 de ses djoundis pour passer la nuit avec nous laissant son groupe installé à la forêt en face de notre gite.

A 7 h. 30, j'ai rassemblé tous les responsables pour étudier le cas d'Adj au cours de cette reunion, nous avons décidé de ligoter Adjoul et nous avons désig Personnes pour le faire, dès qu'ils se sont approchés de lui, Adjoul avait déjà le p Met prêt sous les couvertures et tira, il y a eu des coups de feu pendant 4 minutes Adjoul a perdu 4 djoundis et de notre coté un chef de groupe a été tué par les sol d'Adjoul installé à la forêt, tandis que Adjoul blessé, a réussi de s'enfuir.

Après l'événement, nous avons quitté Sidi-Ali pour rejoindre Chélia et l nous avons appris l'arrestation de Bella et ses compagnons, j'ai trouvé qu'il m'est [illegible] sible de franchir les Nementchas car la limite est barrée par les groupes de Tamza Beni-Melloul pour lesquels Benboulaid Omar a fait une propagande leur disant que venu aider la politique de Adjoul.

Le 23 au matin, j'ai désigné les responsables zonaux et régionaux en la p des

Hadj Lahdar	Responsable région Batna.		
Taher Nouichi	d°	d°	Foum-Toub.
Mousoura	d°	d°	Arris.
Torche	d°	d°	Barika.
Ali Machiche.			
Ali Nemor.			

6. Azoui Ahmed.
7. Si Ali Nemer.
J'ai constitué une autre commission chargée d'aller au Sud sous la resp lité de Si Mohamed Chérif Benakcha Aïn-Touta).
La réunion est prévue au 20 Octobre 1956.
Le soir de tous les responsables et djoundis se trouvant dans le dit vi où un commissaire politique Si Toucef a pris la parole et puis ce fût moi qui,à m tour ai fait coprendre tous les soldats sur le différend.
Le lendemain,j'ai chargé un nommé Kabouya Brahim et Mohamed Bouazza de ger un tract comme appel à tous les Moudjahidines de LAA.L.N. D.4.
Aprés quoi,nous primes la direction du Djébel Chélia où nous fumes arri le 28/9/56.
Et c'est là que j'ai trouvé plus de 150 maquisards déserteurs des secteu en particulier de ceux d'Adjoul et Aissi Messaoud,ils sont là sous la responsabili d'Ammar Maache et Ammar Aachi,tous deux déserteurs de l'organisation de Aissi Mes et c'est là où j'ai contacté quelques responsables des assemblées du peuple des do Chélia et Taboue qui ont déclaré que les soldats de LAA.L.N. commettent des actes sauvagerie plus que ceux de l'Armée du Colonialisme,ils disent dans leurs rapport les soldats arrivent même à fouiller les femmes trouvant l'excuse qu'ils cherchent cigarettes.
Le lendemain matin,j'ai rassemblé tous les militaires qui se trouvent du ce djébél et je les ai questionné un par un et déclarent qu'ils ont déserté de chez Aissi Messaoud car il fait la différence entre eux et les soldats qui sont de son douar et a donné ordre dans tous les refuges de ne pas de ne pas les ravitailler leur a donné ordre de combattre Adjoule et ses soldats,j'ai organisé tous les djou en groupes et leur ai donné du travail,avant de partir pour accomplir leur tâche, leur ai donné un rendez-vous dans un village Sidi-Ali qui se trouve aprés une étap Chlia,c'est là que j'ai contacté pour la première fois le nommé Aissi Messaoud.I/
Le lendemain matin,à l'arrivée de la commission désignée,nous avons fait réunion en la presence de BENBOULAID , MASRI MESSAOUD ,TAHAR NOUICHI , EL HADJ LAKHI BEN AKCHA MOHAMED CHERIF , si EL HOCINE EX-RE PORTABLE ud sud
Mohamed ben messaoud responsable de MCHOUNECHE BOUSNEFIA responsable de groupe si ALI ben machiche AMAR MOHAMED BOUAZZA , AMAR MAACHE , si ALI NEMER
C'est au cours de cette reunion que nous avons etudie tous les rapports fournis par les habitants des douars TABOU ET CHELIA et nous avons fait la confrontatio de Aissi Messaoud et Ammar Maache et nous avons étudié tous les rapports des sold fournis contre Aissi Messaoud.

<u>Etude du cas Adjoul:</u>

Organisation de la région de Chelia dirrigée par Aissi Messaoud et nous avons prouvé que celui-ci est incapable de dirriger et déclare qu'il ignore tout ce qui se passe dans la région.
Etude sur le cas des prisonniers faits par Aissi Messaoud.
Etude du cas Mohamed Benmessaoud,responsable de M'Chouneche sur lequel Ai Messoud a donné ordre de l'amener ligoté.
Suspension De Aissi Messaoud de toutes ses responsabilités et nomination d'ali Machiche comme responsable militaire et Ali Nemer,politique,tous les rapports sont remis aux dits responsables pour enquêter.J'ai libéré tous les prisonniers fai par Aissi Messaoud et celui-ci nous a remis les finances,un cachet et les armes qu' a saisies.
Le soir-même,j'ai rencontré Adjoul aux environs de Sidi-Ali,je lui ai mon le procés-verbal de la réunion du 20 aout et je lui ai demandé pour l'intérêt du p de quitter la responsabilité de Kimmel et de m'accompagner en Tunisie,il a accepté.
Le 3/10/ une autre réunion était faite à Sidi Ali en la presence de tous membres de la commission,je leur ai expliqué que Adjoul était d'accord d'abandonner responsabilité et qu'il est prêt à nous accompagner pour toute confrontation.

J'ai envoyé une convocation à Tahar Kouichi pour me suivre en Kabylie.

J'ai envoyé en Kabylie Mohamed Benmessaoud, responsable de M'Chounèch accusé d'avoir apporté le poste qui a servi de la mort de Si Mostéfa, pour l'enquêter. Il est mort à la suite d'un bombardement.

Bellagoune Messaoud accusé de plusieurs meurtres est actuellement en Kabylie mais le temps ne m'a pas permis d'enquêter.

Le 31/10/56, nous avons appris la mort de Si Nasser, je fus obligé de laisser la responsabilité des deux zones à Mohamed Lamouri pour continuer l'organisation des 2 zones en la présence de Benakcha Md Chérif, Torche Abdelhafid, Kahouyn Brahim et [illegible]

//./



هذه نسخة من تقرير الرائد: عميروش إلى لجنة التنسيق والتنفيذ، عن المهمة التي كلف بها في الأوراس خلال شهري: سبتمبر – أكتوبر 1956 نقلا عن كتاب: مذكرات اللواء حسين بن معلم كاتب الرائد: عميروش خلال الرحلة، ومحرر التقرير، حسب ما ورد في مذكراته – الجزء الأول – الصفحة: 95.

تقرير الرائد: عميروش إلى لجنة التنسيق والتنفيذ

غادرنا قطاع أقبو في أول سبتمبر 1956 والتقينا في 3 مساء ابن بولعيد عمر بقرية القصر (معاضيد) مع بعض المسؤولين عن النواحي وهم:

- الحاج لخضر اعبيد محمد الطاهر	مسؤول ناحية باتنة
- طاهر نويشي	مسؤول ناحية بوعريف
- أحمد نواورة	مسؤول ناحية آريس
- أحمد عزوي	قائد أفواج المتطوعين
- طورس عبد الحفيظ	مسؤول ناحية بريكة وأمسيلة
- ارعايلي مصطفى	مسؤول ناحية سطيف وبوطالب ومعاضيد
- عرعار محمد بوعزة	أمين عام المنطقة الثانية
- علي مشيش	ضابط مساعد بن بولعيد عمر

في اللقاء الأول مع ابن بولعيد عمر يوم 3 سبتمبر 1956 على الساعة 15، أطلعته على المحضر فطلب مني أن أقرأه على المسؤولين المذكورين أعلاه، وفي هذا الاجتماع أخبرني عن موت أخيه إثر حادث القنبلة «Mine»

في اليوم الرابع على الساعة 9 صباحا، عقدت اجتماعا استغرق نصف ساعة، قرأت على كل المسؤولين المحضر، أي محضر لجنة التنسيق والتنفيذ، استحسنوا كلهم التنظيم الجديد، إثر ذلك ، سرنا نحو قرية تالبعة «Talbaa» أين استجوبت كل المسؤولين كل على حده حول الخلاف بالأوراس.

عند لقائي مع ابن بولعيد عمر، صرح لي أن المسؤولين أمضوا له تفويضا كتابيا لكي يكون قائدا لهم وطلب إذني لكي يرسله إلى الجزائر فرفضت له ذلك.

وبقرية القصر التقيت أيضا المدعو «جبالي» المبعوث من طرف عاجل عجول ومعه خاتم ورسالة ورزمة مناشير.

أمّا البريد الذي حمله معه فقد تم حجزه أثناء الطريق من طرف بن بولعيد عمر عندما طلبته من هذا الأخير، أجابني أنه موجود بالأوراس، كما صرح لي جبالي أيضا أنه كان مصحوبا بالمدعو بلعقون المسعود الذي استدعى للاجتماع، لكن عمر أوقفه وسجنه بناحية عين التوتة.

بعد استجوابهم تباعها صرح المسؤولون لي بما يلي:

1- الحاج لخضر عبيد:

بعد اعتقال سي مصطفى أخذ شيحاني بشير مكانه وكان ابن بولعيد عمر مساعدا له أما أعضاء اللجنة هم: عاجل عجول، وعباس لغرور وعايسي مسعود، وهي اللجنة المحدثة بعد وفاة سي مصطفى بن بولعيد.

منح تفويض لـ/ أحمد عزوي كمسؤول مؤقت، سي محمد عرعار بوعزة، وسي علي مشيش ككتاب، تم هذا التفويض في 03/04/ 1956.

أمضيت توكيلا لعمر بن بولعيد استثناء لمرافقتنا إلى القبائل

2- تصريح الطاهر أنويشي:

كونا أول قيادة للمنطقة الأولى تتشكل من 5 أعضاء:

- ابن بولعيد مصطفى
- شيحاني بشير
- عاجل عجول
- عباس لغرور
- غمراسن الطاهر انويشي

أمناء الخزينة:

- عايسي مسعود
- عزوي مدور
- بلعقون مسعود

أصرح أن بلعقون المسعود استدعى من طرف اللجنة، فجاء برخصة من عاجل عجول، وسي عباس لغرور، فأوقفه سي عمر بن بولعيد ثم سجنه.

أصرح أيضا أن عائسي مسعود قال: سنعيّن أحد إخواننا كمسؤول أفضل من غيره، أصدر عجول منشورا أدان فيه عمر بن بولعيد، وعايسي مسعود، وعزوي مدور، ومن جهة أخرى أعطى عائسي مسعود أمرا بمقاتلة عجول وجنوده بلا هوادة.

صرح سي مصطفى بعد فراره من السجن أن المسؤولين عن المصائب التي أثيرت بالأوراس هم: عائسي مسعود، وعجول والناطق باسمها المسعود: بلعقون.

اللجنة التي نظمت بعد وفاة سي مصطفى:

- الرئيس عزوي أحمد
- النائب عايسي مسعود
- الكاتب عرعار محمد بوعزة

وبعد شهر، ونظرا لعجز الرئيس عن قيادة التنظيم، فإنه أعاد ثقة المنطقة إلى سي عمر ابن بولعيد في غياب سي حسين عبد السلام، مسؤول بوسعادة ومحمد بن المسعود مسؤول مشونش.

أمضيت وكالة لسي عمر بن بولعيد لأجل مرافقتنا إلى القبائل فقط.

وقد أنكر ابن بولعيد عمر أنه كتب رسالة إلى الأستاذ: على معلم، محامي بباتنة وبعد ربع ساعة من ذلك تراجع وأكد ذلك أمام أشخاص رأوه.

في 10/ 09/ 1956 اجتماع لكل المسؤولين لمواجهة بن بولعيد عمر.

ترأس الاجتماع الطاهر انويشي، أعطيت التعليمات عن التنظيم الجديد والأعمال العامة، بعد أن انتهيت، طلبت تعيين لجنة لترافقني في جولة للمراقبة وطلبت من كل مسؤول تحضير تقرير عن النشاط المالي والأدبي عن قطاعه ليقدمه خلال الاجتماع المقبل.

شكلت لجنة من 7 أعضاء سيرافقونني:

- ابن بولعيد عمر
- عرعار محمد بوعزة
- سي علي بن مشيش
- الطاهر انويشي
- الحاج لخضر
- عزوي أحمد
- سي علي النمر

شكلت لجنة أخرى مكلفة بالذهاب نحو الجنوب تحت مسؤولية سي محمد الشريف بن عكشة مسؤول ناحية (عين التوتة).

قررنا عقد الاجتماع المقبل في 20 أكتوبر 1956، في مساء ذلك اليوم، حضر كل المسؤولين والجنود بهذه القرية، حيث تناول الكلمة المحافظ السياسي الشيخ يوسف اليعلاوي، ثم جاء دوري لأعرف لكل الجنود بالخلاف القائم بين المسؤولين.

3- أحمد نواورة:

أمضيت وكالة إلى ابن بولعيد عمر لمرافقتنا نحو القابل (القبائل).

4- عزوي أحمد:

تحادثنا فيما يخص البريد الذي حجزه سي عمر لدى جبالي أخذناه منه وبعث إلى كريم بلقاسم، قال لي سي عمر: «إذا لم توقعوا لي على الوكالة، فإني لن أغادر الأوراس».

استنتج كل أعضاء اللجنة أن يتصلوا بعجول كتابة ليخبروه بالوضعية شخصيا.

5- طورش عبد الحفيظ:

وقعت على الورقة بناء على ثقتي في سي عمر بن بولعيد دون أن أعلم ما كتب فيها.

6- رعايلي مصطفى:

أنا موافق على سياسة عمر بن بولعيد، فمن خلال هذا الاجتماع اكتشفت أن ابن بولعيد عمر قد كتب رسائل تهديد بختم ولاية القبائل وبأسماء كريم بلقاسم وأوعمران وعميروش، وهناك رسالة مبعوثة من طرف الأستاذ: علي معلم الناطق باسم السيد باي PAYE مدير عام السياسة الجزائرية موجهة إلى مصطفى بن بولعيد التي ورد فيها ما يلي: «بأن له أن يختار بكل حرية يوم المفاوضات الفرنكو... جزائرية، ورسالة أخرى موجهة إلى ابن بله أحمد من طرف عمر في شهر ماي من القابل يطلبه فيها أن يرسل إليه تقريرا عن كل قام به من نشاط»

كل هذه الرسائل تم ختمها بختم القبائل، تصريح أدلى به الكاتب الخاص لـ/سي عمر ابن بولعيد، دباش عبد الرحمان.

وفي اليوم الموالي كلفت المدعو كبوبة إبراهيم، ومحمد بوعزة لتحرير منشور يتضمن نداء لكل المجاهدين بجيش التحرير الوطني.

بعد ذلك توجهنا إلى جبل شليا أين وصلناه يوم 1956/09/28 وهناك وجدت أكثر من 150 جنديا من الهاربين Déserteur من وحداتهم وخاصة التابعين لعجول، وعاشي مسعود، فهم هنا تحت مسؤولية عمار امعاش، وعمار عشي المنصلين من تنظيم عاشي مسعود، وهنا كان لي اتصال ببعض المسؤولين عن اللجان الشعبية بدوارين شليا ويابوس الذين صرحوا لي أن جنود جيش التحرير الوطني يرتكبون أعمالا وحشية تفوق أعمال جيش الاحتلال فهم يقولون في تقاريرهم أن الجنود توصلوا حتى إلى تفتيش النساء بحجة البحث عن السجائر.

في صباح الغد، جمعت كل المجاهدين العسكريين الموجودين بهذا الجبل، وسألتهم واحدا واحدا، فصرحوا أنهم تخلوا عن عاشي مسعود لأنه يميز بينهم وبين الجنود المنتمين لدواره، وأعطى الأمر إلى كل المراكز بعدم تموينهم، وأعطاهم أمرا بمقاتلة عجول وجنوده، فنظمت كل الجنود في أفواج لينطلقوا في العمل قبل مغادرتي شليا للقيام بمهامهم، وحددت لهم لقاء آخر بقرية سيدي علي التي توجد على مرحلة من شليا، وهناك اتصلت لأول مرة بالمسمى عاشي مسعود 01/ 10/ 1956.

في صباح اليوم الموالي، وعند وصول اللجنة المعينة، عقدنا اجتماعا بحضور بن بولعيد عمر، وعايسي مسعود، والطاهر انويشي، والحاج لخضر، وبن عكشة محمد الشريف، وسي الحسين عبد السلام المسؤول السابق عن الجنوب ومحمد بن المسعود قاسمي مشونش وبوستة مصطفى مسؤول الفوج وسي علي بن مشيش ومحمد بوعزة وعمار معاش وسي علي النمر.

وخلال هذا الإجتماع درسنا كل التقارير المقدمة من طرف سكان الدوارين يابوس وشيليا، وقمنا بمواجهة عايسي مسعود وعمار معاش ودرسنا كل تقارير الجنود التي قدمت من طرفهم ضد عايسي مسعود.

دراسة حالة عجول:

تنظيم ناحية شليا التي يقودها عايسي مسعود، تأكدنا من أن هذا الأخير عاجز عن القيادة، بل وصرح أنه يجهل كل ما وقع بالناحية.

دراسة حالة السجناء الذين أوقع بهم عايسي مسعود.

دراسة حالة محمد بن المسعود قاسمي مسؤول ناحية مشونش الذي أمر عايسي بإحضاره مقيدا.

توقيف عايسي مسعود عن كل مسؤولية وتعيين على مشيش كمسؤول عسكري وعلي النمر كمسؤول سياسي، سلمت كل التقارير لهما للتحري. حررت كل المساجين الذين أوقفهم عايسي مسعود ثم طلبنا منه أن يسلم لنا المالية والخاتم والأسلحة التي حجزها، ثم امتثل وسلم لنا ما طلبناه.

في مساء ذلك اليوم التقيت عاجل عجول بنواحي سيدي علي وكان يحضر تقريره ليقدمه في اجتماع 20 أكتوبر 1956 وطلبت منه من أجل مصلحة البلاد أن يترك مسؤولية كيمل ويرافقني إلى تونس، فقبل ذلك.

في 1956/10/03 عقدنا اجتماعا آخر بسيدي علي بحضور كل أعضاء اللجنة، وشرحت لهم أن عجول وافق على التخلي عن مسؤوليته وأنه مستعد لمرافقتنا من غير أي مواجهة مع الآخرين.

وفي هذا الاجتماع رفض عمر بن بولعيد أن يرافقنا...

رفض مرافقتنا لوجود عاجل عجول معنا، فقررنا أن يسلك طريقا آخر، ونحن من جهة (نسلك) أخرى لنلتقي بالنمامشة.

قبل مغادرة (سيدي) علي، جمعت أغلبية الجنود بناحية شليا لأقدم لهم المسؤولين الجدد، فرفض أغلبهم تعيين علي مشيش كمسؤول عسكري لأنه من نفس دوار عايسي مسعود، ولإنهاء هذه الظاهرة عينت سي علي النمر، كمسؤول عسكري، والشيخ يوسف اليعلاوي سياسي، بصفة مؤقتة، وفي الأخير اتفق كل الجنود على هذين الشخصين، وأعطيت الأمر لكل

الهاربين من وحداتهم بالرجوع فورا إلى وحداتهم، وعينت عرعار محمد بوعزة كمسؤول مؤقت عن ناحية كيمل مع عنصر آخر يعين من طرف عجول.

في المساء توجهنا نحو جبل علي الناس للاتصال بأفواج نمامشة، أين وصلناها في 10/11/ 1956، واكتشفنا أنه يستحيل علينا أن نصطحب معنا عجولا، وإن فعلنا ذلك فلن يتركونا نمر، فأعطيناه أمرا بالرجوع إلى قطاعه وسلمناه رخصة مرور للالتحاق بالقبائل في أقرب وقت، في المساء اتصلنا بمجموعة محاربين يرأسهم سي العربي وناسي الذي كان تحت مسؤولية عبد الرحمان عمران من تامزة على أن يربط لنا اتصالا بأفواج نمامشة، فوجدنا أنه يستحيل التقدم نحو النمامشة لأنه بلغنا أنه سيكون هناك تمشيط في الغد بتلك النواحي، فسرنا في الطريق نحو تامزة مرفوقين بهذا الفوج، لكن هذا الأخير تخلى عنا في عز الليل وسط مسلك قريب من مركز عسكري، ثم منعونا من متابعتهم وإلا أطلقوا علينا النار فسرنا في طريق دون دليل داخل الغابة أين بقينا 36 ساعة دون أكل، وأرغمتنا الأحداث على الرجوع إلى جبل شليا الذي وصلناه في 1956/10/17 وفي الغد غادرنا شليا نحو سيدي علي بسبب تمشيط العدو لتلك الجهة.

وبما أن الاجتماع كان مقررا في 20/ 10/ 1956 فقد استدعينا عجولا لحضوره لأنه لم يذهب بعد إلى القبائل كما اتفقنا معه من قبل.

في 2/ 10/ 1956 بعد الظهر، وصل عجول مع فوجه الذي نصبه بالغابة وواجهنا برشاش 24 قبالة الغرفة التي كنا بها، فتأكد لنا أنه لم يعد على نفس السلوك السابق، وصرح للطاهر انويشي أنه لن يغادر قط قطاعه كيمل، وإذا حاول أحد التدخل في شؤونه سيقضي عليه، ومن خلال المناقشات التي دارت مع الحاج لخضر عبيد والطاهر انويشي تكشف لنا أن عجول كان يتربص بنا وصرح أنه إذا كان محمد بوعزة مستمرا في العمل كما أعلمناه سيقضي عليه. في المساء الموالي. الساعة 7 وصل عجول مع جنوده لقضاء الليل معنا، وترك فوجه متمركزا بالغابة قبالة ملجئنا.

عل الساعة 7:30 جمعت شمل كل المسؤولين لدراسة وضعية عاجل عجول خلال هذا الاجتماع قررنا تقييد عجول وعينا 6 أشخاص لذلك، وبمجرد أن اقتربوا منه، كان عجول مستعدا بمسدسه من تحت الغطاء وأطلق منه النار، استمرت الطلقات 4 دقائق فقد عجول 4 جنود من حراسه، ومن جهتنا قتل قائد الفوج من طرف جنود عجول والذي أصيب برصاصة في يده ورغم جرحه تمكن من الفرار.

بعد هذا الحادث غادرنا سيدي علي للالتحاق بشليا وفي 22/ 10/ 1956 علمنا بعملية تحويل للطائرة التي تقل الوفد الخارجي - الزعماء الأربعة -، ووجدت أنه كان يستحيل علي

قطع جبال نمامشة، لأن حدودها محاصرة بأفواج نامزة وبني ملول الذين روج عمر بن بولعيد بينهم دعاية أني جئت لأساعد عاجل عجولا في سياسته.

في 23 صباحا عينت مسؤولي المناطق والنواحي بحضور:

- الحاج لخضر مسؤول ناحية باتنة
- الطاهر انويشي مسؤول ناحية بوعريف
- انواورة أحمد مسؤول ناحية أريس
- طورس عبد الحفيظ مسؤول ناحية بريكة
- علي مشيش
- علي النمر

وأبدلت أحمد عزوي كمسؤول منطقة مكان الطاهر انويشي، وعينت رعايلي مصطفى كمسؤول استعلامات واتصال بالمنطقة.

بعثت باستدعاء إلى الطاهر انوايشي لكي يلتحق بنا بالولاية الثالثة.

أرسلت إلى القبائل محمد بن المسعود قاسمي مسؤول مشونش المتهم بجلبه للجهاز الذي استعمل في موت سي مصطفى للتحري معه، وقد مات على أثر قصف بالقبائل.

اتهم بلعقون مسعود بعدة جرائم قتل، وهو حاليا بالقبائل، لكن الوقت لم يسمع بالتحري بشأنه.

في 10/31/ 1956 علمت بموت سي ناصر اضطررت لترك المسؤولية عن المنطقتين «Zone» لمحمد لعموري لمواصلة تنظيم المنطقتين بحضور ابن عكشة محمد الشريف، وطورس عبد الحفيظ، وكبوية براهيم والمكي حيحي... ورجعت إلى الولاية الثالثة.

ملاحظة

حصلت جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة في الأوراس على نسخة من التقرير الذي قدمه الرائد: اعميروش إلى لجنة التنسيق والتنفيذ بتونس وذلك من أرشيف المجاهد علي مشيش قبل وفاته في عام 1995. وقامت بترجمته إلى اللغة العربية من اللغة الفرنسية.

المراجع

- **الثورة الجزائرية سنوات المخاض – محمد حربي** – الطبعة الجزائرية – 1994.
- **حياة تحد وصمود – محمد حربي** – دار القصبة للنشر – 2004.
- **مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين – العقيد الزبيري** – منشورات a n e p – 2008.
- **إشكالية القيادة في الثورة الجزائرية، الولاية الأولى نموذجا – محمد زروال** – طبعة خاصة – وزارة المجاهدين بدون تعيين.
- **حرب الجزائر ملف وشهادات – باتريك إيفينيو وجان بلانشايس** – الجزء الأول والثاني – 2013.
- **نصر بلا ثمن – محمد عباس** – دار القصبة للنشر – 2007.
- **مصططفى بن بولعيد والثورة الجزائرية – جمعية أول نوفمبر** – دار الهدى – 1999.
- **شاهد على الثورة في الأوراس – الرائد هلايلي** – دار القدس العربي – 2012.
- **مذكرات الأمل – الجنرال دوغول** – دار عويدات (بيروت) 1971.
- **الثورة الجزائرية في عامها الأول – العربي الزبيري** – دار البعث – قسنطينة – 1984.
- **مذكرات الرئيس الشاذلي بن جديد** – دار القصبة – 2011.
- **عميروش حياة موتتان وصية، للدكتور سعيد سعدي** – مطبعة موقان البليدة – 2011.
- **خصومات تاريخية – محمد عباس** – دار هومة – 2010.
- **الثورة الجزائرية – مصطفى طلاس** – دار الشورى بيروت – 1982.
- **شهداء منطقة الأوراس – الجزء الرابع جمعية رواد مسيرة الثورة** – دار الهدي 2008.
- **الثورة الجزائرية أمام الرهان الصعب لـ/ المؤلف** –دار الهدى – 2012.
- **مذكرات الرائد مصطفى أمراردة** – دار الهدى بدون تعيين.
- **مجلة أول نوفمبر العددان 88 – 89 المنظمة الوطنية للمجاهدين فبراير** – 1988.
- **ملحمة الجزائر الجديدة ج 2 – عمار قليل** – دار البعث قسنطينة – 1991.
- **مذكرات اللواء: حسين بن معلم الجزء الأول** – دار القصبة للنشر – 2014.
- **مجلات وجرائد متنوعة.**

فهرس خاص بالصور والوثائق

الفهرس

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن



مؤلف الكتاب

مسعود عثماني من مواليد بلدية تيغانمين - دائرة آريس - ولاية باتنة، في 28 جويلية 1946م، درس في الكتاتيب القرآنية كبقية أبناء الريف وفيها حفظ القرآن الكريم.

عاش أحداث الثورة عن قرب وتفاعل معها وإن لم يساهم فيها لصغر سنه.

دخل الجندية في سن مبكرة وعمره لم يتجاوز 18 سنة، غير أن ذلك لم يحقق حلمه، فانصرف إلى الحياة المدنية من جديد واستأنف الدراسة في مدارس حرة، وما لبث أن تحصل على شهادة الأهلية أتاحت له فرصة الانتساب إلى سلك التربية والتعليم، فانخرط معلما مساعدا ثم مدرسا فمعلما متخصصا ومستشارا تربويا، ثم دخل أخيرا المعهد الوطني لتكوين إطارات التربية وتخرج منه بترتيب مشرف.

عمل مفتشا للطورين الأول والثاني في ولاية بسكرة مدة تقارب 10 سنوات، وبعد استيفائه للمدة المنصوص عليها في قانون التقاعد الجديد سنة 2000. اختار التقاعد وتفرغ للكتابة والبحث في التاريخ الوطني الحديث.

نشرت له - دار الهدى:
- كتابا في النصوص بعنوان: المفيد في المطالعة.
- كتابا حول السيرة الذاتية لشخصية الزعيم ابن بولعيد أعيد طبعه للمرة الرابعة.
- كتابا في التاريخ والاجتماع بعنوان: أوراس الكرامة.
- كتابا في أصول التدريس تحت عنوان: الرافد في التربية والتعليم.
- من اغتال ابن بولعيد.
- رجع الصدى.

ومجموعة من القصص والمسرحيات موجهة لأطفال التعليم الابتدائي.

المؤلف

لمزيد من المعلومات زوروا موقعنا
www.darelhouda.com
darelhoudaed
darelhouda@yahoo.fr


ISBN 978994726692-2
9789947266922